ناجي علوش

الثورة و... الجماهير

مراحل النضال العربي
١٩٤٨ - ١٩٦١
ودور الحركة الثورية

الطبعة الثالثة

دار الطليعة - بيروت

الثورة... والجماهير

مراحل النضال العربي ودور الحركة الثورية ١٩٤٨-١٩٦١

ناجي علوش

الثورة... والجماهير

مراحل النضال العربي ودور الحركة الثورية ١٩٤٨-١٩٦١

طبعة منقحة مع فصل جديد

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى ، نوّار (مايو) ١٩٦٢
الطبعة الثانية ، آذار (مارس) ١٩٦٣
الطبعة الثالثة ، شباط (فبراير) ١٩٧٣

مقدمة الطبعة الثالثة

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب في ايار (مايو) ١٩٦٢ ، وصدرت طبعته الثانية في آذار (مارس) ١٩٦٣ . ولقد صدرت الطبعة الثانية بسرعة ، ودون مراجعة ، لاني لم أبلغ بعزم دار الطليعة على اعادة الطبع . وكان الفرق الوحيد بين الطبعة الاولى والثانية هو ان مواد الملحق قد تم تبديلها .

والآن يدفع الكتاب الى المطبعة مرة ثالثة ، بعد حوالي عشر سنوات من صدور طبعته الاولى . وكان من المفروض ان تصدر هذه الطبعة منذ اكثر من خمس سنوات. ولكني ترددت كثيرا لسببين :

الاول : يتعلق بإدراكي ان اعادة طبع الكتاب تقتضي اعادة النظر في الافكار الواردة فيه حول الثورة العربية وطبيعتها وأهدافها .

الثاني : يتعلق بضرورة كتابة فصل يغطي المرحلة التالية للانفصال .

وسوف اقوم بعملية مراجعة لافكاري في خاتمة الكتاب .

اما كتابة الفصل الذي يغطي ما بعد الانفصال فقد اصبحت قضية اخرى . لقد مرت عشر سنوات منذ الانفصال حتى الآن ، وليس من السهل تغطية هذه الحقبة من الزمن بفصل . انها تحتاج الى كتاب .

لم أجرِ تغييرات اساسية في النص . وما حذفته او بدلته يسير ، لانني حريص على ان يبقى الكتاب كما هو .

ولقد حذفت الملحق كله ، لان مواده نشرت في «نضال البعث» ، ولم يكن ضروريا بعد ان نشرت اكثر من مرة ان نعيد نشرها هنا .

ثم انني أضفت للكتاب ملحقا ، تناول تطور افكاري ومواقفي خلال السنوات العشر الاخيرة ، كما تناول وجهة نظري في كتابي الذي اقدمه للقارىء من جديد .

٢٣ – ١ – ١٩٧٣

ناجي علوش

مقدمة الطبعة الاولى

يجب ان تنبثق الثورة في اعتقادي من تصوّر كلّي لقضية الشعب ، قضية حريته وحياته ، ومثل هذا الاعتقاد لا بد من ان يستدعي السؤال التالي :

« ما مدى وضوح هذا «التصوّر» في المرحلة الحاضرة من حياتنا العربية ؟ »

اشعر اننا ما زلنا بعيدين عن مثل هذا «التصور» ، جاهلين لاهميته في وقت نحن احوج ما نكون اليه .

ولقد دفعني مثل هذا الشعور الذي يزداد كل يوم حدة والحاحا الى تقييم تجارب النضال في السنوات التي تبعت نكبة فلسطين ، واستخلاص مبادىء «التصور الكلي» منها ، على ضوء وعيي لعوامل الحياة والموت في حياتنا العربية، وحياة الانسان قاطبة .

وهذا الكتاب ليس مشروع «دعوة» ، انه مشروع بحث ، اقدمه لعل فيه ما يساعد على ايضاح ما لم يتضح من تجربتنا القومية الحديثة . الا انني اجد لزاما علي ان ابين حقيقة أؤمن بها كل الايمان ، وهي ان مشكلتنا ... مشكلة مائة واربعين مليون انسان مهددين في مجرد البقاء ، ليست مشكلة فكرية ـ كما قد يبدو من الكلمات السابقة ـ بل مشكلة رجولة واخلاص ومثابرة . و «التصور الكلي» هو الذي يجعل «الرجال» قادرين على بلوغ اهدافهم .

المؤلف

١٢ ـ ٣ ـ ١٩٦٢

المدخل

لقد شهد الوطن العربي بعد النكبة نموا في الحركة الوطنيـــة . مـــا طبيعـــة هذا النمو ؟

ما هي التيارات الفاعلة فيه ؟

وما مدى ما قدمته هذه التيارات للقضية العربية ؟

ثم ما هي « القضية العربية » ؟

ان في الاجابة على هذه الاسئلة ، طرحا لقضية الثورة العربية ، ضرورتهـــا ومحتواها ، منهجها واسلوبها، بما يعنيه ذلك من تحديد الدور الذي لعبته الجماهير، والدور الذي يجب ان تلعبه .

ولقد قدمت هذا من خلال : ــ

اولا : ــ استعراض نقدي للحركة الوطنية وتياراتها ومنظماتها ومراحل تطورها بعد النكبة .

ثانيا : ــ «تقييم» لهذه الحركة واقتراح مشروع عمل ثوري .

واذا كان القصد من الاستعراض النقدي في الفصول الثلاثة الاولى كشف ملامح الحركة الوطنية ، وعناصر الموت والحياة فيها ، فان القصد من «التقييم» واقتراح مشروع العمل الثوري في الفصلين الاخيرين هو ايضاح «المنهج» الذي اتبعته فـــي البحث ، والاسلوب الذي اخترته في الدراسة بايضاح مقاييس هـــذا «المنهـــج» ، و «قيم» هذا الاسلوب .

القِسمُ الأَول

النضال العربي

(١٩٤٨ ــ ١٩٦١)

مراحله ومنظماته

مر النضال العربي ما بين ١٩٤٨و١٩٦١ بثلاث مراحل :

الاولى : من سنة ١٩٤٨ـ١٩٥٤. وقد شهدت الانقلابات المتتالية في سورية ـ من انقلاب حسني الزعيم الى انتهاء دكتاتورية الشيشكلي ، وثورة مصر سنة ١٩٥٢ ، وانتفاضتين في العراق سنة ١٩٤٨ ، وسنة ١٩٥٢ ، ومعركة شعبية في الاردن ١٩٥٤، ضد مؤامرات الاستعمار و .. و .. انها مرحلة القلق والنقمة التي عقبت النكبة .

الثانية : من سنة١٩٥٤ الى سنة١٩٥٨، وقد شهدت التقاء وفدي مصر وسورية في مؤتمر باندونج ، وانبثاق السياسة العربية المتحررة ، كما شهدت خروج مصر الثورة على سياسة احتكار الاسلحة ، ومقاومة حلف بغداد ومعركة قنال السويس وقيام حكومة وطنية في الاردن ، وصمود سوريا امام المؤامرات الاستعمارية ، كما شهدت انطلاق ثورة الجزائر . وشهدت ايضا نكسة الاردن الرجعية .

الثالثة : من سنة١٩٥٨ الى سنة١٩٦١، وقد شهدت قيام وحدة مصر وسوريا ، وثورة لبنان ، وثورة العراق وانحراف هذه الثورة ، ومحاولات الاستعمار والرجعية العربية لتفكيك عرى الوحدة .

الفَصْل الأول

المرحلة الاولى

(١٩٤٨ — ١٩٥٤)

انتهى في سنة ١٩٤٩ تنفيذ المخطط الاستعماري بفلسطين ، وقامت دولة الاحتلال الصهيوني . فكان قيامها بداية مرحلة جديدة في تاريخ العرب الحديث . واذا كان الاستعمار قد استفاد من خدمات الرجعية العربية في اقامة هذه الدولة الغازية، فان قيام هذه الدولة ، قد فتح عيون ملايين العرب على مؤامرات الاستعمار وخيانة الرجعية العربية ، وفجّر في اعماق هذه الملايين موجة من الحزن والقلق والنقمة ، ولقد بدا هذا كله من خلال مظهرين :

الاول : الانتفاضات الشعبية في العراق والاردن ، والانقلابات العسكرية في سوريا ، ومصر ، ومحاولة الانقلاب التي اعدها عبدالله التل ورفاقه في الاردن.

الثاني : ازدياد النضال الشعبي ، وارتفاع مستواه الفكري والتنظيمي،وازدياد التفاف الجماهير حول شعارات الوحدة العربية ومقاومة الصهيونية والامبريالية .

وبينما أكدت النكبة هزال الرجعية العربية وخيانتها ، وخطر الصهيونية والاستعمار على الامة العربية اكدت في الوقت ذاته ، ضرورة النضال في سبيل الوحدة والتحرر والاشتراكية . والنضال ضد الاستعمار والصهيونية ، وضد الرجعية والتجزئة .

ولقد ادرك الاستعمار هذه الحقيقة ، فاخذ يعمل لتحقيق اهداف ثلاثة :

الاول : تركيز النظم الرجعية المتداعية ، وحماية الحكام الذين يشكلون دعامات الاستعمار .

الثاني : تخفيف حدة التوتر بين العرب واسرائيل ، وتحقيق صلح يعترف فيه العرب بالامر الواقع .

الثالث : مقاومة اية حركة شعبية او عسكرية ، تطورية او ثورية ، تهدف الى تحقيق التحرر التام ، والوحدة الشاملة . وكان من نتيجة ذلك ان لجأ بالتواطؤ مع

الرجعية العربية الى طـرح مشاريع وحدويـة كمشروع سوريـة الكبرى والهـلال الخصيب ، للاحتيال على الحركة الوحدوية الثورية التي كانت تزداد قوة وصلابـة كل يوم ، ولايقاع سورية ـ قلعة النضال الوحدوي الثوري ـ في حبائل الرجعيـة والاستعمار .

فشلت الحركات العسكرية غير الناضجة في سورية ، لانها كانت مجرد تعبـير عن نقمة ، فأدى فشلها الذي تم على ايدي القوى الوحدوية الثورية الاشتراكية ، الى زيادة القوى الشعبيةواتساع نفوذها فياوساط جماهير المثقفينوالعمال والفلاحين، وما كانت سنة ١٩٥٤ ، حتى استطاعت القوى الملتفة حول حزب البعث العربـي الاشتراكي،ان تشارك في توجيه الحكم في سورية،وان تقود الشارع .

أما في مصر فقد طرحت الثورة شعاراتها الستة المعروفة ، وهي شعارات ذات محتوى تقدمي ، ولكنها عاشت سنتين من الاضطراب والارتباك ، خرجت بعدهما، اكثر تقدمية ، واشد اندفاعا منها فيما مضى . ولقد برز وجه هذه الثورة التقدمي الحقيقي في مؤتمر باندونج ، كما برز الرئيس جمال عبد الناصر قائدا للقوى العربية المتحررة وشخصية عالمية،تقف مع نهرو وسوكارنو وغيرهما على قدم المساواة .

ولقد أدى فشل محاولة الانقلاب العسكري التي اعدها عبدالله التل ورفاقـه في الاردن ، كما ادى فشل الانتفاضة الشعبية في العراق الى تزايد ارهاب الرجعية واجرامها في هذين البلدين ، كما ادى الى ازدياد اعتمادها على الاستعمار لتثبيـت أقدامها ، وتأمين بقائها . وبدأ الاعداد لربط البلاد العربية بحلف بغداد ، من اجل المحافظة على مواقع الرجعية ، والوقوف في وجه الحركة الوطنية . وكـان ان تحطمت محاولة الاستعمار والرجعية العربية الاولى على صخرة النضال العربي في الاردن سنة ١٩٥٤، فازداد التيار الشعبي قوة واندفاعا ، وان كان الحكام العملاء قد استطاعوا فرض حلف بغداد على العراق بعد ذلك .

الحركة الوطنية

من بين المنظمات والحركات التي برزت بعد النكبة اثنتان ولدتا قبل النكبة ، وفي اوقات متفاوتة،ولكنهما بعد النكبة اخذتا تستقطبان المزيد من الجماهيرالشعبية، وتتقاسمان قيادة الشارع . هاتان الحركتان هما ــ (١) حركة البعث العربي الاشتراكي ، (٢) الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية . وقد تضاءلت كل القوى الاخرى الاقليمية وغير الاقليمية امام سرعة انتشارهما ، وازدياد نفوذهما . ولكن اختلاف ايديولوجيتيهما جعل اتفاقهما صعبا حتى على تنظيم مخطط موحد لمقاومة الاستعمار . ومن هنا نشأ انشقاق في صفوف الجماهير المنظمة والموجهة ، كان يزداد حدة كلما ازدادت هاتان الحركتان قوة ومقاومة للاستعمار والرجعية . وبينما كانت قوى ومنظمات متعددة في المشرق والمغرب تقود النضال ضد الاستعمار والرجعية ، كان الصراع الخفي والظاهر بين هذه الفئات يزداد يوما بعد يوم ، ليدل على جهل فاضح بمخططات الاستعمار والرجعية . وكانت الوحدة ، الدعوة للوحدة، العمل من اجل الوحدة ، هي المسألة الاكثر مثارا للجدل بين هذه الفئات ، في الوقت الذي كانت الوحدة المطلب الاكثر ضرورة وثورية من بين المطالب الشعبية، الشيء الذي ركز عليه حزب البعث العربي الاشتراكي. ولكي نبين اسباب التناقضات ونتائجها لا بد من ان نوضح ثلاث مسائل :

الاولى ــ مسألة الوعي الشعبي .

الثانية ــ مسألة تكوين الاحزاب ، والثقافة الحزبية .

الثالثة ــ مسألة انفصال الفئات الحاكمة عن الشعب وارتباطها بالاستعمار .

المسألة الاولى

الوطن العربي ، مساحات شاسعة من الارياف والصحاري ، وليس فيه من المدن الا القليل ، وهذا القليل لا يبلغ سكانه الا نسبة ضئيلة من مجموع السكان (١)

---

١ ــ اخذت المدن تنمو بعد ذلك ولقد اصبح سكان المدن الآن نسبة عالية من سكان الوطن العربي. وسوف نتعرض لهذا في الخاتمة .

واذا كان الوعي في الريف ليس موجودا على الاطلاق ، فانه في المدن ينحصر في دوائر محدودة من المثقفين والعمال .

الفلاحون مادة الثورة في الوطن العربي بعيدون عن الثورة ، هم يحملون السلاح احيانا ضد الاستعمار،ويفرحون عندما يحدث انقلاب ضد حكومة رجعية خائنة ، مستسلمون ، قانعون بما قسم الله لهم ، يتمنون دون ان يقرعوا الابواب ، ويحملون السلاح ليقنعوا من الغنيمة بالاياب ، وعندما تجري الانتخابات لا مانع عندهم من انتخاب مستعبديهم ..

اما ابناء المدينة فهم اخلاط ، مختلطة افكارهم ، مختلفة ثيابهم،متضاربة مصالحهم ، بينهم المحافظ الشديد المحافظة ، والمنحل المسرف في الانحلال ، بينهم المتحرر والرجعي .

في القرية تنعدم الثقافة ،

اما في المدينة فالثقافة لا تتعدى جدران المدارس والجامعات . ولهذا، فالمدينة كالقرية من حيث مستوى الوعي . وان ازدادت نسبة الذين يقرأون ويكتبون في الاولى عما هي عليه في الثانية .

في القرية والمدينة عقلية عصر الانحطاط . عقلية ــ «جانب السلطان واحذر بطشه» هي التي تحكم الناس .

الناس في القرية والمدينة يبحثون عن راحة ذليلة ، عن لقمة مهينة ، يكرهون الذل ولكنهم لا يتحدون ، ولا يعرفون سر قوتهم .

في الوطن العربي لا يوجد وعي شعبي ،

لا توجد الثقافة الشعبية، ولا المنظمات الشعبية .

ولهذا لا يعرف العربي اين يقف من التيارات العابرة .

هنالك فرقة بين القرية والمدينة ، بين المدرسة والبيت ، بين الحلم والواقع ، بين الدعوة الدينية ورجل الدين ، وبين قيم المجتمع وحقيقة المجتمع.وهنالك امية، تجعل الحرف غريبا على سامعيه ، وهذا كله يجعل التدريس بوسائله الحاضرة اعجز من ان يكون ثقافة ، وان يكون وعيا . وينعكس هذا كله في انخفاض عدد الكتب ذات الاهمية الكبيرة ، وفي انعدام الصحف والمجلات ذات المستوى العالي في التفكير ، والحساسية الدقيقة في التوجيه . كما انه ينعكس في تناقض سلوك حملة الشعارات مع محتوى شعاراتهم ومع اعمالهم .

واذا كان المطلوب هو قيام دولة عربية متحررة اشتراكية تعمل لطمانينتها بمقدار ما تعمل لطمأنينة العالم ، فان مستوى الوعي اذا قيس بما هو مطلوب يبدو ضئيلا هزيلا .

ولذلك اسباب هي :

اولا ــ نسبة الامية العالية وانخفاض مستوى المعيشة انخفاضا شديدا .

ثانيا ــ سيطرة عقلية عصر الانحطاط على الاوساط الشعبية ، وسيطرة عقلية «التغرب» على الاوساط المنساحة في المدن .

ثالثا ــ انخفاض نسبة التدريس الابتدائي والثانوي والجامعي وانخفاض مستواه، وتعدد مناهج الدراسة واتجاه هذه المناهج نحو الدراسة الجامدة المحدودة غير العملية اطلاقا .

رابعا ــ الفرقة التي تحدث بين المثقفين وجماهير الشعب ، نتيجة لتناقضات عارضة في التفكير والمعيشة .

خامسا ــ انعدام الحركات والمنظمات الشعبية التي تتغلغل في صفوف الشعب، وتوحد مثقفيه بعماله بفلاحيه في اتجاه ثوري واحد .

سادسا ــ ما تستعمله الرجعية والامبريالية ، من اساليب الضغط والكبت والتضليل ، وما تبديه الرجعية ويبديه الاستعمار من حرص على حفظ ما يسميه (التراث المقدس) وهو في الواقع رمام الاجيال المريضة .

المسألة الثانية

ظهرت مجموعة من الاحزاب والمنظمات ، التي تعبر تعبيرا صادقا عن تناقضات الواقع ، وتناقضات الحياة الاجتماعية بما فيها من تيارات عديدة متناقضة . وبعد ان ذهب الاحتلال المكشوف من سوريا والاردن والعراق ، اخذت الرجعية ــ المتطرفة والوسط ــ تخسر الهالة التي اكتسبتها عندما ادعت قيادة الشعب ضد الاستعمار . واخذت المنظمات الشعبية التي تعتمد على الجماهير ،وعلى التوجه لها وتنظيمها ، وقيادتها ، تنمو . ولكن هذا العمل الجماهيري كان يصطدم بشيئين :

الاول ــ مستوى الوعي الشعبي ، وهذا ما تحدثنا عنه في المسألة الاولى .

الثاني ــ اختلاف أسس العمل ، وتضارب الاتجاهات الفكرية والسياسية .

وهكذا توزعت منظمات عديدة قوى محدودة ، واصبح صراع هذه القوى فيما بينها اشد من صراعها مع الاستعمار . كانت كلها تتفق ــ هذا التحديد لا يشمل اية فئة رجعية عميلة ــ على مقاومة الاستعمار ، ولكنها كانت مصطدمة باستمرار فيما بينها ، مستغرقة في الجدل العقيم ، والمهاترات التي لا انتهاء لها .

هذا كله جعل جماهير الشعب تنفر من الدعاية الحزبية لاتصافها بالجدل البيزنطي ، كما جعل الاستعمار يعرف ، وجعل الرجعية تعرف كيف تستفيد من هذا الصراع .

كما ان انخفاض مستوى الوعي ، وعمومية الثقافة الحزبية ، جعل الدعوة الحزبية الواحدة تستقطب عناصر متباينة ، كان لا يمكن ان تجتمع،لو ان مستوى الوعي كان عاليا ، والثقافة الحزبية كانت واضحة . وقد نتج عن ذلك ان تزايد التناقضات ضمن اطار الحزب الواحد ، والمنظمة الواحدة ، جعل اية محاولة للعمل الجدي على المستويين النظري والعملي غير مجدية .

اما ابرز اتجاهات الحركة الوطنية فثلاثة :

الاول ـ الدعوة الدينية .

الثاني ـ الدعوة القومية ـ بما فيها من تناقضات .

الثالث ـ الدعوة الطبقية ـ بما فيها من تناقضات .

كانت الدعوة الاولى فرارا وراء مثل أعلى لاهوتي ، في مجتمع اشد ما يكون كفرا ، وضلالا ، وانحلالا ، ونشدانا لراحة الروح في ظل الايمان باللـــه ، ولكنها الدعوة المتناقضة مع روح العصر . السلفية في طابعها ، السلفيـــة في محتواها ، ولذلك فقد استطاعت ان تثير عواطف ، ولكنها لم تستطع ان تنشىء مجتمعا جديدا، ولا اساليب جديدة في العمل والتفكير . كل ما فعلت هو انها تحت ستار الدين تبنت اساليب العمل السياسي التقليدية ، ولهذا فشلت فشلا ذريعا .

اما الدعوة القومية فقد تنازعتها تيارات سياسية مختلفة ، ولكنها كانت تختلط جميعا في اكثر الاحيان ليتكون منها مزيج متناقض . كان فيها شيء من النازية والفاشية ، وشيء من الاشتراكية الديمقراطية .

وكان ابرز مظاهر هذه الحركة اثنين :

الاول ـ حركة البعث العربي الاشتراكي .

الثاني ـ حركة القوميين العرب .

وسنتحدث بالتفصيل عن هاتين الحركتين القوميتين الشعبيتين (١) فيما بعد لنبين تفاصيل تناقضات الحركة القومية الشعبية .

واما الدعوة الطبقية ، فقد مثلتها الحركة الشيوعية في البلاد العربية . وهي حركة غير منفصلة بالطبع عن الحركة الشيوعية العالمية ، تستسقي من مصادرهـــا الثرّة وينابيعها البعيدة الغور ، وتتغذى بتجاربها الثورية الغنيـــة ، ولكنها كانت بحاجة للتراب الملائم لها ، للطبقة بمفهومها العلمي ، كانت تحتاج الى الوعي الطبقي. ولما لم يكن كل ذلك متوافرا بالشكل الذي يجعل من الطبقة حركة ، عمدت الـــى محاولة خلق الوعي ، وبلورة الطبقة تحت ظروف قاسية وغير ملائمة . انها حركة تقدمية ولا شك غير انها تعادي الرجعية والاستعمار ، وتعادي الحركة القوميـــة الاشتراكية في الوقت نفسه لاسباب ايديولوجية معروفة ، ولاخطاء فكرية وتخطيطية سنتعرض لها عند الحديث عن الشيوعية .

لهذا كله انحصرت الدعوة الطبقية في اوساط محدودة مـن المثقفين والعمال. وكانت شعاراتها في العمل السياسي شعارات مرحلية ، الغاية منها الوقوف امام مؤامرات الاستعمار ، وتحقيق حكم وطني يتيح للشيوعيين حرية العمل .

---

١ ـ ولعله من المفيد ان نعرف هاتين الحركتين بالنسبة لحركات تاريخية سابقة ، فنقـــول ان حركة البعث اقرب ما تكون الى حركة «مازينية» دون عنف ، اشتراكية ديمقراطية مع رفض فكـــرة الاستعمار ، وان حركة القوميين العرب اقرب ما تكون الى حركة «بسماركية» بروحها وان كانت اكثر اتصالا بالشعب واعتمادا عليه .

المسألة الثالثة

(انفصال الفئات الحاكمة عن الشعب وارتباطها بالاستعمار) .

للفئات الرجعية الحاكمة ايدولوجيتها التي تتسرب الى صفوف الجماهير ، الجماهير الخائفة المستسلمة ، وهذه الخيوط الرفيعة من الخنوع والاستسلام هي التي تربط بينها وبين جماهير الشعب ، ولكن الشعب الخانع المستسلم يفبط سادته انحلالهم وتملقهم وبهارجهم فيتبناها فتنمو في مستنقعه الآسن ، لتجد الرجعية الحاكمة فيها من جديد الجو الملائم لبقائها .

ولقد كانت الفئات الحاكمة في البلاد العربية بعد الانتداب ، اما من بقايا سلاطين عصر الانحطاط او من شيوخ القبائل ، او وجهاء الارياف ، او ابناء العائلات «العريقة» في المدن . وعلى الرغم من ان لهذه الفئات كلها جذورها في الوطن العربي، فان نشوء الحركات الوطنية وانتشارها ، اخذ يفقد هذه الفئات مبرر وجودها . اخذت تحس بضعف الخيوط التي تربطها بجماهير الشعب ، وتعرف انها فقدت معناها وقدسيتها فتزداد خوفا ورعبا .

ولما كان الاتجاه الشعبي يعني فناءها ، فقد اعتمدت على الاستعمار في تثبيت اقدامها لاسيما وانها تجد فيه راعيا لمصالحها ، مدافعا عن حقوقها واهبا لها اكثر من امتيازاتها .

الحركة الشعبية تحاول تجريدها من حقوقها وامتيازاتها ، اما الاستعمار فيحاول المحافظة لها على حقوقها وامتيازاتها .

ولما كانت فئات يغلب عليها الجهل والكسل ، ابقاها الاستعمار كما ابقى السلطان عبد الحميد تنابلته ، وكانت سعيدة ان تحوز رضاه ، شاكرة لتفضله عليها بوكالات شركاته ، وفضلات اتاواته .

لقد كان همها ان تبقى وان تنعم ، ولقد ضمن الاستعمار لها ذلك. ولكن وضعها كان يتأثر بعاملين :

الاول : ان ازدياد الثقافة وانتشار الوعي واتساع نفوذ الحركات الوطنية ، حرمها من الادعاء بالحق التقليدي في الحكم ، كما ان هذه العوامل كلها حرمتها متعتها في ان تعتبر بطشها بالخارجين رجولة ، وتنكيلها بالمعارضين بطولة .

الثاني : ان الاستعمار الذي يتبناها ويدافع عنها ، يدفعها احيانا لتتبنى شعارات الديموقراطية المزيفة ، ولترفع شعارات الاصلاح والتقدم فيختل اتزانها، وتزداد المطالبة الشعبية حدة ، الشيء الذي يلجئها الى القوة .

ولقد كانت الرجعية العربية الحاكمة قبل النكبة تحظى بقليل من الاحترام ، نتيجة لوجاهتها التقليدية ، ولوقوف بعض عناصرها بشكل من الاشكال ضد الاستعمار ، ولكن النكبة جاءت لتعلن انهيارها النهائي ، وانقطاع صلتها بالجماهير .

هذا كله دفعها الى الاعتماد على الحراب الاجنبية ، والاموال الاجنبية ، والدعاية الاجنبية ، وعلى المرتزقة المضللين من ابناء هذا الشعب . ولكي تبرر اعتمادها على القوى الاستعمارية رفعت شعارين :

الاول : شعار مقاومة الصهيونية .

الثاني : شعار مقاومة الشيوعية .

وكانت ترفع هذين الشعارين لغايتين تترابطان ترابطا وثيقا :

الاولى : بيان ضرورة الاعتماد على «الحلفاء» في تقوية الجيوش العربية ، لوقف الزحف الصهيوني ، ولصد التيار الشيوعي ، ولذلك فقد نشط الحكام في الترويج للاحلاف ، وفي الدعاية للتعاون مع الاستعمار .

الثانية : ضرب الحركات الشعبية باسم مقاومة الشيوعية والتخريب،تحت ستار الادعاء بأن الامة في حاجة الى الاستقرار،لتستطيع اقامة بنيان مرصوص في وجه الصهيونيـــة .

وأعتمادا على اساليب التضليل هذه،دخل حكام بغداد حلف بغداد، وعملوا باشراف بريطانيا على جر دول عربية اخرى اليه ، وكانت الاردن هي الدولة الثانية التـــي أرادها الاستعمار وحكام بغداد المبادون شريكة في هذا الحلف ، ولكن الحكومـــة الاردنية والاستعمار وحكومة بغداد خسروا جميعا الجولة الاولى في شوارع عمان والقدس وغيرها من المدن الاردنية ، عندما زوروا الانتخابات النيابية فـــي اواخر سنة ١٩٥٤ ، تمهيدا لتشكيل حكومة موالية تفرض حلف بغداد .

لقد زوروا الانتخابات ، وجاءوا بمجلس موال وحكومة موالية،ولكنهم عجزوا عن تنفيذ الخطة الاستعمارية ، فتجمد حلف بغداد مؤقتا .

ولكن قوة الوثبة الشعبية في الاردن،ونجاح الحركة الشعبية ضد الشيشكلي في سورية ، زادتا المد الثوري اندفاعا ، وزادتا في الوقت نفسه اندفاع الرجعية العربية الى احضان الاستعمار .

الرجعية العربية تراث عصور الانحطاط ، تراث الذل والجوع والمهانة والتجزئة، وهي ما زالت تريد ان تمثل هذا «التراث» وان تحافظ عليه .

الجيش والحركات العسكرية

كانت المشاعر التي تعتمل في صفوف الشعب تعتمل في صفوف الجيش ، ولكن ضعف الحركة الشعبية ، وقوة الجيش النسبية ، جعلت القوى العسكرية أقدر على المبادرة . ففي الوقت الذي كانت قوة صغيرة من الجيش كافية لاحتلال اية عاصمة عربية ، والاستيلاء على الحكم ، كانت نفس هذه القوة قادرة على تبديد اية انتفاضة شعبية . ومن هنا أصبح الجيش الامل المرهوب، فهو قادر على ان يحقق انتصارات، وهو قادر على ان يلحق هزائم . كما ان عدم النضج في وعي العسكريين جعل اية حركة عسكرية تنتهي الى دكتاتورية تخدم مصالح الرجعية والاستعمار . هذا ما قدمته لنا تجربة سوريا، التي تبدأ بانقلاب الزعيم، وتنتهي بالانقلاب على الشيشكلي.

ولقد نتج عن هذه التجربة شيئان :

الاول : ان الحركة الشعبية اخذت تخاف العسكريين :

الثاني : ان الحركة الشعبية اخذت تنظر الى ثورة مصر بمنظار تجربة سوريا . وهذا ما جعل كل الفئات الشعبية تقف مع جماعة الاخوان المسلمين ضد الثورة ، عندما عملت الثورة على تصفيتهم بعد محاولة اغتيال عبد الناصر في الاسكندرية سنة ١٩٥٤ • ولكن الاستعمار اخذ يحسب حساب الجيش ويخشاه ، فعمل والرجعية على افساده والهائه بمختلف الوسائل والاساليب .

الا ان ميزان القوة ظل بيد الجيش ، وظلت الحركة الشعبية بحاجة ماسة اليه. فهو الوحيد الذي يستطيع ان يسند الحركة الشعبية في صراعها مع الرجعية ، وهو الوحيد الذي يستطيع ان يصمد امام مؤامرات الاستعمار . وهكذا اخذ يقترب قليلا قليلا من الحركة الشعبية حتى أصبح جزءا منها ، يعمل حسب مخططها ، وينسجم مع دعوتها ، وكانت بادرة الانقلاب على الشيشكلي هي الاولى من نوعها في هذا المضمار . فبعد ان قام الجيش بالانقلاب عاد الى ثكناته ، تاركا امر البلاد للساسة، ولكنه من ثكناته كان يقف مستعدا لمواجهة اية مؤامرة .

اما في مصر ، فقد كان الوضع غير الوضع في سوريا . اذ ان جماعة الاخوان المسلمين ، وحزب الوفد وغيرهما ، كانوا يمثلون الرجعية ، وكان على الثورة ان تكون الحركة الشعبية التقدمية . ولقد بدأت الثورة سيرتها بتصفية الاحزاب كلها

ليتاح لها المجال لتطبيق شعاراتها .

في سوريا نمت الحركة الشعبية فوضعت حدا لطغيان الجيش ، اما في مصر فقد نمت الحركة الشعبية فوضعت حدا لطغيان محترفي السياسة .

ولم يكن الوعي في صفوف الجيش اعلى منه في صفـــوف الشعب ، كما ان الحركات الانقلابية لم تكن نتيجة تنظيم حزبي دقيق ، بل كانت نتيجة اندفاع افراد، واستجابة افراد . وهذا هو السبب الذي كان يجعل الجيش في حالة عدم استقرار دائم ، فالقوى التي كانت احيانا رادعا للسياسيين المحترفين وللرجعية ، وكانت مانعا امام الانحراف كانت في احيان اخرى ، تقف امام الحركات الشعبية وتقمعها لمصلحة الاستعمار والرجعية ، ودفاعا عن مصالحها .

بين اليمين واليسار

ادت التناقضات في واقع الحياة العربية الى قيام اتجاهات فكرية وسياسية متضاربة، انعكست في منظمات شعبية تتباين في اسس عملها وفي اهدافها ووسائلها، مما أدى الى تفتيت الحركة الوطنية وتبعثرها .

ولكي نبين مدى التناقض (١) في الحركة الوطنية في تلك المرحلة في النطاق القومي والنطاق الاشتراكي وفي الجبهة المعادية للاستعمار ، لا بد من ان نبرز للعيان معالم اتجاهات اربعة :

الاول : الاتجاه الديني ويمثله (الاخوان المسلمون) .

الثاني : الاتجاه الطبقي ، وتمثله الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية .

الثالث : الاتجاه القومي الاشتراكي ويمثله حزب البعث العربي الاشتراكي .

الرابع : الاتجاه القومي العربي ويمثله حركة القوميين العرب .

كل هذه الاتجاهات رفعت شعار مقاومة الاستعمار ، ولكن اثنين منها رفعا شعار الوحدة العربية ، وكانت المبدأ الاول والاساسي من مبادئهما ، وهما حزب البعث العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب ، واثنين منها رفعا شعار الاشتراكية، وكانت الاشتراكية هدفا من اهداف نضالهما ، وهما الحركة الشيوعية والحركة القومية الاشتراكية ، واثنين منها كانت تتجاوز دعوتهما الحدود القومية وهما الاحزاب الشيوعية العربية ، وجماعة الاخوان المسلمين .

وبينما بدأ الاتجاه الاول من الدين ، من العودة الى المثل الاعلى اللاهوتي ، ابتدأ الثاني من الطبقة وابتدأ الثالث من الامة العربية ، وكان كل من هذه البدايات مختلفا عليه لسبب او لآخر ، مما جعل الاختلاف في الاصول وليس في الفروع . وكان على كل من هذه الاتجاهات ، لعمق هوة الخلاف، ولكون هذه الاتجاهات تسعى لتبرير وجودها الذي لم يبرر بعد ، ان يدخل معركة على عدة جبهات في وقت واحد .

---

١ ــ التناقض هنا اصطلاح يعني التضارب بين حركة وحركة واختلاف الآراء داخل كل حركة من الحركات .

وكانت حلقات الجدل تنعقد في كل مكان ، في الشارع ، في المدرسة ، في البيت، في الدكاكين ، ليطرح انصار كل اتجاه براهينهم ، وليعلو الصراخ ويمتد ساعات . وفي هذه الحلقات كانت تناقش مسائل عديدة في اطار الحزبيات الفجة ، مسألة الامة العربية والتجزئة والشيوعية والاسلام واسرائيل ، ولم يكن النقاش واعيا في اكثر الاحيان بسبب انخفاض المستوى الفكري عند معظم الشباب العربي .

صراع متعدد الاسباب والاغراض بين القومية العربية ، والنزعات العالمية وبين القومية العربية والتجزئة . وهو ايضا صراع بين النزعات العلمانية واللاهوتية ، وبين الاشتراكية ـ ماركسية او ديموقراطية ـ والدعوات السياسية والاجتماعية الاخرى على مختلف أشكالها . وهو في النهاية صراع مختلف الاشكال مع الرجعية والاستعمار .

ولا شك في ان جذور هذه الاتجاهات موجودة كلها في الواقع العربي ، ولكن الذي لا شك فيه ايضا ان التيارات العالمية فعلت فعلها في استثارة هذه الاتجاهات وفي صقلها وتطويرها . وكانت الحركة الشيوعية هي الاكثر تأثرا بهذه التيارات .

كان كل من هذه الاتجاهات يشكل نفيا للآخر وتحديا له ، ولكن لم تكن هنالك امكانية معركة فاصلة .

وزيادة في الايضاح نقدم فيما يلي تاريخا موجزا لهذه الحركات التي تمثل هذه التناقضات،وعرضا سريعا لمبادئها وتنظيماتها وشعاراتها ، ما عدا حزب البعث العربي الاشتراكي الذي سنوليه اهتماما خاصا باعتباره اكبر وأنضج منظمة قومية .

أ ـ الاخوان المسلمون

عندما ألغيت الخلافة في تركية سنة (١٩٢٢) أصبحت مصر مركز الدعـــوة للخلافة ، وقد اجتمعت مؤتمرات لهذا الغرض في النصف الاخير من العقد الثالث من هذا القرن ولكنها كلها باءت بالفشل . وتشهد السنة التي فشل فيها آخر مؤتمر لدعاة الخلافة ، وهي سنة ١٩٢٧ ، نشوء جمعية الشبان المسلمين . واذا كانت هذه الجمعية مجرد رد ـعلى ما يبدوـ على جماعة الشبان المسيحيين في دعوتها وأهدافها ، فان جماعة اخرى نشأت في السنة التالية لتكون ردا على الحركـــات الاقليمية والاجتماعية التي اخذت تطرح نفسها على الجماهير . ارادت هذه الدعوة ان تكون ردا على دعاة التجديد أمثال طه حسين وعلي عبد الرزاق ، وأن تقف في وجه طوفان الحضارة الغربية الذي امتدت سيوله الى جميع ارجاء الشرق .

والدعوة كما تبدو لنا امتداد لدعوة الشيخ الامام محمد عبده ، ولكنها امتازت عن الدعوة السابقة بأن الاولى كانت اشبه بمدرسة فكرية اسلامية ، اما الثانية فقد كانت هيئة دينية سياسية اجتماعية منظمة تنظيما محكما دقيقا ، يجعلها قادرة على مجابهة كل الدعوات والاحزاب .

مبادىء هذه الجماعة

نستطيع ان نوجز مبادىء الاخوان فيما يلي :

اولا : الدولة الاسلامية ، القائمة على كتاب الله وسنّة رسول الله صلى اللهعليه وسلم والتي تقوم على مبدأ الخلافة .

ثانيا : العمل على اساس تحقيق الجامعة الاسلامية ، على ان يبتدأ من القطر (مصر) ، فالوحدة العربية ، فالجامعة الاسلامية ، وهم لا يعتقدون ان هناك تعارضا بين هذه الاغراض .

ثالثا : الرجوع الى الشريعة الاسلامية لمجابهة جميع المشاكل .

وسائلهم لتحقيق هذه الاغراض

انحصرت وسائلهم في ثلاث :

أ ــ الدعوة ــ وهي المحاولة الدائبة لتعريف الجماهير بعقيدتهم .

ب ــ اختيار الانصار واعدادهم .

جـ ــ العمــل .

نجحت هذه الطريقة نجاحا باهرا في مصر ، فالتفت حولهم جماهير كبيرة ، وكانت منظمة تنظيما دقيقا . وقد قام الاخوان بانشاء مشاريع اقتصادية واجتماعية كثيرة ، ربطت الدعوة بالواقع العملي . وارتبط نضالهم بالدعوة للجامعة الاسلامية بالنضال من اجل تحرير وادي النيل والاقطار العربية والاسلامية . وكانوا يؤمنون بالتطور والتدرج ولا يؤمنون باستعمال القوة الا حيث لا يجدي غيرها .

وتحقيقا لهذه الاغراض ، عملوا على نشر دعوتهم بواسطة الصحف والمجلات ، وأرسلوا الرسائل الى الملوك والرؤساء ، وبعثوا الوفود الى البلاد العربية والاسلامية.

وظلت الجماعة تتقدم بسرعة في مصر . اما في خارج مصر ، فقد أنشيء اول فرع لها في الشام ، وبعد ان تخفّى سنوات تحت اسماء متعددة ، اتفق سنة ١٩٤٤ على ان تكون تسمية (الاخوان المسلمون) شاملة لجميع الشعب في البلاد العربية والعالم الاسلامي . اما في فلسطين والاردن والسودان فقد بدأ العمل سنة ١٩٤٦ ، بينما تأخر حتى ١٩٤٧ في العراق .

كان الانتشار واسعا في مصر ، محدودا في سوريا ، بادئا في الاقطار العربية الاخرى ، عندما بدأ الاخوان يتعرضون لضغط شديد في مصر . وفي ديسمبر سنة ١٩٤٨ حلت الجماعة في مصر وصودرت ممتلكاتها وأموالها ، واضطهد رجالها . وحين قتل النقراشي بعد هذا بقليل ، اتهمت الجماعة بقتله فزاد موقفها حرجا . ولم تنقشع هذه الغيمة الا عندما عاد الوفديون للحكم سنة ١٩٥٠ ، فأعيدت لهم بعض اموالهم ، واخذوا يستردون حريتهم شيئا فشيئا ، واشتركوا بعد هذا ــ وقد

عادت كتائبهم الى نشاطها سنة ١٩٥١ ، اثر الغاء المعاهدة المصرية البريطانية ـ في مقاومة القوات البريطانية المحتلة .

وقد حدث للجماعة في سورية ما حدث للجماعة في مصر ، فحلت بدعـــوى الاشتغال في السياسة بتاريخ ٢٧ـ١ـ١٩٥٢ ، ولكن الضربة القاصمة التي وجهت اليهم كانت بعد اتهامهم بمحاولة قتل الرئيس جمال عبد الناصر في تشرين الاول سنة ١٩٥٤ .

من مميزات هذه الحركة

اولا : انها حركة اسلامية بروحها ، اسلامية بغاياتها ، تهدف الى تكوين المواطن المسلم ، والى تكوين الدولة الاسلامية .

ثانيا : انها منظمة تنظيما دقيقا مثل الحركات السياسية ذات الشأن (النازية والفاشية والشيوعية) وأنها تعتبر هذا التنظيم وسيلتها لبلوغ اهدافها .

ثالثا : انها تؤمن بالتطور والتدرج ، كما تؤمن باستعمال العنف ، ولكنها ربطت استعمال العنف بالحاجة اليه ، والحاجة موجودة دائما ولا شك .

رابعا : انها اعتبرت تحقيق الوحدة العربية مرحلة من مراحل دعوتها ، وأن هذه الوحدة لم تكن تعني قيام وحدة قومية بالمعنى العلمي الحديث بل ترابط اسلامي لبلاد تتكلم العربية .

خامسا : انها كانت تعتقد ان الاسلام كفيل بحل مشاكل العصر ومجابهـــة الشيوعية وغيرها بأحسن منها .

سادسا : انها كانت تثير روحا اسلامية عاصفة ، ولكنها في الوقت ذاته كانت تدعو للمحبة والتآخي بين جميع فئات المواطنين .

سابعا : انها كانت لا تؤمن بضرورة وجود الاحزاب ، وتدعو لالغائها ، لعـدم فائدتها .

ثامنا : انها حركة دينية تربط الدين بالدولة ، والرياضة ، بالاقتصاد ، بالفتوة؛ وقد قال البنا في خطاب له : «ان الاخوان دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية ثقافية ، وشركـــة اقتصادية وفكرة اجتماعية» (١) .

جذورهـــا

وجدت هذه الحركة جذورها في صدور الملايين من ابناء الامة العربية ، والامم

---

١ ـ رسالة المؤتمر الخامس للامام حسن البنا ـ دار الكتاب العربي بمصر ـ صفحة ١٤ ـ ١٦ .

الاخرى التي تعتنق الاسلام . وليس بدعا ان ترى الملايين المضطهَدة المعذبة القلقة في الاسلام فتوحا وبطولات ، ففتوح الاسلام وبطولاته ما زالت تحيا في اذهانها ، وكان يجرها الى هذا المصير ما هي عليه من تخلف في التفكير واضطراب في القيم، وضنك في العيش، وما كان يبديه الاستعمار ودعاة التجديد من تحديات للاسلام. هذا من جهة ، اما من الجهة الثانية ، فقد كانت هذه الملايين تعيش في فراغ عقائدي ، وليس من السهل ان تملأه دعوات سياسية غير ناضجة ، ودعة أغرار يتخبطون . هذا زيادة على ما كانت تثيره كلمة الجامعة الاسلامية من معاني القوة والاعتزاز في نفوس المستضعفين المُستعمَرين .

آثارهـا

كان لهذه الحركة اثرها في الحياة العربية المعاصرة ، وكان من اهم ما فعلته :

أ ــ دفاعها عن اللغة العربية ، لغة القرآن ، وتصديها لبيان اخطار الحضارة الغربيـة .

ب ــ اصرارها على اعتبار التنظيم الشعبي العقائدي من ضرورات العمل الديني والسياسي .

جـ ــ حركت بواسطة الدين اوساطا كثيرة راكدة ، لم يكن من الممكن استثارتها الا بواسطة الدين ، وقد أدى انتشار الدعوة في اوساط العمال والفلاحين ، الى توسيع آفاق هؤلاء في مجال السياسة وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم ، وحقوق حاكميهم وواجباتهم ، وان كان هذا التعريف من وجهة نظر دينية غير منسجم مـع روح العصر .

واشترك الاخوان المسلمون اشتراكا فعالا ، في حرب فلسطين ، كما اشتركوا اشتراكا فعالا في حرب الانكليز للجلاء عن مصر ، وكانوا جادين في دعوتهم لتحرير وادي النيل ، والاقطار العربية والاسلامية ، وقد لاقوا الكثير من العنت والاضطهاد، ومما اقترحوه توحيد الانظمة العسكرية في الجيوش العربية .

التناقضات

الاخوان المسلمون حركة دينية تعتمد في دعوتها على جماهير الشعب ، ولكنها في الوقت ذاته آمنت بضرورة اعادة الخلافة ، وعملت من اجل ذلك . والخلافة بمفهوم العصر الحديث من تراث «الثيوقراطية» ● هذا بالاضافة الى ان هذا العصر يتجه الى«العلمانية» اتجاها حثيثا، وطبيعي ان تكون اية حركة دينيةمجرد ردة فيه.

اما في داخلها ، فان ما يلفت النظر حقا هو الصلاحيات المطلقة التـي كـان المرشد العام يتمتع بها ، وقد عزا بعضهم هذا الى قوة شخصيـة البنا مؤسس الحركة . ولكن الحقيقة غير ذلك ، فما يتمتع به المرشد العام ناتج عن طبيعة الدعوة.

ويبدو انها لم تكن اكثر من تيار حماسي ، ناتج عن استنفار مركز للعواطف ،

لانها لو كانت غير ذلك لاستطاعت ان تستمر في تطورها بعد سنة ١٩٥٤ .

الاخوان المسلمون والعروبة

العروبة بالنسبة للاخوان المسلمين لفة فقط ، والعرب ليسوا امة ، انهم جزء من الامة الاسلامية . وقد جرهم اعتقادهم هذا ، المرتبط بتفكيرهم الديني السلفي، الى معاداة الحركة العربية الحديثة . وكانوا يطرحون شعار الامة الاسلامية كبديل لشعار القوميين العرب ، امة عربية واحدة ، وشعار الاشتراكية في الاسلام بديلا عن شعار الاشتراكية العربية ، والشيوعية ؛ وقد عادوا في الحركة العربية الحديثة، اتجاهها القومي وعلمانيتها ، معتبرين ان هذا الاتجاه وهذه العلمانية من «صادرات الغرب الاستعماري» (١) .

ب ـ الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية

مقدمـة

مرت الحركة الشيوعية في الوطن العربي بمراحل خمس :

١ ـ من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٣٣ ، وهي مرحلة التكون .

٢ ـ من سنة ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٤٧ ، وهي المرحلة التي تقع ما بين استكمال الاحزاب الشيوعية لشخصيتها ، وتغيير موقفها من قضية فلسطين .

٣ ـ من سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٥٥ ، وهي المرحلة التي كانت فيها مؤيدة لتقسيم فلسطين ، معادية لسياسة الحياد وللفكرة القومية العربية .

٤ ـ من سنة ١٩٥٥ حتى سنة ١٩٥٨ ، وهي المرحلة التي بدل فيها الشيوعيون شعاراتهم فأخذت صحفهم تنادي بالقومية العربية والحياد الايجابي .

٥ ـ من سنة ١٩٥٨ حتى سنة ١٩٦١ ، وهي المرحلة التي قاوموا فيها قيـام الجمهورية العربية المتحدة ، وايدوا الانفصال .

المرحلة الاولى

كان قيام الاتحاد السوفياتي سنة ١٩١٧ ، بشيرا للعمال والفلاحين والمضطهدين في كل انحاء العالم . وقد لاقى قيام اول دولة اشتراكية تأييدا وعطفا في كـل الاوساط الشعبية ، كما ان موقف لينين من تحرير الشعوب المستعبدة لفت انظار

---

١ ـ اعتمدنا في هذا البحث على مراجع عدة اهمها : الاخوان المسلمون لاسحق موسى الحسيني، ورسالة المؤتمر الخامس للامام الشهيد حسن البنا .

متنوري هذه الشعوب الى دولة تتبنى قضاياهم وتناضل من اجل تحريرهم .

ومنذ هذا التاريخ بدأت الصحف والمجلات العربية تكتب عن ماركس ولينين والدولة الاشتراكية الجديدة . وكان ان نتجت عن ذلك رغبة في تتبع هذه الحركة الاجتماعية الثورية والتعرف على اغراضها وأساليبها .

وصادف في هذه الفترة (١) ان قامت الاممية الثالثة ، وكان من برنامجها تنظيم الحركة الشيوعية في العالم وقيادتها ، وقد اخذت تبث رسلها في كل مكان ، ونزل بعض رسلها في الوطن العربي ومنهم جوزيف روزنتال الذي جاء مصر سنة ١٩٢٢ ، هو وابنته شارلوت ، وأقام فيها على انه هارب من الالحاد والاضطهاد ، و«بطرس ابو ناصر» الذي جاء العراق سنة ١٩٢٩ ، وعمل خياطا في الناصرية .

وكانت الهجرة اليهودية تدفع الى فلسطين كل سنة بآلاف من ابناء الشرق والغرب ، ومن بين الوافدين شيوعيون عملوا على تنظيم الحركة الشيوعية في فلسطين والبلاد العربية المجاورة ، ومن هؤلاء «بيرجر» و«الياهوتيبر» اللذان نظما الحركة الشيوعية في سوريا ولبنان .

التقى هؤلاء الرسل بالشباب القلق المتحمس الناقم على الاستعمار ، ومن التقاء هؤلاء بأولئك تكونت الخلايا الاولى للشيوعية ، وكان على رأس هؤلاء الشباب يوسف يزبك .

وعلى الرغم من ان الحركة الشيوعية لم تبدأ في مصر الا سنة ١٩٢٢ مع وفود روزنتال ، ولم تبدأ في سوريا ولبنان الا سنة (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤) .الا ان الشيوعيين هنا وهناك نظموا مهرجانات سنة ١٩٢٥ بمناسبة عيد العمال في اول ايار ، وسجن بعضهم من جراء ذلك .

وقد ظلت هذه المرحلة تبشيرية ، الا انها انتهت بوصول بكداش الى سكرتارية الحزب في سوريا ولبنان وابعاد فؤاد الشمالي ، وتأسس الحزب الشيوعي العراقي بعد رجوع يوسف سلمان من الاتحاد السوفياتي .

المرحلة الثانية

مرت بالامة العربية خلال هذه الفترة أحداث جسام ، ولا بد من عرض موقف الشيوعيين منها لكي يبدو الوجه الحقيقي للحركة ، وهذه الاحداث هي : أ ـ مشروع المعاهدة السورية الفرنسية سنة ١٩٣٦ . ب ـ سلخ لواء الاسكندرون . جـ ـ ثورة العراق سنة ١٩٤١ والموقف من الحلفاء . د ـ القضية الفلسطينية . هـ ـ قضية الجزائر ومذبحة سنة ١٩٤٥ .

أ ـ مشروع المعاهدة السورية ـ الفرنسية .

وقف الحزب الشيوعي موقف المؤيد لهذا المشروع ، وقد قال خالد بكداش في

---

١ ـ سنة ١٩٢٢ .

هذا الموضوع سنة ١٩٣٩ ، اي بعد ان سلخت فرنسا لواء الاسكندرون ومنحته لتركيا ، «اما الذين يحاربون مبدأ التحالف مع فرنسا ، ويسعون بكل الوسائل لعرقلة تحقيقه ، هم : هتلر وموسوليني من جهة ، والفاشست الفرنسيون (اي عملاء هتلر في فرنسا) من جهة ثانية ، وعملاء الرجعية الانكليزية التي تريد الانفراد بالسيطرة على الشرق العربي من جهة ثالثة ، ومع كل هؤلاء بعض الشباب العرب الذين لا يدركون معنى الخطر الفاشي وأهواله ، ويجمحون وراء رغباتهم الخيالية ، ولا يفهمون ارتباط مصير بلادنا بمصير الحركة الشعبية الديموقراطية في فرنسا وكل بلاد الغرب» (كتاب طريق الاستقلال) .

وهذا الكلام يعبر احسن تعبير عن موقف الحزب الشيوعي الذي تبنى مشروع المعاهدة ودافع عنه حتى النهاية . وكان يكفي الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ان تحكم الجبهة الشعبية في فرنسا ، وان تصوت هذه الجبهة «ضد الفاشستية والحرب في سبيل الخبز والسلام » حتى يدافع الحزب الشيوعي عن فرنسا «الديموقراطية» . مع العلم ان نظرة فاحصة كانت كافية للاثبات بأن الجبهة الشعبية كانت أضعف من ان تستمر وأعجز من ان تحقق للشعوب المستعمَرة استقلالها . فالجبهة الشعبية نفسها وقفت مكتوفة الايدي ازاء نضال الشعوب في المستعمرات، واكتفت بموقف الحياد اثناء العدوان الفاشي على اسبانيا . وخلال حكم الجبهة هذه ، ارتكبت جيوش فرنسا ابشع جرائمها في الجزائر سنة ١٩٤٥ .

ب ـ سلخ لواء الاسكندرون .

وقد وقف الشيوعيون الموقف عينه من مسألة سلخ لواء الاسكندرون ، فاكتفوا قبل سلخه بأن اشاروا الى انه لا يجوز ان تكتسب فرنسا صداقة تركيا على حساب سوريا ، ولكنهم صمتوا فيما بعد ، ففرنسا التي ارتكبت هذه الجريمة ليست فرنسا الجبهة الشعبية ، فرنسا التي يحبون .

ج ـ ثورة العراق سنة ١٩٤١ .

رفضت القوى العربية الثورية في جيش العراق سنة ١٩٤١ ، ان يكون العراق مقرا او ممرا لقوات بريطانيا ، وكان هذا الموقف من وجهة النظر العربية استقلاليا ثوريا ، يدل على جراة واخلاص . ولم تستطع بريطانيا ان تقبل هذا التحدي ففضلت ان تدخل العراق غازية .

أيد الشيوعيون موقف حكومة رشيد عالي الكيلاني والضباط الاحرار لاول وهلة، ولكنهم تراجعوا عندما دخل الاتحاد السوفياتي الحرب الى جانب الحلفاء ، فعادوا الثورة واعتبروها «فاشية نازية» وظلوا يعتبرونها كذلك حتى الآن .

د ـ القضية الفلسطينية .

رفض الحزب الشيوعي التقسيم رفضا باتا ، وقد جاء هذا واضحا في مذكرة بكداش لمؤتمر بلودان سنة ١٩٣٧ ، وطالب بكداش في هذه المذكرة بما يلي :
١ ـ رفض التقسيم رفضا باتا ، ٢ ـ وقف الهجرة الصهيونية ، ٣ ـ منع بيع الاراضي ، ٤ ـ اقامة نظام دستوري ديمقراطي يضمن انتشار السلام والهدوء في فلسطين .

ولكن الحزب الشيوعي في الواقع كان ينادي بالتقسيم . تقول جريدة الحزب آنذاك (١) :

«اما العرب فعندما يرفضون التقسيم يقدمون بالوقت نفسه مشاريع عمرانية مقابلة ، فهم يطلبون وضع حد للسياسة الامبراطورية الاستعمارية ، واعطاء سكان فلسطين العرب واليهود ايضا حقوقهم الديمقراطية المحرومين منها ، وتشكيل مجلس يتألف من ممثلي الشعب لاجل التشريع بشكل ديمقراطي ، وبدون قيد فيما يختص بتقسيم الاراضي والهجرة وجميع الامور وفقا لمصلحة جميع السكان في فلسطين » .

كما ايد الحزب الشيوعي ما سماه «المشروع العربي الذي تقدم به الامير محمد علي الوصي على العرش المصري». وينص هذا المشروع على ان تتكون دولة واحدة من سوريا وفلسطين وشرق الاردن يكون اليهود فيها اقلية لها نفس حقوق سائر المواطنين . وزعم الشيوعيون ان هذا المشروع حائز على تأييد الوطنيين في العالم العربي ، كما انه حائز على موافقة الشخصيتين البارزتين في العالم اليهودي ، السر هربرت صموئيل المفوض السامي في فلسطين وهو صهيوني ، والدكتور ماجنيس رئيس جامعة القدس العبرية سابقا .

ظل موقف الحزب الشيوعي هكذا حتى ايد الاتحاد السوفياتي التقسيم سنة ١٩٤٧ .

والجدير بالذكر ان موقف الشيوعيين في هذه المسألة مثل موقفهم في المسائل السابقة ، يرتبط بظروف خارجية وسياسات عالمية اكثر مما ينبع من قلب هذا الوطن . ويبدو انهم جهلوا ان الخلاف بين العرب واليهود لم يكن على شكل العلاقة بينهما ، بل على قبول هذه العلاقة اصلا ، كما يبدو ان الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية كانت تتجاهل وعد بلفور وانشاء الوطن القومي اليهودي وعلاقة الهجرة به (٢).

المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان

عقد المؤتمر الاول سنة ١٩٢٥ ، عندما كان الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان

---

١ ـ صوت الشعب ، العدد ٤٩ ، سنة ١٩٣٧ .
٢ ـ ناجي علوش : الماركسية والمسألة اليهودية ، دار الطليعة ، ١٩٦٩ .

ما زال يحبو . اما مؤتمر سنة (١٩٤٣ ــ ١٩٤٤) الذي عقد في بيروت خلال ٣١ كانون الاول و١ و٢ كانون الثاني فهو الذي يعطينا فكرة واضحة عن تطور الحزب واتجاهاته المبدئية والسياسية . ولهذا المؤتمر اهميته لما نتج عنه من اقرار النظام الداخلي ، والميثاق الوطني .

النظام الداخلي : كان من مبادئه التنظيمية الاساسية :

١ ــ تأليف هيئات القيادة على مختلف الدرجات بطريقة الانتخاب (م ــ ٤) .

٢ ــ حرية المناقشة في اجتماعات الحزب وخضوع الاقلية للاكثرية (م ــ ٧) .

٣ ــ اعتبار المؤتمر اعلى هيئة في الحزب ووجوب انعقاده في كل سنتين (م ــ ١٤) .

وقد اجازت (المادة ١٧) ان تختار اللجنة المركزية المندوبين بالاتفاق مع اللجان المنطقية، اذا كانت الظروف لا تسمح باجراء انتخابات .

ويقول الاستاذان محمد علي الزرقا والياس مرقص (١) وقد اعتمدنا عليهما في اقتباس الفقرات السابقة ــ ان هذا المؤتمر كان الاخير في حياة الحزب ، وان خالد بكداش استعمل (المادة ١٧) لتامين سيطرته على الحزب واستئثاره بالسلطة، على الرغم من ان هذه المادة «لا مثيل لها في الاحزاب اللينينية» .

الميثاق الوطني للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان

ليس في هذا الميثاق شيء من مبادىء الماركسية اللينينية ، فهو مجرد دعوة لتبني شعارات عامة ، يتبناها عادة القوميون والعناصر الوطنية المعتدلة . ان هذا الميثاق يدعو للمساواة والاستقلال وتأمين الحريات الديموقراطية العامة والفردية ، ورفع مستوى البلاد الاقتصادي ، وتحرير الفلاح السوري من التأخر والبؤس والجهل .. الخ .

وواضح ان مضمون هذه الشعارات ليس مضمون ثورة اشتراكية. لان الماركسية تطرح شعار الملكية العامة لوسائل الانتاج وشعار دكتاتورية البروليتاريا ، وهذه الشعارات لا تطرح مجرد تحديد الملكية عامة والملكية الزراعية خاصة، بل تكتفي بشعار تحرير الفلاح السوري من التأخر والبؤس والجهل ، كما ان الميثاق لا يطرح شعار ثورة العمال والفلاحين وحكم العمال والفلاحين .

اما في الميدان العربي فقد طالب الميثاق «بتوثيق صلات التضامن الوطني بين الشعوب العربية لتحقيق تحررها الوطني الكامل» (المادة ٣)، بينما نص الميثاق في

---

١ ــ صفحات مجهولة من تاريخ الحزب الشيوعي . نشر قسم منه في جريدة الصحافة .

المادة الرابعة ، على «توطيد الروابط الاقتصادية والثقافية بين سوريا وجميع الاقطار العربية الشقيقة » .

ويقول محمد علي الزرقا والياس مرقص في كتاب تاريخ الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ، ان هذا الميثاق تبناه الشيوعيون في لبنان وسوريا مع فرق بسيط واحد ، ففي المادة (٩) نص الميثاق على «إحياء التراث الفكري العربي» ، وقد تحولت كلمة عربي في ميثاق الحزب الشيوعي في لبنان الى «قومي» .

ويبدو ان المقصود من كلمة قومي ، ليس قوميا عربيا ، والا لما تغير النص ، بل ان المقصود في الحقيقة هو مسايرة الوضع الطائفي في لبنان الذي لا تروق كلمة «عربي» لبعض الفئات فيه .

ويرى محمد علي الزرقا والياس مرقص بأن هذا البرنامج «ليس برنامج الثورة الوطنية ـ الديموقراطية ، ليس برنامج العمال الاشتراكيين او جماهير الفلاحين الديموقراطية ، ليس برنامج العمال والفلاحين العرب في نضالهم من اجل التحرر والوحدة والديموقراطية والاشتراكية» .

وقد عمل الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان بهذه الروح . وعندما اشترك الحزب في الانتخابات سنة ١٩٤٣ ، قبل عقد المؤتمر ، رفع نفس الشعارات.وجاء في خطاب خالد بكداش بهذه المناسبة ، «ان القضية ليست في نظرنا اقامة نظام اشتراكي في لبنان او في سوريا ، وان كل ما نطلبه ، وما سيناضل من اجله نوابنا القلائل في المجلسين النيابيين في سوريا ولبنان هو ادخال بعض الاصلاحات الديموقراطية التي يتحدث عنها الجميع ، والجميع متفقون على ضرورتها ... ونؤكد لاصحاب الاراضي والملاكين اننا لا نطالب ولن نطالب في البرلمان مصادرة املاكهم واراضيهم ، بل على العكس مساعدتهم بطلب انشاء مشاريع واسعة للري وتسهيل استيراد الاسمدة واستعمال الآلة الحديثة ، كل ما نطلبه مقابل ذلك الرفق بالفلاح واخراجه من حالة البؤس والجهل ونشر العلم والصحة في القرية الخ .

هذه هي مطالبنا الاقتصادية او الاجتماعية اذا صح التعبير وهي ديمقراطية معتدلة جدا» (١) . وهي مطالب معتدلة فعلا .

تقاليد يكتسبها الشيوعيون

اكتسب الحزب الشيوعي تقاليد في الفكر والعمل ستظل طابع فكره وعمله ـ حتى هذا التاريخ ـ وهذه التقاليد هي :

اولا : الارتباط بالاحزاب الشيوعية خارج البلاد العربية والعمل حسب مخططاتها التي كثيرا ما تتناقض مع نضال العرب القومي .

ثانيا : تكريس واقع التجزئة في الوطن العربي بالدعوة للتضامن بين شعوب

---

١ ـ صوت الشعب العدد ٥٣٩ ، ٩ـ٥ـ١٩٤٣ .

عربية ، وبالاصرار على ان هنالك مجموعة من «الامم العربية» وليس امة عربية واحدة . وكانوا دائما يصرون على استعمال هذه الكلمات : الامة السورية ، الامة المصرية ، الشعب العراقي ، الشعب الاردني ، الخ .

ثالثا : تغليب الشعارات السياسية على الشعارات المبدئية ، وتغليب المكاسب المؤقتة حزبية كانت او لمصلحة الاتحاد السوفياتي على المكاسب العقائدية الدائمة .

بدا لنا ذلك واضحا في الاحداث التي عرضناها ، وسيبدو اوضح فيما سنعرض له .

المرحلة الثالثة
١٩٤٧ ـ ١٩٥٥

لهذه الفترة اهمية خاصة في التاريخ العربي . فهي تبدأ بعد اعظم نكبة مست كرامة العربي ، وهددت مجرد بقائه . ولقد كانت النتيجة هزة حرّكت أعماق الوجود العربي، واظهرت للجميع بجلاء ان النضال الشعبي المنظم في سبيل الوحدة والتحرر ضروري ضرورة النضال في سبيل الاشتراكية .

نكبة من هذا النوع من المفروض ان تحدث تغيرا اساسيا في المفاهيم الفردية والحزبية . ولكن الاحزاب الشيوعية العربية تبنت موقف الاتحاد السوفياتي الخاص بالتقسيم ، واصرت بعناد على انه الموقف السليم من القضية العربية في فلسطين . وعندما رفض بعض الاعضاء قبول مثل هذا القرار ، وانشق آخرون عن الحزب في سوريا ولبنان وعن عصبة العمل القومي في فلسطين ، قاومت الاحزاب الشيوعية بصرامة هذه «الميول الانتهازية» (١) .

واستمر الصراع بين القوميين بمختلف اتجاهاتهم ـ والشيوعيين على قضيتين مبدئيتين :

الاولى : مسألة الوحدة العربية والنضال في سبيل الوحدة .

الثانية : مسألة تقسيم فلسطين والاعتراف بدولة صهيونية .

وظل نضال الشيوعية خلال هذه الفترة يستهدف ما يلي :

أ ـ فضح الاتجاهات القومية والاشتراكية والدينية والرجعية .

ب ـ الدعوة للتعاون مع القوى الوطنية ضمن ما يسمى الجبهات الوطنية .

جـ ـ مكافحة الاستعمار الغربي ، والاميركي خاصة .

د ـ التركيز على الدور الذي يلعبه الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية في تحرير الشعوب ، ولهذا اعتبروا انفسهم حزب الامانة التامة لمعسكر السلم والاشتراكية .

هـ ـ رفض فكرة وجود «المعسكر الثالث» وهو وان كان قد بدأ رفضا لحياد

---

١ ـ انتفاضة الشعب العراقي لسنة ١٩٤٨ ـ خالد بكداش ، مطبعة العامل ـ بغداد .

حكام سوريا ولبنان ، من العناصر الرجعية ، الا انه كان الموقف الذي اتخـــذه الشيوعيون من جميع دعاة الحياد على الاطلاق .

وقد اوضح خالد بكداش في كتابه (حزب العمال والفلاحين) هذه الاهداف .

ولم ينجح الشيوعيون في اقامة اي تعاون مع اية فئة وطنيـــة الا في الفترة التالية لهذه الفترة .

ويجب الا يفوتنا ما بذلته الاحزاب الشيوعية مع القوى الوطنية في البـــلاد العربية من تضحيات في النضال ضد حلف بغداد . لقد كانت مساهمتهم فعالة في احباط المؤامرة الاستعمارية الرامية الى جر الاردن لقبول نير هذا الحلف .

حدث في تاريخ الاحزاب الشيوعية

حدثت في بداية هذه المرحلة انتفاضة الشعب العربي في العراق سنة ١٩٤٨ ، وقد كتب خالد بكداش دراسة حول الانتفاضة بتكليف قيـــادة الحزبين السوري واللبناني اعترف فيها بما يلي :

اولا : خطأ موقفهما من الرجعية الحاكمة . يقول خالد بكداش : «غير ان الحزبين لم يلحظا في الوقت المناسب انزلاق الاوساط الحاكمة والقائدة الى الرجعية بسرعة متزايدة على طريق التفاهم الوثيق مع الاستعمار الاجنبي . ولم يلحظ الحزبان في الوقت المناسب . ان هذه الاوساط هي التي تصبح يوما بعد يوم العميلة الرئيسية للتغلغل الاستعماري ، السياسي والاقتصادي» .

وهكذا تأخر الحزبان في كشف القناع عن السياسة الرجعية الموالية للاستعمار التي تنهجها الاوساط الحاكمة في دمشق وبيروت . تأخرا في فضحها امام أعين الشعب بصراحة وشجاعة .

فالخطأ الذي ارتكبه الحزبان هو تقدير التناقضات بين الجماعات القائـــدة والبرجوازية وبين الاستعمار بأكثر مما هي . وتقدير استعدادات هذه الجماعـــة للخيانة الوطنية والتفاهم مع الاستعمار بأقل مما هي .

ثانيا : ان الحزبين بذلا نشاطا واسعا من (فوق) «في الاوساط القائدة للاحزاب والجماعات السياسية الاخرى» وبين «الشخصيات»، غير انهما في الوقت نفسه لم يبذلا بصورة موازية لذلك نشاطا اكبر وجهدا اعظم من (تحت) اي بين الجماهير الشعبية . ولم تلبث الحوادث، وخصوصا خلال حملة «مكافحة الشيوعية» الاخيرة، ان برهنت ان العلاقات الطيبة مع الجماعات الفوقانية غير كافية، وان تأييد الجماهير الشعبية هو القوة الرئيسية في النضال ضد الاستعمار والرجعية» (صفحة ٢٢) .

الا يجوز لنا ان نربط بين هذه الحقيقة وبين موقف خالد بكداش من الرجعية في انتخابات ١٩٤٣ . وبين الميثاق الوطني للسنة ذاتها ؟ ان الذي يبدو لنا من خلال هذه الوقائع كلها روح برجوازية انتهازية ، أثرت على مسيرة الحـــزب الشيوعي ولم تزالت .

المرحلتان الباقيتان من تاريخ الحزب الشيوعي

سنتحدث عن المرحلتين الباقيتين في « المراحل التالية » من هذا الكتاب .

ج ـ ميلاد البعث العربي الاشتراكي

مقدمـة

الامة العربية قبل النكبة

بدات عوامل ثلاثة تتحكم بالامة العربية مع نهاية الحرب العالمية الاولى :

الاول : الاستعمار الاوروبي ، فلقـد احتلت المشرق العربي جيوش بريطانيـا وفرنسا . في الوقت الذي كانت مصر وليبيا وسائر بلدان المغرب ترزح تحت نير الاستعمار الاوروبي منذ امد طويل من قبل (١)

الثاني : التجزئة : فقد ادى اقتسام الغنائم بعد الحرب العالمية الاولى الى ان يصبح ما كان ولايات او متصرفيات في عهد الدولة العثمانية دولا، تخضع للاستعمار بشكل مباشر او غير مباشر .

الثالث : صنائع الاستعمار من الفئات الحاكمة . والتخلف الذي كانت تمثله وتدافع عن بقائه .

ولقد كانت ثورات ١٩١٩ في العراق ومصر ١٩١٨ و ١٩٢٥ في سورية ، ١٩٣٦ في فلسطين . وغيرها من الثورات الاستقلالية التحررية في المشرق والمغرب تحديا للاستعمار والتجزئة والرجعية والتخلف كلها او بعضها . ولكن النضال العربي منذ سقوط حكومة فيصل في سورية اخذ يتجه نحو الاستقلال اولا ، واصبح النضال من اجل الوحدة مرتبطا بنتيجة النضال في سبيل الاستقلال . ولهذا اصبح النضال من اجل الوحدة ضعيفا لايتعدى تصريحات «الساسة» وعقد المؤتمرات والتصريحات في المناسبات .

وكان يشغل الفئات القائدة والموجهة شاغلان :

١ ـ الاستقلال حيث لم يتوافر الاستقلال ، ومحاولة استكمال الاستقلال حيث ولد ناقصا .

٢ ـ الصهيونية وخطرها على الامة العربية ومحاولة تفادي هذا الخطر .

وبمقدار ما كانت هذه الظروف تدفع النضال العربي ، كانت تضع في طريقه العراقيل . وفي الوقت الذي اخذت فيه «الكيانات الهزيلة» توجد جذورا مصطنعة تضمن لها الاستمرار ، كان النضال الوحدوي هزيلا ضئيلا ، وكان النضال ضد الاستعمار فورات تفور سريعا وتفور سريعا .

اما الفئات القائدة ، من ابناء العائلات والاقطاعيين واصحاب المصالح فقد كان عداؤهم مع الاستعمار ينبثق من التناقض بينهما ، ويشتد او يضعف بمقدار ما يضعف هذا التناقض او يشتد . ولعل سياسة «خذ وطالب» هي السياسة التي

(١) مصر ١٨٨٢ ، ليبيا ١٩١٢ ، تونس ١٨٨١ ، الجزائر ١٨٣٠ ، المغرب ١٩١٢

اتخذوها مبدأ ساروا عليه ، فلم يأخذوا الا قليلا ، ولم يطلبوا الا قليلا .

ولقد فشلت كل الفورات لتتركز التجزئة، وليتركز الاستعمار ممثلا فيالرجعية والتخلف . وعندما تمت المؤامرة الدولية باقرار الهدنة مع الصهيونية كانت العوامل السالفة الذكر (الاستعمار ، التجزئة ، الرجعية والتخلف) قد دفعت الامة العربية الى قرارة الهاوية . وفي لحظة الهزيمة هذه ثبت ثبوتا قاطعا ، ان العرب خلال السنوات الثلاثين التي تلت الحرب الاولى،لم يحققوا أي قدر من الاستقلال ، وان دولهم وقياداتهم كانت مجرد اجهزة تابعة للدول الاجنبية .

من هنا بدأ البحث عن الاستقلال . وبدأ العمل من اجل الاستقلال .

بدأ العمل الجدي ضد الاستعمار والتجزئة والرجعية والتخلف في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية . ولكن هذه الظروف نفسها التي ادت الى النكبة كانت في الوقت ذاته تتمخض عن جيل الانقلاب . الجيل الذي ولدته نفس الظروف التي ولدت النكبة . وقد تمثل هذا الجيل بحزب البعث العربي الاشتراكي .

د ـ حزب البعث العربي الاشتراكي

مقدمة

التاريخ لهذا الحزب له اهمية خاصة . لانه كان الجواب العفوي على وجود الاستعمار والتجزئة والرجعية والتخلف . ولانه اعتبر نفسه مسئولا عن اعداد جيل البعث العربي الاشتراكي . في الوقت الذي كانت فيه الفئات الاخرى التي ترفض الواقع رفضا كليا كجماعة الاخوان المسلمين والاحزاب الشيوعية تتجاهل حقيقة البعث العربي الاولى . وهي ان على هذه الامة ان تؤكد ذاتها . رتستكمل وجودها، وان تبدأ اندفاعها من هذه النقطة .

المراحل التاريخية في حياة البعث العربي

مرت حركة البعث العربي بأربع مراحل تاريخية :

الاولى : من١٩٤١ الى سنة ١٩٤٧. وهي المرحلة التي سبقت المؤتمر التأسيسي الاول .

الثانية : من ١٩٤٧ الى ١٩٥٤ ، وتبدأ بمؤتمر سنة ١٩٤٧ التأسيسي وتنتهي بالانقلاب على الشيشكلي .

الثالثة : تبدأ بمؤتمر سنة ١٩٥٤ وتنتهي باعلان حل الحزب في سورية سنة ١٩٥٨ .

الرابعة : وتبدأ بحل الحزب في الجمهورية العربية المتحدة وتنتهي بالنكسة الانفصالية في سورية . شهدت هذه المرحلة اخطر احداث الحزب ، وهي مؤتمر سنة ١٩٥٩ ، وانشقاق الحزب ، ومؤتمر سنة ١٩٦٠ ، وموقف الحزب

من الحركة الانفصالية في سورية ، ونضاله المتواصل في العراق لاجل الاطاحة بالسلطة .

المرحلة الاولى

في نهاية العقد الرابع من هذا القرن تم سلخ لواء الاسكندرون ، وهرب عدد من الشباب اللوائيين الى سورية . وفي دمشق اخذت الاحداث تجمعهم ، فشكلوا ما يمكن ان يسمى «حلقة قومية» . وكانت حركة الجيش في العراق سنة ١٩٤١ ، فتجمع عدد آخر من الشباب لنصرة العراق ، وبدأت حلقة قومية اخرى . واستقال سنة ١٩٤٢ الاستاذان ميشيل عفلق وصلاح البيطار من وظيفتيهما ، حيث كانا مدرسين في تجهيز دمشق ، ليعملا من اجل اعادة الحياة الى اوصال الامة العربية، وقد صدر عدد من المنشورات عن هذه الحركة باسم «حركة الاحياء العربي» .

ولما كانت اهداف الفئتين واحدة جرت اتصالات من اجل الاندماج . وقد تم الاندماج فعلا وسميت الحركة الجديدة «حركة البعث العربي» .

وقد ظلت مهمة الحزب منذ ١٩٤٢ ، حتى سنة ١٩٤٥ ، التبشير في اوساط الطلبة ، واصدار منشورات باسم منشورات البعث العربي . وفي سنة ١٩٤٥ ، وقبل العدوان الفرنسي على مدينة دمشق ، اجتمع اربعة اشخاص هم ميشيل عفلق ، وصلاح البيطار ، وجلال السيد ، ومدحت البيطار ، لاخراج الحركة ـ التي ظلت حتى الآن طلابية ـ من حيز الفكرة الى حيز العمل . ونتج عن هذا الاجتماع فعلا نوع من التنظيم ، وقد صدرت في السنة التالية (١٩٤٦) جريدة الحزب الاولى «البعث» .

وفي حماه كان اكرم الحوراني الذي نجح سنة ١٩٤٣ في الانتخابات النيابية يقوم بنشاط محلي موجه ضد الاقطاع . وفي سنة ١٩٤٦، جرى الاتصال بين حزب البعث العربي ، واكرم الحوراني والشباب الملتفين حوله للاندماج في حزب واحد. لكن المباحثات تعثرت فلم تؤد الى نتيجة .

وتنتهي هذه المرحلة ، مرحلة التكون ، بالمؤتمر التأسيسي سنة ١٩٤٧ .

المرحلة الثانية
المؤتمر التأسيسي سنة ١٩٤٧

انعقد في نيسان سنة ١٩٤٧ ، المؤتمر التأسيسي الذي انبثق عنه اول دستور للحزب .

وقد استمر الحزب بعد المؤتمر في قيادة الحملة الشعبية التي بدأها في المرحلة الاولى من اجل تأمين حرية الانتخابات ، وفضح الفئة الرجعية الحاكمة السائرة في طريق الانهيار . والذي يراجع جريدة البعث في هذه الفترة يجد حملات موفقة

على الرجعية الحاكمة . وعلى الرغم من ان الاندماج لم يتم بين حزب البعث العربي وحركة اكرم الحوراني ، الا ان الحزب دعم اكرم الحوراني في انتخابات سنة١٩٤٧ .

واستمر كفاح الحزب في سبيل بناء نفسه . ومقاومة الرجعية والمؤامرات الاستعمارية . وفي سنة ١٩٤٩ ، حدث الانقلاب العسكري الاول ، ولكنه بدل ان يزيل ظلامات عهد سابق ، جاء ليكون اشد ظلما وارهابا وخيانة ، وتعرض الحزب لحملة قاسية من الحكومة العسكرية الجديدة .

وكانت احدى مؤامرات الاستعمار في هذه الفترة «البيان الثلاثي الاميركي الانكليزي الفرنسي» الذي صدر سنة ١٩٥٠ . وقد اتخذ الحزب من تعليق الفئات الرجعية الحاكمة عليه بروح ايجابية وسيلة لشن حملة واسعة ضد هذا البيان ، وتوعية الشعب لمخاطره . وطرح الحزب خلال هذه الحملة شعار الحيد بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي ودعا العرب جميعا الى الاخذ به (١) . وبذلك يكون البعثيون اول من طرح فكرة الحياد بين المعسكرين في الوطن العربي ، تلك الفكرة التي لعبت دورا رئيسيا في المرحلة التالية كما سنرى .

ولم يلبث حسني الزعيم ان انتهى ليبدأ حكم الحناوي . تألفت في هذا العهد وزارة فوزي سلو وكان من اعضائها ميشيل عفلق . واكرم الحوراني . وكان على هذه الوزارة ان تواجه المشروع الاستعماري لاتحاد سورية والعراق . أيّد عفلق هذا المشروع تأييدا مشروطا،على اساس انه يتيح للحركة الشعبية ان تتحد في البلدين لمقاومة الاستعمار والرجعية،بينما عارضه الحوراني على انه مشروع استعماري رجعي يستهدف القضاء على الحركة الشعبية في سورية ، وجاء انقلاب الشيشكلي

---

١ ــ راجع مقالات صلاح الدين البيطار في جريدة البعث (سنة ١٩٥٠) ، خصوصا مقال «حول البيان الثلاثي» حيث يقول : «ولكن العرب يعلمون ان ليس لهم اية مصلحة في ان يقدموا بلادهم وأبناءهم قرابين للدفاع عن الاستعمار الغربي الذي كان وما يزال سبب فقرهم واذلالهم . وان مصلحتهم هي في الوقوف موقف الحياد التام تجاه الكتلتين اللتين تتنازعان النفوذ والسيطرة في العالم» . ومقال «السياسة العربية هائمة مستسلمة» . ومقال «العرب وموقفهم من النزاع الدولي حيث يقول : «فمن الناحية المبدئية يشارك العرب جميع الامم المحبة للسلام شريطة ان لا يكون سلام دولة او سلام كتلة تريد الهيمنة على العالم لتفرض على شعوبه النظام الاجتماعي الذي اخذت هي به ، فالعرب هم اذن في جبهة البلدان الحرة التي لا تجد حلا لمشاكلها في المعسكر الشيوعي ولا في المعسكر الغربي» . ويقول : «يجب ان يكون موقف العرب رمزا للشكوى من ظلم المعسكر الغربي واستعماره . وهو اولا موقف عفوي منسجم مع شعور العرب بفقدان العدالة عند قادة المعسكر الغربي ، ثم انه الى جانب ذلك موقف سياسي يدعم قضية العرب عند الدول الصغيرة في هيئة الامم المتحدة» . ويختم المقال بقوله : «عندئذ يكون موقف العرب الحيادي قد خدم قضيتهم وقضية العالم معا ، ويستطيعون بملء حريتهم ان يحققوا وحدتهم واشتراكيتهم ، ثم يدعمون السلام في العالم» . (أعيد نشر هذه المقالات في كتاب الاستاذ بيطار «السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق» ــ دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٠) . وكان ميشيل عفلق قد قال في مقال له بعنوان «سياستنا الخارجية» (جريدة البعث عدد ٢١٧ في ٢١ــ١ــ١٩٤٨) : «.. فسياسة الحكومات العربية يجب ان تكون سياسة حياد في النزاع القائم بين الكتلتين العالميتين» .

انقاذا لسورية من مخاطر هذا الاتحاد .

انتشار الحزب خارج سورية

تكون اول فرع للحزب خارج سورية في الضفة الشرقية من الاردن سنة١٩٤٨، اما مؤسسوه فهم من طلاب الجامعة السورية بدمشق ، نذكر منهم سليمان الحديدي المحامي، وأمين شقير، ومن الضفة الشرقية امتد الحزب الى الضفة الغربية فاستقطب عناصر نضالية ، مثل بهجت ابو غربية وعبدالله الريماوي وعبدالله نعواس . وكان من اول اعمال مؤسسي الحزب في الضفة الشرقية ان اصدروا جريدة «اليقظة» الاسبوعية التي كانت حربا على الطغيان والتآمر ، ولكن الطغيان حال دون استمرارها .

اما في لبنان والعراق فقد بدأ انتشار الحزب في هذه المرحلة ، ولكن نشوءه كان ابطأ ، وظل في لبنان محصورا في اوساط طلابية، بينما استطاع في العراق ان يستقطب بعض المثقفين القوميين من المستقلين ، ومن قاعدة حزب الاستقلال، وان كان مثل فروع الحزب الاخرى لحمته وسداه من الطلاب .

النضال ضد الشيشكلي

جاء الشيشكلي ليحول دون اتحاد سورية والعراق ، ولكنه سار في اتجاه استعماري آخر . وخاض الحزب معركة جديدة ضد حكومة عسكرية جديدة . هذه الظروف دفعت الحزبين ، حزب البعث العربي والعربي الاشتراكي ، الى الشعور بضرورة الاندماج ، وقد ألح نفر من ضباط الجيش الواعين على ضرورة الاندماج، فتم ذلك سنة ١٩٥٢ ، واصبح ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار واكرم الحوراني، ابرز قادة الحزب في سورية والوطن العربي .

وبدأ العمل الجد لانهاء دكتاتورية الشيشكلي ، وانكشفت الخطة الاولى فاعتقل عدنان المالكي وفرالقادة الثلاثة الى لبنان . ونتيجة ضغط حكومة الشيشكلي غادروا لبنان الى ايطاليا .

واستمر النضال ضد الشيشكلي ، وكان هناك مخططان للاطاحة به ، الاول نظمته الرجعية بقيادة حزب الشعب ، والآخر اعده البعثيون . واتفق ان عرف البعثيون خطة الرجعية لوجود قائد الانقلاب الرجعي ، ومصطفى حمدون قائد انقلاب البعث العربي الاشتراكي في قطاع عسكري واحد في حلب . ولما تخلف قائد الانقلاب الرجعي عن اعلان الانقلاب اعلنه مصطفى حمدون ، فتنازل الشيشكلي وغادر سورية وخرج المسجونون وبينهم الحوراني والبيطار وعفلق ، والتقوا في حمص مع غيرهم من الساسة ليبحثوا امر البلاد ، وليشكلوا حكومة جديدة . وفي حمص اختلف الحوراني وعفلق ، فكل منهما يريد ان يدفع صاحبه الى الحكم ويبقى

خارجا ، لتوريطه في مغامرة لا تعرف نهايتها . وفي غمرة الخلاف بين القادة الثلاثة افلت زمام الامور من ايديهم وعاد هاشم الاتاسي رئيسا للجمهورية وتشكلت وزارة رجعية . بينما كان يمكنهم لو اتفقوا ان يفرضوا الحكومة التي يريدون،او الاشخاص الذين يريدون على الاقل . لقد اختلفوا فكانت ثمرة النصر لغيرهم . وبدا الحزب يستعد لدخول معركة الانتخابات في سورية . وعندما ظهرت نتائج الانتخابات كان اكرم قد نجح مع قائمته باكثرية ساحقة في حماه . بينما سقطت كل القائمة التي هيأها الحزب في دمشق . وكانت امام الحزب في دمشق فرصة واحدة هي ان يدخل احد مرشحيه الانتخابات التكميلية (البالوتاج) . وقد تنزل الجميع لصلاح البيطار فنجح في الانتخاب .

احوال الحزب التنظيمية
من ١٩٤٧ الى ١٩٥٤

كانت الفوضى تزداد في صفوف الحزب في سورية خلال هذه المدة ، وذلك لعدم وجود نظرية في العمل اولا ، ونتيجة للخلافات بين الحوراني وعفلق ثانيا ، وبسبب عدم تقيد كل منهما بالقرارات وعدم خضوعهما للنظام الحزبي في الاتصالات ثالثا . اما في بقية الاقطار العربية ــ الاردن ، العراق ، لبنان ــ فقد كان التنظيم يسير بخطى ثابتة نحو التماسك والقوة . وكانت الاوضاع الارهابية في الاردن والعراق ، والعراق خاصة ، تزيد الاعضاء صلابة والحزب تماسكا . ولم تكن هنالك اية خلافات بين القادة في هذه الاقطار . ولقد كان لقطر الاردن نائبان في البرلمان هما المرحوم عبدالله نعواس ، والاستاذ عبدالله الريماوي منذ ١٩٥٠ . كما خاض الحزب في الاردن معركة باسلة ضد تزوير الانتخابات التي كانت تستهدف تهيئة الاردن لدخول حلف بغداد . وخاض الحزب في العراق معركة ضارية ضد حلف بغداد في السنة ذاتها . وكان يبدو للناظر وكأنما الحزب يتقدم بخطى واثقة نحو النصر (١) .

الا ان ظروف الحزب الداخلية والشروط الموضوعية المحيطة به كانت تجعل ذلك عسيرا .

هـ ــ ثورة مصر
مقدمة

كانت اعصاب «العربي» بعد النكبة تصطخب بمشاعر الغضب والنقمة، فالجرح

---

١ ــ سنتحدث عن عقيدة الحزب وتفكيره وأسلوبه في النضال وتناقضاته واخطائه في نهاية المرحلة الثالثة من تاريخه .

العميق الذي احدثته الهزيمة ظل ينزف ليفجر شعورا حادا بالمرارة ، يدفع هـذا الانسان المصاب في كرامته وشرفه، الى التأمل المستمر في اسباب النكبة ونتائجها، والبحث الجدي عن وسائل الخروج من دائرتها .

وبينما كان هذا التأمل وهذا البحث يزيدان الوعي الشعبي عمقا ووضوحـا، كانت هنالك فئات من المواطنين تعمل بدافع من هذه المشاعر الصاخبـة ، وتحت تاثير ظروف معينة للتعبير عن النقمة عمليا .

وكان الانقلاب الاول في سورية/الذي قام به حسني الزعيم،وأيدته الجماهـير الغاضبة الناقمة . ولكنه عندما فشل في التجاوب معها والارتفاع الى مستواهـا ، وعندما اخذت تتلاعب به المصالح والاهواء ، تنكرت له الجماهير تنكرا ادى ـ مـع الظروف التي سببته ـ الى حدوث الانقلابات الاخرى التي فشلت لنفس الاسباب.

وقد استمرهذا الصراع بين الوعيالشعبي وبين المحاولات غير الناضجة للخروج من الازمة ، هذا الصراع الذي انتهى بشكل من اشكاله في سورية عندمـا اطـاح الشعب بدكتاتورية الشيشكلي .

كان هذا الغليان الذي يتفجر في اعماق العربي عاما . فلقد اقبل ابناء الامـة العربية على المعركة بنفس الحماسة،وخرجوا منها بنفس الشعور بمرارة الهزيمـة وحدتها . فلم يكن غريبا ان تحدث انتفاضة العراق سنـة ١٩٥٢ وثورة مصر فـي السنة ذاتها .

واذا كانت انتفاضة العراق قد فشلت ، فان ثورة مصر هي التي استطاعـت ان تجتاز «مرحلة الفشل» ، وان تعبر عن هذا الغليان تعبيرا عمليا .

مراحـل الثورة

مرت الثورة بثلاث مراحل تاريخية :

الاولى : من سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٥٤ ، وهي مرحلة الاضطراب الداخلـي ، مرحلة البحث عن الطريق .

الثانية : من سنة ١٩٥٤ الى سنة ١٩٥٨ ، وهي المرحلـة التي تبدأ باشتـراك ثورة مصر في مؤتمر باندونج وتنتهي بقيام الجمهورية العربية المتحدة .

الثالثة : من سنة ١٩٥٨ الى سنة ١٩٦١،وهي تبدأ بالوحدة وتنتهي بالانفصال.

المرحلة الاولى
(١٩٥٢ ـ ١٩٥٤)

لم تكن للثورة هوية واضحة خلال هذه المدة ، مما جعل الجماهير العربية علـى الرغم من ان الثورة كانت تحاول القيام باصلاحات اقتصادية واجتماعية ، تنظـر

اليها بمنظار الريبة والحذر ، ولا سيما بعد ان فجعت بالانقلابات العسكرية في سورية .

وقد ساعد في ذلك ما يلي :

١ ــ ان ثورة مصر كانت مجرد شعور بالواجب ، مجرد محاولة للانتقام للحرية المهدورة والكرامة المهينة ، محاولة لم يكن وراءها تنظيم ثوري او نظرية ثورية. ويقول جمال عبد الناصر «ولكني اعترف ان الصورة الكاملة لم تتضح في خيالي الا بعد فترة طويلة من التجربة عقب ٢٣ يوليو» .

٢ ــ ان الجماهير لم تكن مهيأة للثورة فهي ناقمة غاضبة ، ولكن نقمتها لم تتحول الى طاقة ايجابية . الى قوة فاعلة . ويقول جمال عبد الناصر في هذا : «لقد كنت اتصور قبل ٢٣ يوليو ان الامة كلها متحفزة متأهبة ، وانها لا تنتظر الا طليعة تقتحم امامها السور فتندفع وراءها صفوفا متراصة منتظمة ، تزحف زحفا مقدسا الى الهدف الكبير» ــ ويقول : «ثم فاجأني الواقع بعد ٢٣ يوليو» (١) .

قامت الطليعة بمهمتها . وطال انتظارها . ولقد جاءتها جموع ليس لها آخر .. ولكن ما ابعد الحقيقة عن الخيال . وكانت الجموع التي جاءت اشلاء متفرقة وفلولا متناثرة (٢) .

اذن لم يكن عند الجماهير الا السخط . وهو اذا كان تربة خصبة للثورة ، فانه يظل خطرا عليها ان لم يتحول الى وعي ثوري له مؤسساته الثورية . وكان الوضع في مصر على نقيض ذلك . فالمؤسسات الحزبية هي التي كانت تتآمر على الوعي وتعمل على الانحراف به . يقول عبد الناصر : «وساعتها احسست وقلبي يملؤه الحزن وتقطر منه المرارة . ان مهمة الطليعة لم تنته في هذه الساعة ، وانما هي من هذه الساعة قد بدأت» (٣) .

كان على الثورة اذن ان تبدأ في العمل على خلق صلة وثيقة بالجماهير . واذا كانت هذه المهمة هي المهمة الرئيسية لكل ثورة اصيلة ، فانها المهمة التي تتطلب مسؤولية شاقة تحتاج الى التجربة والمراس والمرونة بمقدار ما تحتاج الى البصيرة الثورية والوعي العملي والعلمي .

ومذ عرفت قيادة الثورة هذه الحقيقة اخذت تحاول بكل وسيلة ان تركز السلطة في يدها وان تقضي على خصومها السياسيين ، أن تسحق مؤسسات (الوعي المنحرف) دون ان تحدد ما تريد عمله في المستقبل . الشيء الذي دفع الجماهير الى مزيد من الحذر والريبة والاتهام . فأساليب العنف التي اتبعت في القضاء على بعض الخصوم ، وممارسة الحكم البوليسي في الناحية الداخلية، وان

---

١ ــ جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة ، ص ٢٠ .

٢ ــ جمال عبد الناصر ، المرجع السابق ص ٢٠ ــ ٢١ .

٣ ــ جمال عبد الناصر : المرجع السابق .

كانت ضرورية لاستمرار الثورة ، وتأييد الشيشكلي في الوقت الذي كان فيه يشتبك في معركة ضارية مع جماهير الشعب العربي في سورية ، وعقد اتفاقية الجلاء التي عدتها جماهير الشعب العربي مساومة من الثورة ـ هذا من الناحية الخارجية ـ وان كان ليس من المحتمل ان يخرج الانكليز بغير هذه الطريقة ـ اقول، كل هذه الاشياء عرضت الثورة لمحنة قاسية ادت الى عزلها في المحيط العربي الشعبي ، والى عزلة في الداخل ، كان من الممكن ان ينتج عنها نكسة . ولكن شخصية رئيسها جمال عبد الناصر ، المتفتحة الواعية ، والمتطلعة الى العمل الايجابي اضفت على الثورة اصالتها ومنعت عنها النكسة .

و ـ حركة القوميين العرب
(١٩٤٨ ـ ١٩٥٤)

كانت هذه المرحلة مرحلة تكون بالنسبة للحركة التي نشأت في صفوف طلاب الجامعة الامريكية في بيروت.وقد رفعوا شعارات الوحدة والتحرر والثأر ، ولم يعرف لهم منهج او دستور ، ولا صدرت عنهم ـ خلال هذه الفترة ـ كتب توضح مبادئهم ، وان كان معروفا من احاديثهم ومنشوراتهم انهم دعاة «حل سياسي» لمشكلة الوحدة . ولقد كانوا يؤمنون بان الوحدة يجب ان تتم بأي ثمن ، وقد دعاهم هذا لتأييد المشاريع الاتحادية الاستعمارية .

ولن نستطيع ان نوضح حقيقة هذه الجماعة الا في المرحلة التالية .

ز ـ احزاب وجماعات اخرى
بين الرجعية والاقليمية

عندما انتهت الحرب العالمية الاولى ، كانت الاحزاب العربية مثل جمعية «العهد» وحزب العربية الفتاة قد انتهت وانفرطت تشكيلاتها . وحين فرضت التجزئة على العرب بدأت من جديد ، ولكنها كانت حركة استقلالية تحررية ليست عربية في تنظيمها ، وليس لها من المؤسسات ما يمكن ان يسمى شعبيا . وقد ظلت هكذا كل العقد الثالث ، اما في العقد الرابع (١٩٣٠ ـ ١٩٤٠) ، فقد نزع النضال نحو نوع من الحزبية ، وان كان مجرد تكتل مثل الكتلة الوطنية في سورية وكتلة العمل الوطني في مراكش ، وحزب الوفد في مصر : وهي تكتلات يقودها المثقفون «البرجوازيون» وابناء العائلات ، ولا ينظمها أي نوع من الالتزام الحزبي العقائدي. وابرز شعاراتها الاستقلال ، ومن شعاراتها التعاون والتضامن العربي . وكانت تحظى بتأييد جماهير الشعب لانخفاض مستوى وعي الجماهير ، ولموقف هذه الفئات العدائي من الاستعمار ، وان كان ليس موقفا ثوريا صلبا .

ولكن ميلاد بعض الاحزاب العقائدية مثل الاحزاب الشيوعية والحزب القومي

السوري الاجتماعي ، وحزب البعث العربي ، والحزب العربي الاشتراكي ، أدى الى تطور الفكرة الحزبية ، وانتشار مبدأ التنظيم الحزبي والعمل الحزبي ، وان كان هنالك اختلاف جوهري بين المنظمات في مستوى الوعي، ونوعه ، ومستوى التنظيم ونوعه وفي اهداف التنظيم ذاتها .

وخلال موجة التناقضات التي كانت البلاد العربية تعيشها منذ نهاية الحرب العالمية الاولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ونكبة فلسطين ، وتعبيرا عن هذه التناقضات من حرص الرجعية على استمرارها في القيادة لصيانة مصالحها، وحرص الاستعمار على ان تحكم الفئات التي تضمن مصالحه ، وقلق المثقفين الذين تفتحوا على صراع التيارات العالمية المتطاحنة ، ونقمة العمال والفلاحين لسوء احوال البلاد، وتحكم الرجعية والاستعمار واستغلالهما . ولهذا كله ولدت حركات ومنظمات عديدة بعضها يسعى لتكريس الواقع ، وبعضها يسعى لتهديمه ، بعضها اقليمي رجعي . وبعضها اقليمي تقدمي . بعضها عربي في فكرته وتنظيمه ، وبعضها عربي في فكرته اقليمي في تنظيمه . بعضها شيوعي ، وبعضها اشتراكي وبعضها عدو للشيوعية والاشتراكية .

ونستطيع ان نصنف هذه الاحزاب والمنظمات كما يلي :

اولا : احزاب استقلالية اقليمية تجمع فئات متناقضة من ابناء الشعب الواحد، واهمها حزب الوفد في مصر ، وحزب الاستقلال (١٩٤٤) في مراكش ، وليست الكتلة الوطنية في سورية الا صورة مصغرة لمثل هذه الاحزاب، وكان ممكنا ان تصبح مثلها لولا بعض الظروف الخاصة .

ثانيا : احزاب اقليمية رجعية. نذكر منها حزب الاتحاد الدستوري وحزب الامة الاشتراكي وحزب الجبهة الشعبية في العراق ، وقد اسست كلها بعد سنة ١٩٥٠، وحزب الشعب والحزب الوطني في سورية اللذين اسسا سنة ١٩٤٨ ، وقد ضمت هذه الاحزاب كل الساسة المحترفين ، واعوان الاستعمار المعروفين مثل نوري السعيد ورشدي الكيخيا وناظم القدسي وصبري العسلي . وكانت هذه الاحزاب كلها تدعو الى شكل من اشكال الاتحاد بين الدول العربية .

ثالثا : احزاب اقليمية فاشية ، مثل حزب مصر الفتاة والحزب القومي السوري الاجتماعي ، ولا يجمع هذين الحزبين جامع غير التزام اساليب الارهاب . وقد دعا القوميون السوريون الى وحدة سورية الطبيعية، التي يشكل ابناؤها امة سورية تامة، كما دعوا لفصل الدين عن الدولة ولضرورة الاصلاح الجذري الشامل . ولكن قيامهم بأعمال مسلحة في لبنان ادى الى اعدام زعيمهم «انطون سعادة» وضعف حركتهم . كما ان اغتيالهم لرياض الصلح ولعدنان المالكي ، واصطدامهم بالحركة العربية التحررية ادى الى عزلهم نهائيا (١) .

---

١ ــ يعيش الحزب السوري القومي الاجتماعي صراعات منذ سنوات ، وقد نمت افكار وطنية وتقدمية في صفوفه .

ويكمن خطر هذه الدعوة التي ولدت ـ وعصبة العمل القومي القومية العربية في عام واحد (١٩٣٣) ـ في انها ارادت ان تنحرف بالوعي العربي الى وجهة غير وجهته الصحيحة . وكان مما ساعد على انتشارها ضعف الوعي العربي اولا،وتشوق جماهير الشعب الى أي نوع من الوحدة ثانيا ، وشعور المثقفين والعناصر الخيرة بالحاجة الماسة الى تنظيم عقائدي ثوري ، بعد ان ثبت فشل «الرجعية» واساليبها.

رابعا : احزاب قومية اقليمية مثل حزب الاستقلال في العراق ، وحزب النداء القومي في لبنان . ولقد نشأ حزب الاستقلال سنة ١٩٤٦ من فئات اضطهدت اثر هزيمة الحركة الشعبية في العراق سنة ١٩٤١ ، ومن ابرز قادة هذا الحزب صديق شنشل وفائق السامرائي : ولقد لقي عطفا وتأييدا في العراق الا ان سلوكه غير الثوري في القضايا الداخلية والعربية كالاشتراك في وزارة الصدر بعد وثبة سنة ١٩٤٨ ، والاشتراك في الانتخابات التكميلية سنة ١٩٥٠ ، بعد ان انسحب مع المعارضة من مجلس النواب، وتأييد مشروع اتحاد سورية والعراق سنة ١٩٥٠ ، كل هذا ابعد انصار الحزب عنه . وما أن دخلت فكرة البعث العربي العراق حتى اخذت تستقطب كل الجماهير الخيرة فيه .

وحزب الاستقلال قومي ولكنه اقليمي في تنظيمه ، اما فكرته العربية فتنحصر في «العمل على تقوية الجامعة العربية وجعلها عاملا في تكوين نظام اتحادي بين البلاد العربية» ، ولكن دعوته هذه تبدأ من الدعوة «لتعزيز كيان العراق الدولي باستكمال سيادته» .

وحزب النداء القومي وان كان اول اهدافه : «ايضاح الفكرة العربية ونشرها في داخل البلاد اللبنانية بحيث تصبح قاعدة لسياسة الدولة» ، فان من مبادئه «لزوم وجود كيان لبناني موحد مستقل ذي سيادة وطنية قومية في حدوده الحاضرة التي تقررت نهائيا سنة ١٩٤٣» .

ولئن كان ميلاد حزب الاستقلال تعبيرا عن الحاجة الماسة لمنظمة قومية ، فان وجود حزب النداء القومي ليس الا رد فعل للتفكير الاقليمي الانعزالي الطائفي في لبنان ، ولم يحظ هذا الحزب بالتأييد الذي حظي به الحزب الاول .

خامسا : احزاب اشتراكية ديمقراطية معتدلة مثل الحزب الوطني الديمقراطي بالعراق والتقدمي الاشتراكي في لبنان . ومن غايات الحزب الوطني الديمقراطي : «ان يعمل على تحقيق اصلاح عام في جميع نواحي حياة العراق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وفق تصميم علمي منسق شامل يستمد اسسه من المبادىء الاشتراكية الديمقراطية» . وقد استقطب هذا الحزب كثيرا من الشباب اليساري ، وعلى رأسهم كامل قزانجي الذي انشق عن الحزب فيما بعد ، وعمل في صفوفه عدد من الشيوعيين ، وعدد من اليهود ، فظل اتجاهه اقليميا حتى سنة ١٩٥١ ، عندما تبنى في دستوره مادة تنص على العمل من اجل تحقيق اتحاد البلاد العربية في دولة اتحادية (فيديرالية) . اما الحزب التقدمي الاشتراكي فقد ظلت سياسته الخارجية «غير عربية» حتى سنة ١٩٥٨ ، كما ان اشتراكيته ظلت مجرد

شعار يتفق مع مستوى الوعي في الحزب ونوع تنظيماته (١) .

سادسا : احزاب اقليمية طائفية مثل حزب الكتائب وحزب النجادة في لبنان، ولقد كان وجود الثاني رد فعل لوجود الاول ، الاول مسيحي لبناني ، والثاني عربي اسلامي ، الاول يكافح في سبيل بقاء لبنان بحدوده الحالية ويرفض رفضا قاطعا اية دعوة للوحدة او الاتحاد ، اما الثاني فدعوته عربية اسلامية غامضة. وليس حزب النجادة واسع الانتشار في لبنان . وربما كان ذلك راجعا الى ان ارتفاع مستوى الوعي جعل دعاة العروبة يلتفون حول فئات اكثر جدية في النضال من اجل الوحدة العربية مثل حزب البعث العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب .

---

١ ـ دراسات في الاشتراكية ـ لمجموعة من المفكرين (دار الطليعة ، ١٩٦٠) ص : ١٧٩ ـ ٢١٦ والعروبة والشعوبيات الحديثة ، لمحمد جميل بيهم ، ص : ١١٢ ـ ١٧٠ .

نظرة مقارنة

ان من يقرأ «برامج» هذه الاحزاب يجد ما بينها تشابها كبيرا ، فاذا اخذنا مثلا «السياسة العربية» ، وجدنا أنها كلها تنص على الدعوة لشكل من اشكال الاتحاد بين البلاد العربية : وسنبين هذا باقتباس مواد من دساتير هذه الاحزاب :

حزب الاستقلال : تنص المادة الاولى من باب سياسة الحزب الخارجية على ما يلي : «تعزيز كيان العراق الدولي باستكمال سيادته والعمل على تقوية الجامعة العربية وجعلها عاملا في تكوين نظام اتحادي بين البلاد العربية الخ» .

وتنص المادة (٣) على ما يلي : «العناية بالبلاد العربية كافة ، ولا سيما الاجزاء غير المستقلة منها ، وتمكينها من تقرير مصيرها وتحقيق استقلالها واتحادها مع دول الجامعة العربية» .

وتنص المادة (٤) على ما يلي : «ان فلسطين جزء لايتجزأ من الوطن العربي ويجب ان تبقى عربية الخ» .

فاذا ما انتقلنا الى حزب الاتحاد الدستوري . حزب نوري السعيد . وجدنا الفقرة (أ) في السياسة الخارجية تنص على ما يلي : «توثيق روابط الاخاء والتفاهم بين الدول والشعوب العربية ، وذلك بوضع وتشجيع المشروعات التي تستهدف تعزيز وتوسيع مختلف الصلات بين هذه الدول والشعوب.وتكفل تقدمها وازدهارها وسيرها متحدة لاستعادة مجد الامة العربية وانزالها المنزلة اللائقة بها بين امم العالم المتمدن» .

وتنص الفقرة (ج) على ما يلي : «مواصلة الجهاد لنصرة فلسطين وانقاذها ومكافحة الصهيونية لدرء اخطارها عن البلاد العربية» .

اما الحزب الوطني الديمقراطي فتنص الفقرة (ب) من برنامج سياسته الخارجية على ما يلي : «يعمل الحزب على تحقيق اتحاد البلاد العربية بدولة اتحادية (فيديرالية) » .

وتنص الفقرة (ج) على ما يلي : «يعمل الحزب على تحقيق استقلال البلاد العربية المحرومة من استقلالها وتحرير فلسطين بما يضمن حقوق وكيان شعبها العربي» .

ونجد مثل هذا «الكلام» في دستور حزب الامة الاشتراكي ، فالمادة (٢) من

برنامج سياسته الخارجية تنص على ما يلي : «تنظيم العلاقات بين العراق والدول العربية الاخرى على اساس اتحاد سياسي Federation يشملها جميعا ، على ان يبدأ هذا الاتحاد بالدول التي ترغب في الانتظام فيه . ويرى الحزب ان جامعة الدول العربية يجب ان تكون وسيلة لتحقيق هذا القصد» . ولا يختلف ما جاء في المادتين (٣ ، ٤) عما جاء في الفقرة (ج) من برنامج السياسة الخارجية في الحزب الوطني الديمقراطي .

فاذا اخذنا من سورية الحزب الوطني وحزب الشعب وهما اكثر الاحزاب رجعية وجدنا سياستهما القومية اكثر وضوحا وعروبة من سياسة حزب الاستقلال القومي : ونورد للايضاح ما جاء في باب السياسة القومية في دستور كل من الحزبين :

الحزب الوطني :

١ ــ ان العرب في انحاء وطنهم كافة امة واحدة . والسوريون جزء منها ، وسياسة الحزب تقوم على هذا الاساس .

٢ ــ ان الحزب يسعى الى تحرير سائر اجزاء الوطن العربي ، واستكمال سيادتها ، ويتضامن في هذا السبيل مع مختلف المنظمات والمراجع القومية .

٣ ــ ان الحزب يعمل على تمكين الروابط السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتشريعية وغيرها بين اجزاء الوطن العربي توصلا لتحقيق غاياته القومية على الوجه الصحيح .

والحزب يعتبر جامعة الدول العربية مؤسسة قومية يعلق عليها آمالا كبيرة في الاهداف القومية ويسعى لتقويتها وتعزيزها .

ويعتبر الصهيونية حركة عدائية خطرة على الكيان العربي ، يسعى بكل الوسائل لمناهضتها ، ويعمل على صيانة عروبة فلسطين وتحريرها .

حزب الشعب :

السياسة القومية :

العرب في مختلف ديارهم امة واحدة ، ذات كيان واحد ، تتوافر فيه عناصر الوحدة الشاملة من روحية وسياسية واقتصادية واجتماعية .

الى ان تتحقق الوحدة المنشودة يرى الحزب ان يسعى اليها بالطريقتين التاليتين :

اولا : اقامة اتحاد دولي بين سورية والاقطار العربية .

ثانيا : اتخاذ الجامعة العربية وسيلة الى :

أ ــ توحيد السياسة الخارجية في البلاد العربية وتوحيد التمثيل الخارجي .

ب ــ توحيد قوى الدفاع العربي في قيادته وانظمته .

ج ــ توحيد التشريع .

د ــ اعتبار بلاد دول الجامعة العربية وحدة جمركية .

هـ ــ اعتبار البلاد العربية وحدة اقتصادية وتوحيد المنهاج الاقتصادي .

و ــ توحيد مناهج التعليم .

ز ـ الغاء جوازات السفر بين دول الجامعة العربية .

ح ـ توحيد النقد العربي وتأسيس مصرف اصدار مشترك .

* مساعدة الاجزاء العربية التي لم تستكمل سيادتها بعد على استكمال هذه السيادة وبذل الجهود لتحرير الاجزاء الرازحة تحت نير الاستعمار .

* مقاومة تسلل النفوذ الاجنبي في شتى اشكاله وصوره الى أي جزء من اجزاء الوطن العربي .

* فلسطين بكاملها جزء لا يتجزأ من الوطن العربي وعلى سلامتها تتوقف سلامة هذا الوطن ، فيرى الحزب ان اول واجباته مكافحة الصهيونية والوطن القومي اليهودي فيها ، مهما كلف الامر من جهود وتضحيات .

* السعي لتنظيم وتوجيه الرأي العام العربي نحو الاهداف العربية المشتركة، وذلك بايجاد اتصال بين الاحزاب السياسية العاملة على تحقيق تلك الاهداف (١).

الامة العربية الواحدة والجامعة العربية

يلاحظ قارىء برامج هذه الاحزاب وغيرها ملاحظتين :

الاولى : اعتبار الامة العربية ، والدعوة للوحدة العربية مبدأ .

الثانية : اعتبار الجامعة العربية وسيلة لتحقيق اتحاد عربي . من هذه الاحزاب من اعتبره نهاية الطريق ، ومنها من اعتبره بداية الطريق نحو الوحدة العربية .

ولكن هذه الاحزاب كلها اقليمية في الواقع ، تمثل اصحاب المصالح في كل قطر عربي ، وتعمل لصيانة هذه المصالح . وهي لانها تعيش من «التجزئة» وتعتبر بقاءها مرتبطا بها ، ظلت تركز الحدود المصطنعة في الوقت الذي كانت ترفع شعارات الوحدة . كانت تزداد اعتمادا على الاستعمار واضطهادا للشعب كلما اشتدت الدعوة للوحدة العربية الشاملة .

وهذا ما يجعلنا نفهم لماذا بقيت الجامعة العربية هزيلة مفككة منذ تأسيسها حتى الآن .

الوحدة بين اليمين واليسار

لقد دعا حزب البعث العربي ، والحزب العربي الاشتراكي قبل سنة ١٩٥٢ ، وحزب البعث العربي الاشتراكي بعد سنة ١٩٥٢ للوحدة العربية الشاملة . كما تبنت حركة القوميين العرب هذه الدعوة ، بينما وقف منها الشيوعيون (٢) والاخوان المسلمون موقف المعادي المشكك ، وكان على دعاة الوحدة والمناضلين في سبيلها

---

١ ـ ساطع الحصري : «العروبة بين دعاتها ومعارضيها» ـ الطبعة الثالثة (دار العلم للملايين) .

٢ ـ الا في مواقف عارضة (وثائق ١٩٣١) مثلا .

ان يقفوا في وجه الاستعمار والرجعية وادعياء الدين والشيوعية .

وكان على الحركة القومية التقدمية ان تواجه دعاة الوحدة المزيفين المتربعين على كراسي الحكم ، بينما كان عليهم في الوقت ذاته ان يواجهوا الدعوات المعادية للوحدة في الشارع والبيت والمدرسة . ووزعت الحركة العربية قواها بين اعدائها في الشارع واعدائها في الحكم . وعلى الرغم من انها كانت ضعيفة التنظيم ، هزيلة الفكرة ، فقد استطاعت ان تخلق تيارا شعبيا ، اخذ في النمو والاتساع وما زال مستمرا في نموه واتساعه .

الفصل الثاني

المرحلة الثانية

(١٩٥٤ — ١٩٥٨)

مؤتمر باندونج ومعركة الاحلاف

بدأت فكرة مؤتمر باندونج في الوقت الذي كانت فيه فكرة الاحلاف الاستعمارية تشق طريقها الى الحياة . ففي الرابع والعشرين من شهر شباط عام ١٩٥٤ وقعت حكومة بغداد مع حكومة انقرة ميثاقا للتعاون المتبادل. وفي نيسان (ابريل) من السنة ذاتها اجتمع في كولومبو عاصمة سيلان ، رؤساء خمس دول هي : بورما والهند واندونيسيا وباكستان وسيلان ، وقد انبثقت في هذا الاجتماع فكرة عقد مؤتمر، يضم الدول الآسيوية والافريقية التي تناضل من اجل غد افضل . واذا كان معنى الاحلاف هو ربط مقدرات الشعوب الآسيوية والافريقية بعجلة الاستعمار ، فان المبدأ الذي قام عليه المؤتمر هو مقاومة التدخل الاجنبي في شؤون هذه الشعوب .

وقد دعيت للمؤتمر ثماني عشرة دولة ، من بينها تسع دول عربية ، هي دول الجامعة العربية ، وكان من بين هذه الدول العراق ، العضو الرئيسي في حلف بغداد .

السياسة العربية التقدمية
قبل المؤتمر وبعده

كانت حكومة الثورة في مصر قد اجرت اتصالات مع الحكومة الائتلافية في سورية قبل انعقاد مؤتمر باندونج لانتهاج سياسة عربية استقلالية موحدة ، تهدف لابراز الشخصية العربية وتعمل من اجل تقوية العرب . ولاقت هذه الدعوة قبولا من الحكومة الائتلافية في سورية . وبعد مباحثات سريعة اذيع بيان مشترك في

الثاني من آذار سنة ١٩٥٥ يبين ضرورة انتهاج سياسة عربية استقلالية موحدة. وتبع هذا البيان زيارة فورية قام بها وفد من مصر وسورية للبنان والاردن والسعودية والعراق . وكان ان تقبلت السعودية مبادىء البيان ، بينما آثر الاردن ولبنان ان يتظاهرا بالحياد . اما حكومة العراق فقد حاولت ان تقنع الوفد «بان الاتفاق العراقي التركي لا يخرج عن التعاون بين الجارين» . ولكن المفاجأة حدثت عندما انضمت بريطانيا للحلف بعد رجوع الوفد بقليل .

في مؤتمر باندونج

وعندما عقد مؤتمر باندونج في ابريل سنة ١٩٥٥ . كانت الدول العربية معسكرين : الاول تقوده مصر ويدعو لمقاومة الاحلاف ، والثاني يقوده العراق ويدعو لقبول الاحلاف . وظهر هذا الانقسام في المؤتمر نفسه جليا واضحا .

ويبدو ان (الدول الاستعمارية) قد استعملت دعاة الاحلاف في المؤتمر لتخريبه، على اعتبار انه اول ظاهرة من ظواهر نضج السياسة الاستقلالية التحررية في آسيا وافريقيا . ولكن المؤتمر نجح في تحديد اهدافه ، وعاد دعاة الاحلاف يجرون اذيال الخيبة .

وشهدت هذه الفترة التي تبدأ في شباط من سنة ١٩٥٤ . وتنتهي في تموز سنة ١٩٥٨ ، معركة كبيرة من معارك الدعاية والتجسس والتآمر والعدوان ، بين سياسة الاستقلال التحررية العربية ، وسياسة الاحلاف الاستعمارية .

وظلت الحركة التحررية ، على رأسها جمال عبد الناصر ، تكسب المعركة تلو المعركة ، حتى انهار معقل حلف بغداد، ومزق الشعب العربي في العراق جثث اكبر وأدهى عملاء الاستعمار في الوطن العربي ، عبد الاله ونوري السعيد وغيرهما .

ماذا كان يعني حلف بغداد بالنسبة للعرب

منذ اعلن حلف بغداد ـ انقرة سنة ١٩٥٤ والنشاط الدبلوماسي الانكلو ـ اميركي يعمل ليل نهار لفرض سياسة الاحلاف على الاقطار العربية . ولقد استطاعت الدبلوماسية البريطانية ان تكشف وجه حكام عمان عندما وافقوا على الانضمام للحلف . اما الدبلوماسية الاميركية فلم تجد مجالا في سورية نتيجة قوة التيار الشعبي التحرري ، وان كانت بعض الفئات الرجعية في سورية لم تتوان في اظهار عطفها على السياسة الاستعمارية الجديدة . ولما ثبت للاستعمار عجزه عن ان يجر سورية الى الاحلاف ، حاول ان يضمن حيادها . وحين عقد اجتماع الرؤساء في القاهرة لبحث اتجاهات السياسة العربية ، واتخاذ موقف من الاحلاف ، ذهب فارس الخوري رئيس وزراء سورية آنذاك للمؤتمر، وبدلا من ان يقف ضد الاحلاف وقف موقفا مشبوها . وعاد ليؤكد «بان الحلف العراقي التركي اذا لم يكن به نفع

فليس به ضرر على كل حال» . فسقطت وزارته ، وانتهت بذلك الحلقة الاولى من حلقات التآمر على السياسة العربية التحررية في سورية . واخذ المد الشعبي يشتد قوة واتساعا . واشترك حزب البعث العربي الاشتراكي في الحكم على اساس مقاومة الاحلاف وانتهاج سياسة عربية تحررية موحدة .

ونتج عن هذه السياسة :

اولا : البيان الثلاثي الذي وقعته مصر وسورية والسعودية ، والذي ينص في مقدمته على زيادة الوعي العربي زيادة ملحوظة . كما نص على انتهاج سياسة غير منحازة والتخطيط لمقاومة الصهيونية .

ثانيا : فشل سياسة الاحلاف في الاردن ،وتطهير الجيش الاردني من كلوب وعملائه ،والاتفاقات العسكرية والاقتصادية التي تلت ذلك بين الاردن ومصر وسورية والسعودية واليمن . واهم هذه الاتفاقيات اتفاقية التضامن العربي التي جعلت الاردن قادرا عن الاستغناء عن المعونة البريطانية .

ثالثا : عزل حكام بغداد ، وحصر السياسة «الحلفية» في العراق . وحشد القوى الجماهيرية لمقاومتها .

رابعا : ادى انتهاج السياسة الاستقلالية في مصر وسورية الى تحطيم «طوق التوازن » الذي فرضه الغرب على العرب ، للحد من قوتهم العسكرية ، وضمان تفوق اسرائيل عليهم . ومكنهم من شراء الاسلحة السوفياتية الحديثة .

خامسا : كما ادى الى تأميم قناة السويس . وهي من اكبر مراكز الغرب الحيوية في الشرق ، وكان تأميمها اجراء ثوريا لا يهدف لمصلحة اقتصادية ، بمقدار ما كان يدل على عقلية جديدة في مجابهة الاستعمار والتحرر من استغلاله .

ولقد كان حلف بغداد يهدف عكس ما حدث بالضبط ، فهو :

اولا : يهدف لتعزيز النفوذ الاستعماري في المنطقة . ولتركيز الحدود الاقليمية، وتثبيت الفئات الرجعية الحاكمة .

ثانيا : ربط العرب نهائيا بعجلة الرأسمالية الغربية .

ثالثا : جر العرب الى عداوة وهمية مع الاتحاد السوفياتي . والتمهيد بالاتفاق مع الحكام الرجعيين ـ لتصفية قضية فلسطين .

رابعا : تحويل الحكومات العربية الى اجهزة من اجهزة المخابرات الاستعمارية، وربط مقدرات البلاد العربية ربطا محكما بالاستعمار . وتحويل البلاد العربية الى مزرعة لمستغلي الغرب .

خامسا : عزل مصر والمغرب العربي عن بقية البلاد العربية ،وقتل فكرة الوحدة العربية ، بتقسيم الوطن العربي الى معسكرات ، وباستثارة الدعوة الاسلامية من جديد . وعلى هذا الاساس اصبح حلف بغداد حلفا اسلاميا .

ونتيجة لوعي الشعب العربي في عمان ودمشق والقاهرة وبغداد لهذا كله، فقد قاوم الحلف مقاومة عنيفة سقط فيها العدد الكبير من الشهداء . وبدات بعد هذا المؤامرات على الاردن وسورية ومصر . واخذت تفشل الواحدة تلو الاخرى ، وتتحطم امواجها على صخرة الوعي العربي .

ولما رأى الاستعمار القوة العربية تنمو والتضامن العربي يسير خطوات الى الامام ، قرر ان يستغل ازمة تأميم شركة قناة السويس ليضرب الضربة القاصمة، واخذ يماطل في المفاوضات ويعقد المسألة حتى يتهيأ الجو . وكانت الرجعية العربية وعلى رأسها نوري السعيد والعائلة الهاشمية الحاكمة في العراق آنذاك تلح على بريطانيا كي تضرب مصر ، «مصدر الشغب والفتنة» . فقد كان من رأي نوري السعيد ـ كما يقول ايدن في مذكراته ـ ان اية محاولة للقضاء على الشغب في الاردن لا تجدي ما دام مصدر الشغب موجودا ، اي حكومة الثورة في مصر .

وتمت المؤامرة وبدأ العدوان وكان يهدف الى ما يلي :

اولا : سحق قوى مصر العسكرية التي اصبحت القوة الضاربة الاولى في المنطقة ، والتي اصبحت امل العرب في تحقيق حريتهم ووحدتهم .

ثانيا : القضاء على عبد الناصر شخصيا حامل لواء التحرر والوحدة ، لانه جعل للشعارات التقدمية العربية معنى ، ولانه اصبح قائد الجماهير العربية .

ثالثا : القضاء على حركة التحرر العربية القائمة على اساس وحدوي اشتراكي.

رابعا : تمكين الرجعية العربية من السيطرة نهائيا على مقدرات الشعب العربي في كل مكان ، لتستطيع ان تحقق الصلح مع اسرائيل .

ولقد كان نوري السعيد يربط دائما بين حلف بغداد واجراء تسوية معاسرائيل، كما كان يصرح بأن اجراء مثل هذه التسوية لن يتم دون القضاء على حكومة الثورة في مصر .

وقبل العدوان كان موقف الدول العربية واضحا . ففيصل ملك العراق في زيارته للملك سعود ابدى تخوفه من ان تدخل الشيوعية الى البلاد العربية عن طريق القناة والاسلحة الروسية ، وتوفيق السويدي في اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اخذ يشكك في امكانية عبد الناصر على الوقوف في وجه بريطانيا. وعندما تم العدوان لم يتغير موقف نوري السعيد والفئة الحاكمة في العراق ، وانكشف ما تظاهروا به من تأييد لمصر ، عندما قمعوا المظاهرات الشعبية التي انطلقت تستنكر العدوان . وعندما انتهى مؤتمر الدول الاسلامية المشتركة في حلف بغداد ، المنعقد في انقرة بتاريخ ١٩ ، ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٧ ، صدر عنه بيان ينص على ما يلي :

اولا : ايجاد تسوية عاجلة لقضية فلسطين .

ثانيا : ضمان حرية الملاحة في القنال دون المساس بسيادة مصر ...

ثالثا : «ان النشاط الهدام مستمر بدون هوادة ، وهو يستهدف تقويض النظام والوضع القائم في هذه المنطقة . وقد اتفقت الدول الاربع على اتخاذ خطوات حازمة لمواجهة تحدي هذه الدعاية الهدامة المغرضة» .

رابعا : «لاحظ المجتمعون بارتياح ان مشروع الرئيس ايزنهاور للشرق الاوسط يقوم على اساس ادراك مدى الخطر الذي يتركه العدوان والتخريب الشيوعي في دول الشرق الاوسط ، وانهم يؤيدون تأييدا تاما الاجراءات التي انطوى عليها هذا المشروع في شكله الحاضر ، باعتباره يهدف الى حفظ السلم ، ويؤمن الرفاه

الاقتصادي لشعوب هذه المنطقة ، وانهم ينظرون بارتياح الى ان هذا المشروع لا يستهدف ايجاد مناطق نفوذ ، كما لا يستهدف استعباد شعوب الشرق الاوسط . وهم يؤكدون مرة اخرى في هذه المناسبة اهمية حلف بغداد وفائدته لمصالح المنطقة بأسرها وللسلم العالمي اجمع» .

خامسا : «قد استهجن المجتمعون تخريب انابيب النفط في سورية ، مما أضر باقتصاديات الدول ذات العلاقة ، وأوجد بالتالي مصاعب ومتاعب كبيرة ؛ وحثوا على التعجيل باصلاح الانابيب ، وقد أبدوا اسفهم لتأخر اصلاحها حتى الآن» .

ويلاحظ ان نوري السعيد ، واسرائيل ما زالت تحتل قطاع غزة ، كان يصر على ايجاد تسوية معها ، كما انه يصر على ان حلف بغداد ومشروع ايزنهاور الاستعماريين ضروريان لمصالح المنطقة وللسلم العالمي ، وأنهما وسيلة للقضاء على التخريب الشيوعي . ثم ان نوري السعيد نفسه «والدول الاسلامية» يستنكر تخريب انابيب النفط في سورية ، اما العدوان ، الهجوم المسلح ، التدمير الشامل، فلا يذكر عنه البيان شيئا .

الرجعية داخل مصر

وكانت الرجعية داخل مصر على موعد ، وما كاد العدوان يبدأ حتى ابلغت فئة منها الرئيس جمال عبد الناصر ضرورة تنازله عن الحكم صيانة للبلاد من دمار شامل . ولكن المؤامرة فشلت ، فلا الجيش أبيد في سيناء ولا عبد الناصر تنازل للمتآمرين ، الحريصين على «صيانة مصر من دمار شامل» .

ونستطيع ان نتصور النتائج لو نجحت المؤامرة كما يلي :

اولا : سحق حكومة الثورة والحركة الشعبية العربية التقدمية ، وربط البلاد العربية بالاحلاف .

ثانيا : سيطرة الغرب على قناة السويس من جديد .

ثالثا : بقاء اسرائيل في قطاع غزة .

ولادراك جماهير الشعب العربي يترتب على العدوان ، وقفت وقفة واحدة ضد الرجعية والاستعمار ، هاتفة للتحرر والوحدة وللرئيس جمال عبد الناصر ...

وترتب على العدوان المسلح شيئان : اولهما ، زيادة اندفاع الحركة القومية العربية ، وثقة الجماهير العربية بنفسها وبقيادتها ، والتفاف هذه الجماهير حول شعارات الوحدة والتحرر ، ونعلقها بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر . وثانيهما ، انكشاف الفئات العربية الحاكمة وهزيمة حلف بغداد ، ومشاريع اسرائيل لتصفية قضية فلسطين .

ولكن الاستعمار لم يلق السلاح ، ولم تكد المشاريع البريطانية تفشل هذا الفشل الذريع حتى كشرت السياسة الامريكية عن أنيابها حاملة الينا «مشروع ايزنهاور » ليسد «الفراغ» الذي عجز حلف بغداد عن ان يملأه . وباركت بغداد وبيروت المشروع الجديد ، ورفضته القاهرة ودمشق رفضا قاطعا . وبدأت معركة

أشد ضراوة ، سلاحها التآمر . وكان يزيد من ضراوة هذه المعركة خوف الاستعمار واسرائيل من ازدياد قوة التيار الثوري ، الوحدوي الاشتراكي .

أ ـ الحكم القومي في سوريا

لم تسفر الانتخابات النيابية التي جرت بعد الانقلاب على دكتاتورية الشيشكلي عن اغلبية او شبه اغلبية لحزب من الاحزاب . ولم يكن اي حزب من الاحزاب لهذا السبب قادرا على ان يؤلف الحكومة . وزاد المشكلة تعقيدا ان الاصوات كانت موزعة على عدد كبير من الاحزاب والهيئات ، وعلى عدد كبير ايضا من المستقلين . اما الاحزاب الكبرى فثلاثة ، حزب الشعب ، والحزب الوطني ، وحزب البعث العربي الاشتراكي ؛ الاولان رجعيان ، والثالث تقدمي . ولم تكن القوى التقدمية في المجلس النيابي الا قلة هزيلة ، فهي تتكون من اربعة عشر نائبا لحزب البعث العربي الاشتراكي ، ونائب للشيوعيين فقط . وهي بالطبع ليست شيئا بالنسبة للعدد الهائل من الرجعيين الذين يتربعون على كراسي المجلس النيابي . والجدير بالذكر ان المجلس خلا من العناصر الوسط ، او التقدمية غير الحزبية . في هذا الجو كان تأليف وزارة صعبا الا في حالة واحدة ، هي ان تتفق كل الفئات الرجعية في المجلس من حزب الشعب والحزب الوطني والمستقلين ونواب العشائر . ولكن هذا الاتفاق لم يحصل لثلاثة اسباب :

الاول : التنافس بين هذه الفئات ، هيئات وأفرادا ، على كراسي الحكم واستغلال الدولة والشعب .

الثاني : لعدم وجود انسجام كامل بين اعضاء الاحزاب وبين الاحزاب ، لاختلاف في مستويات التفكير والوعي ، وفي محاولة المحافظة على المصالح ، وفي تقدير خطر الشعب على هذه المصالح .

الثالث : ان المد الشعبي كان قويا ، وان اية فئة من الفئات او اي حزب من الاحزاب ، لم يكن جريئا على التحدي ورفع قناع الخيانة .

لهذا كله ، وبعد فترات من التعثر والحكم الائتلافي، بدأت فكرة التجمع القومي. ولم يكن ممكنا ان يقوم حكم قومي دون ميثاق ترتضيه الاحزاب والفئات جميعا . وقد تشكلت لجنة لهذا الغرض اراد لها الرجعيون ان تكون ممثلة لكل الاحزاب والفئات .. فجاءت من ثلاثين عضوا ؛ الا ان مندوب البعث العربي الاشتراكي الاستاذ اكرم الحوراني اعترض على تشكيل اللجنة ، «وبيّن انه لا يمكن التوصل لا الى الميثاق ولا الى اي اتفاق بمثل هذا العدد ، وارتأى الا يكون العدد اكثر من اربعة يمثلون الاحزاب الثلاثة (الشعب، الوطني، البعث) والمستقلين عامة. وعلى الرغم من هذا فقد جرت الموافقة على ان تكون اللجنة من عشرة، ناظم القدسي رئيس المجلس النيابي وأكرم الحوراني (ممثل البعث) وفيضي الاتاسي ثم احمد قنبر عن حزب الشعب ، وميخائيل اليان عن الحزب الوطني ، ومحمد العايش واسعد هارون عن

المستقلين ، وبدوي عبود عن الكتلة الديمقراطية ، وفيصل العسلي عن الحزب التعاوني الاشتراكي ، ومصطفى الزرقا عن الكتلة الدستورية ومأمون الكزبري عن حركة التحرير .

«وكان يقصد من زيادة العدد اغراق صوت البعثيين» . وقدم ممثل حزب البعث العربي الاشتراكي مشروع ميثاق واسع شامل ، فووفق على ان يكون اساس البحث؛ ولكن هذه الموافقة المبدئية لم تجعل البحث في مشروع الميثاق سهلا ، لان الرجعية لا يمكن ان تتنازل عن وجهات نظرها في السياسة الداخلية والخارجية . وسنقدم مقتطفات من التعليق الذي كتبته جريدة البعث في ذلك الحين على مناقشات لجنة الميثاق لاننا نرى في ذلك فائدة كبيرة (١) :

تقول البعث : «وبدأت المناقشات بعدم موافقة اكثرية اعضاء اللجنة على مقدمة مشروع البعث ، مع ان هذه المقدمة تنطوي على جوهر الميثاق ، ففيها :

١ ــ ربط الاستعمار بالصهيونية واسرائيل .

٢ ــ ربط التحرر بالوحدة .

٣ ــ ربط القضية العربية بمعركة الحرية التي تخوضها شعوب آسيا وافريقيا.

والذي يتجلى من رفضهم المقدمة انهم يعتقدون بامكان فصل الصهيونية عن الاستعمار الغربي ، وامكان محاربتها مع اغفال محاربته . بل قد يصلون الى فكرة امكان الاستعانة بالاستعمار الغربي لمحاربة الصهيونية واسرائيل ، وهذا ما يعلنه ايضا ساسة حلف بغداد ، وبامكان فصل معركة الحرية عن معركة الوحدة ؛ بل كأنهم يقولون بامكان الوحدة مع الاستعمار ، مع ان الاستعمار هو الذي يحارب ويثبت التجزئة ، وكذلك كان المنطق عندما عرضت مشروعات سوريا الكبرى والهلال الخصيب . كما انهم برفضهم فكرة ربط معركة الحرية العربية بمعركة الحرية في آسيا وافريقيا ، الى جانب رفضهم كل صلة بالكتلة الشرقية ، كأنما يدعون العرب الى البقاء تحت ظل الدول الغربية وبالتالي الاستعمار الغربي .

الاستعمار الغربي والشرقي

وبدىء بالمادة الاولى التي تنص في (مشروع البعث) على مقاومة الاستعمار الغربي والصهيونية واسرائيل ، فاقترح بعض الاعضاء ان يضاف الى هذه المادة «مقاومة الاستعمار الشرقي» . وعندما بيَّن مندوب البعث أن ليس بيننا وبين الكتلة الشرقية اية مشاكل قومية ، واننا غير خاضعين لا لاحتلال شرقي ، ولا لاستعمار او نفوذ شرقيين ابوا واصروا ، وانتهت المناقشة الى حذف لفظة «غربي» وأطلقت لفظة الاستعمار اطلاقا .

---

١ ــ جريدة البعث ، العدد ٣ في ٤ــ٥ــ١٩٥٦ .

ومما يلاحظ انه حين يبحث مواد الميثاق كانت تبرز دائما محاولات تهدف الى تصوير ان الاستعمار السوفياتي كالاستعمار الغربي سواء بسواء . وكذلك تحاول الدعاية الغربية دائما لتضع سدا بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الشرقية كيلا نتعامل معها ، فنظل محاصرين في الدائرة التي ضربها علينا الاستعمار الغربي؛ وترمي من وراء ذلك الى اعاقة تحرر العرب وتسلحهم وتصنيع بلادهم .

تحالف ضد الحزب الشيوعي

وكذلك كانت المناقشات دائما توجه صوب الحزب الشيوعي في سوريا ، وكأنها كانت هنالك محاولات لاقامة تحالف ضد هذا الحزب ، فكان جواب مندوب البعث دائما :

١ ــ لا يوجد حزب او سياسي وضح ببياناته واتجاهه الفرق بين مبادئه وسياسته وبين مبادىء الحزب الشيوعي وسياسته الا حزبنا .

٢ ــ ان لجنة الميثاق لم تجتمع لكي تنشر بيانا تسيء فيه الى الاتحاد السوفياتي، ويكون تبريرا للاستعمار الغربي ، واننا قد اعلنا الحياد بين المعسكرين الغربي والشرقي ، وان علينا ان نميز بين الاتحاد السوفياتي كدولة وبين النظرية الشيوعية والحزب الشيوعي .

٣ ــ نحن لم ننشىء حزبنا كي تكون وظيفته مكافحة الشيوعية ، كما تفعل احزاب أخرى خلقها الاستعمار لتقوم بهذا الدور ، وان لحزبنا نظريته وسياسته ، وهو يبشر بنظريته ويعمل على تنفيذ سياسته ويترك للشعب بعد ذلك ان يحكم عليه وعلى غيره .

٤ ــ ان الرجعية ومحاربة كل عمل جذري لازالة الاوضاع والانظمة السيئة هي التي تقوم ــ سلبيا ــ بالدعاية للشيوعية .

مناهضة الاحلاف ام عدم الانضمام لها

ودار نقاش طويل حول الفقرة (ب) من المادة الاولى التي تنص على «مناهضة الاحلاف العسكرية الاجنبية وكل سياسة تتجه في هذا السبيل ، باعتبارها تربط مصير العرب بعجلة الاستعمار وتفرض في الوطن العربي السيطرة الاجنبية وتساعد على استمرار التجزئة واحكامها» . وكان الاعتراض ينصب خاصة على لفظة (مناهضة) ، وطلب بعض اعضاء اللجنة ان يستبدل بها لفظة (عدم الانضمام) . وقال مندوب حزب الشعب «ان حزبه يختلف عن البعث في هذه النقطة ويعتبر ان سوريا غير قادرة على مناهضة الاحلاف» . وهناك طبعا فرق كبير بين مناهضة الاحلاف وبين عدم الانضمام اليها . وفي الحقيقة ان حلف بغداد قد توقف ولكن مؤقتا والى ان تحين الفرصة ، فاما ان نناهضه الى ان يتخلص العراق منه ، واما ان ينتهي الى

الامتداد الينا وربطنا مع العراق بقيوده . وأصر عدد من الاعضاء على حذف عبارة «باعتبارها تربط العرب ... الخ» لانهم لا يريدون ان يعترفوا بأن حلف بغداد يثبت التجزئة القائمة في الوطن العربي . واتفق اخيرا على ان تصبح الفقرة (مناهضة الاحلاف العسكرية الاجنبية وكل سياسة تتجه في هذا السبيل) » .

اتحاد مصر وسوريا

اما الفقرة (أ) من المادة الثانية التي تنص على «اعلان الاتحاد بين القطرين السوري والمصري ...» فلم يوافق عليها الا رئيس المجلس ، بصفته الشخصية وبعض الاعضاء . وقد كانت حجة ممثل حزب الشعب «ان اتحادنا مع مصر يخضعنا للتبعية ، وان صفة التبعية لا تزول الا بانضمام دول عربية أخرى للوحدة» . وكان جواب مندوب البعث : ان من يقسم على توحيد الاقطار العربية كما ينص الدستور لا ترد الى ذهنه فكرة التبعية ، لانه لا تبعية بين اجزاء الامة العربية بعضها لبعض. اما الآخرون فكانت حجتهم ان الاتحاد لا يتم الا بموافقة الطرفين ، وانهم يخشون ان ترفض مصر اذا اعلنت سوريا الاتحاد . فكان جواب مندوب الحزب : اولا : ان جمال عبد الناصر صرح للوفد البرلماني السوري اثناء زيارته لمصر ، ان مصر تذهب في قضية الوحدة الى الحد الذي تذهب اليه سوريا . ثانيا : ولو افترض نكوص حكومة مصر عن هذا الوعد ، فمن واجب سوريا ان تعمل كل ما بوسعها لاقناع مصر. وعندما استحال الاتفاق وأصر معظم الاعضاء على الرفض قبل مندوب الحزب بالنص الآتي «توسيع الاتفاق الثنائي مع مصر ... الخ» .

واستمر النقاش على هذا المنوال . محاولات مستمرة للدفاع عن الاستعمار وللتهرب من مواجهة الحقيقة ؛ فقد جاء في الفقرة (و) من المادة الثانية (تحرير الجيش الاردني من القيادة البريطانية بتقديم المساعدة المالية له) ولكن الرجعية طالبت باستبدال كلمة البريطانية بالاجنبية ... وجاء في الفقرة (ب) من المادة الثالثة «ممارسة سيادتنا الكاملة في الدفاع عن انفسنا وكياننا ووحدتنا بتسلحنا تسلحا حرا (من الدول المحايدة ودول الكتلة الشرقية) ، فرفض ممثلو الرجعية الفقرة الاخيرة : (من الدول المحايدة والدول الاشتراكية) » ، وكأن بامكاننا شراء الاسلحة من الدول الغربية !

تسريح العمال والفلاحين

وتتابع جريدة البعث في التعليق ذاته : «وكانت المناقشات الاخطر والتي دامت جلسات هي التي دارت حول المادة الثامنة من السياسة الداخلية ـ من تشريعات تمنع الفصل التعسفي في المعامل وتهجير الفلاحين من الاراضي التي يفلحونها» . وكانت الحجة التي احتج بها اعضاء اللجنة هي انه لا علاقة لهذا الموضوع بميثاق قومي وحكومة قومية تقوم على اساس مقاومة عدوان اسرائيل . وكانت حجة

مندوب البعث ان منع التهجير والتسريح التعسفيين يدخل في صميم المشكلة ، لانه كيف يمكن لجندي من عائلة فلاحية ، ان يحارب اذا كان يسمع كل يوم انباء عن تشريد عائلته من الارض التي تزرعها ؟ وكيف يمكن للعامل الذي لا يطمئن لغده ان يكون جنديا محاربا مستبسلا في سبيل الوطن الذي يجب ان يحمي له شرفه ولقمته؟

وقبل مندوب البعث اقتراحا لمندوب الحزب الوطني هو «ان يدفع للفلاحين المهجرين تعويض يعادل حصة الفلاح من الانتاج لعام واحد» . ولكن معظم اعضاء اللجنة رفضوا هذا الاقتراح ، وبعد مناقشات عنيفة اكتفي بالنص الآتي : «تحقيق العدالة الاجتماعية بتنفيذ الضمان الاجتماعي وبسن تشريع يحمي حقوق العمال والفلاحين وفق نصوص الدستور» . وقد حاول ممثلو الرجعية ايضا ان ينص الميثاق على منع الطلاب والموظفين من الانتماء للاحزاب السياسية ولكنهم فشلوا .

ويبدو من مناقشات لجنة الميثاق التي اقتطفنا جزءا منها أن الرجعية كانت تحاول ان تقف في وجه الاتحاد مع مصر ، وان تهادن دعاة الاحلاف وان تجعل شعار مقاومة الاستعمار ، وشعار الحياد الايجابي بلا معنى . وخرج الميثاق بعد هذه المساومات والتسويات عاما وان كان يبدو تحرريا في روحه ، منسجما مع رغبات الشعب في الكثير من نصوصه ، ولذلك فان مندوب «حزب الشعب» صرح بعد انتهاء المناقشات «بأن حزبه غير مقتنع بالميثاق وان كانت الظروف قد أملته عليه» .

وعلى الرغم من هذا كله فقد علقوا توقيع الميثاق حتى يتم تشكيل الوزارة ، وأرادوا من الوزارة ان تكون تجمعا لاصحاب المصالح لحماية مصالحهم ، والمحافظة على نفوذهم السياسي . وعندما تم تشكيل الوزارة رفضوا ان ينص في بيانها الوزاري على ذكر الاتحاد بين مصر وسوريا ، وعللوا ذلك بأن الاتحاد مع مصر هو شعار رفعه حزب البعث العربي الاشتراكي وهم غير مستعدين للانضواء تحت شعار حزبي...(١)

ولكن مجلس الوزراء اتخذ في الخامس من تموز سنة ١٩٥٦ قرارا بتشكيل لجنة وزارية لبحث موضوع الاتحاد مع مصر .

ولما كانت الوزارة غير متآلفة فقد استحال العمل . ومن هنا بدأ حزب البعث العربي الاشتراكي حملة لتأليف حكومة قومية اكثر انسجاما ، فكان ذلك ، وذكرت الحكومة الجديدة الاتحاد مع مصر في بيانها الوزاري .

ب ـ الرجعية ومقررات طهران السرية (٢)

بعد انتصار الشعب على الشيشكلي حاولت الرجعية ان تثبت أقدامها في سوريا فقامت بعدة محاولات اولها مؤامرة العقيد صفا ، وثانيها مؤامرة القوميين السوريين التي اودت بحياة عدنان المالكي ، وثالثها المؤامرة الرجعية التي تستر عليها

---

١ ـ جريدة البعث ـ العدد ٣ ، مناقشات لجنة الميثاق .

٢ ـ جريدة البعث ـ العدد ١٠ ، طريقة تنفيذ مقررات طهران السرية ـ اكرم الحوراني .

الزعيم شوكت شقير قائد الجيش السوري فذهب ضحية لها .

وكان من مقررات طهران السرية ان تستمر الرجعية في سوريا تحت ستار من الشعارات الوطنية لكي تستطيع بعد ان تستثير العناصر المعادية للشعب ان تضرب ضربتها . ولهذا استمرت الرجعية في «التعاون» مع الحركة العربية الثورية ، في الوقت الذي كانت تتآمر عليها ، وتسعى للقضاء على مكاسب الشعب الثورية ، وما مؤامرة الدكتور منير العجلاني وهايل سرور وفضل الله الجربوع الا استمرار لتلك المؤامرات .

ويؤكد الاستاذ اكرم الحوراني (١) بان الذين حاولوا الانحـــراف بالثورة على الشيشكلي والذين دبروا مؤامرة العقيد صفا ، والذين دبروا المؤامرة التي أودت بحياة المالكي،والذين دبروا المؤامرة على الزعيم شقير بعد ان تستر عليهم ــ يؤكد الاستاذ الحوراني ان الوجوه التي كانت وراء هذه المؤامرات كلها واحدة . وأنا أؤكد ان هذه الوجوه هي التي كانت وراء المؤامرة الاخيرة ، مؤامرة العجلانـــي وسرور والجربوع ، كما كانت وراء المؤامرة نفس الاسباب والدوافع والغايات التي كانت وراء المؤامرات السابقة .

لقد كان هدف الرجعية من التجمع القومي التآمر على الحركة الثورية العربية ، قصد منه تضليل الشعب،واشعاره بأن «الاحزاب» الرجعية ليست معادية له ولآماله، كي لا يؤدي عداؤها للشعب الى استيلاء الثوريين على الحكم بالقوة ، ولكن اندفاع الشعب ويقظة قيادته لم تدع للمتآمرين سبيلا .

ج ــ من قانون العشائر
الى قانون تهجير الفلاحين ... (٢)

بينما كانت سوريا تخوض معارك طاحنة مع الاستعمار ، كانت الرجعية تعمل ما في وسعها للتخريب . ولكنها كانت تحاول ان تظهر امام الشعب بمظهر المنسجم مع رغباته بينما كانت في الخفاء تتآمر على انتصاراته . ولقد طرحت اول ما طرحت قانون العشائر ، هذا القانون الذي يعيد مَن تحضَّر من البدو في عهد الشيشكلي الى بداوته الاولى . وعلى الرغم من ان عملا من هذا النوع يتعارض مع السياسة التي رسمها الدستور السوري لتحضير البدو ، وعلى الرغم من ان نواب حـــزب البعث العربي الاشتراكي قد بينوا خطورة اقرار قانون من هذا النوع ، فقد مضت الرجعية في مشروعها،وأقرّ القانون في الشهر الخامس من سنة ١٩٥٦ .

ولم تكن حالة الفلاحين افضل من حالة البدو،فهم يفلحـــون الارض دون اي

---

١ ــ جريدة البعث ــ العدد ١٣ ، المقاصد الحقيقية للحدث الاخير .

٢ ــ العدد ٢ من جريدة البعث ٢٧ــ٤ــ١٩٥٦ ، والعدد ٥ من جريـــدة البعث ٢٠ــ٥ــ١٩٥٦ ، والعدد ٤٥ من جريدة البعث ٧ــ٣ــ١٩٥٧ .

التزام من صاحبها . فاذا ما غضب على احدهم طرده وهو لا يملك شروى نقير ، فهام على وجهه في الارض يبحث عن لقمة شقاء تحفظ له الحياة . وكان على البعثيين الاشتراكيين ان يجدوا حلا للمشكلة ، ولما لم يكونوا اغلبية ، لم يكن ممكنا ان يطرحوا شعار الغاء الاقطاع وتوزيع الارض ، ولذلك فقد رفعوا شعار منع التهجير التعسفي . وأثيرت القضية في مباحثات لجنة الميثاق،ولكن الرجعية حالت دون اقرار نص بهذا المعنى ــ كما بينّا فيما سبق ــ وبعد عام كامل تقريبا استطاع نواب البعث ان ينتزعوا من مجلس النواب السوري قانونا من مادة واحدة هو : «ريثما يصدر تشريع يحمي الفلاحين من التهجير وفق المادة (٢٢) من الدستور ، يمنع تهجير الفلاحين من بيوت سكنهم» . وكان حزب البعث قد تقدم بمشروع قانون بهذا المعنى منذ بدء الحياة النيابية بعد الانقلاب على الشيشكلي . وحاولت الرجعية ان تمنع ادراج الاقتراح في جدول اعمال الجلسة (لتأخيره) ، كما حاولت ان تحول دون تنفيذه على اعتبار ان لجنة الزراعة لم تبحث موضوع منع التهجير ، ولما فنّد الحوراني مزاعمهم طلب رئيس الجلسة رفيق بشور رفع الجلسة ، كما طلب صبري العسلي ، وطلب مأمون الكزبري تأجيل التصويت ، ولكن المجلس صوّت لمصلحة مشروع القانون فصار قانونيا والرجعية مرغمة .

وهكذا كانت تسير المعركة بين الرجعية والتقدم ، بين العبودية والحرية .

د ــ وجه آخر من وجوه المعركة مع الرجعية والاستعمار

بعد انتصار الشعب العربي في سوريا على الشيشكلي بقليل انتصر الشعب العربي في الاردن على سياسة الاحلاف في الجولة الاولى ، وانتصر الشعب في الجولة الثانية عندما زار تمبلر الاردن . واستمرت معركة التحرر في الاردن ، ولم يمض وقت قصير حتى كان العرش يهتز ــ وكان الحسين يرضخ لرغبات الشعب والجيش ، فطرد غلوب وألغيت المعاهدة . ووقع الاردن خلال الحكم الوطني اتفاقيات اقتصادية وعسكرية ومالية وثقافية جعلته حلقة من حلقات الركب العربي المتحرر . وقد كان هذا كله نتيجة :

اولا : لاندفاع الشعب العربي في الاردن وراء الشعارات الثورية ، والتفافه حول الدعوة الوحدوية التحررية .

ثانيا: لازدياد قوة حزب البعثالعربي الاشتراكي وقوة الحزب الشيوعيالاردني.

ثالثا : لانتصارات الحركة الشعبية في مصر وسوريا في معركة الاحلافومعركة الخروج على سياسة احتكار الاسلحة ومعركة تأميم القناة .

رابعا : لاهتمام حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا اهتماما زائدا بقضية تحرر الاردن . فلقد طرح الحزب قضية تحرير الاردن وسد عجزه المالي ، وظل يعمل من اجل ذلك ، ففي البيان الذي اصدره الحزب في سوريا بتاريخ ٢٠ــ٤ــ

١٩٥٦ ، انتقد الحزب البيان الثنائي الاردني ـ السوري لانه لم يذكر المساعدة العربية للاردن . يقول بيان الحزب : «يأخذ حزبنا على البيان الثنائي الاردني السوري صمته المريب على مسألة المساعدة العربية المعروضة من دول البيان الثلاثي لتحل محل المعونة البريطانية للجيش والحرس الوطني في الاردن وموقف الاردن منها» . كما طالب بيان الحزب بعقد اتفاق مماثل بين الاردن ومصر .

واستمرت حملة الحزب من اجل هذا الهدف . وفي ١١ـ٥ـ١٩٥٦ ، كتب الحوراني في العدد الرابع من جريدة البعث افتتاحية بعنوان «سيظل الاردن يلعب الدور الرئيسي في معركة فلسطين» بداها كما يلي : «امام العرب والسياسة العربية التحررية الآن نهجان : اما ان تجعل من الاردن صخرة النجاة ومرتكز الظفر ، واما ان تجعله ثغرة الضعف والمقتل ، وما نظن ان هناك مجالا للخيار» .

وجاء في هذه الافتتاحية «وتجمد وضع اسرائيل ، فالعدوان الذي كانت تهدد به اوقفته ، واذا كان لصفقة السلاح المصرية نصيب في احباط خطة اسرائيل العدوانية ، واذا كان للسياسة التحررية المصرية السورية نصيب ، فللأردن ايضا نصيب ، وليس قليلا» .

تلك اول نتيجة لتحرر الاردن من القيادة البريطانية ، وتلتها ثانية : لقد مد السياسة العربية بمدد جديد ؛ لقد رد الاردن الى السياسة التحررية ما قدمت له من دعم حين التحرر ، فقدم لها دعما وقوة ، فعقد الاتفاق الثنائي الاردني ـ المصري دعم للسياسة التحررية وقوة ، ولذلك يمكن ان تمضي السياسة العربية التحررية، تؤمن تبادل التفاعل والدعم بين اجزاء الوطن العربي لتزداد هي دائما قوة . وهكذا بدأ الاردن يصبح صخرة النجاة ومرتكز الظفر ... نقول بدأ لان على السياسة العربية التحررية ان تجعله ينتهي الى هذا المنتهى ، والطريق بينة :

فأولا : يجب ان تقدم سريعا المعونة المالية ؛ لقد كانت مباحثات تجري من قبل حول هذه المعونة ... ولكننا لا نسمع لها حسا ولا ركزا الآن !.. أليس هذا غريبا؟ لقد كان يوضع لها شرط ابعاد القيادة البريطانية ولكنها أبعدت .. وانضاف الى ذلك ايضا هذا الاتفاق الثنائي المصري الاردني .

ثانيا : تسليح الحرس الوطني الاردني ... انه واجب ان تدعم القدرة النفسية عند هؤلاء الفدائيين بالقدرة المادية ، بالسلاح .

«ان من متممات السياسة العربية التحررية التي كان من ثمراتها تسليح الجيشين المصري والسوري ، وتلك الاتفاقات الثنائية وتوحيد القيادة العربيةالحرة، ان تمد للاردن في القوة الى آخر الحدود ، خاصة والظرف الدولي مؤات وكذلك الوضع العربي . وعندئذ يصبح الاردن حقا ! «صخرة النجاة ومرتكز الظفر» .

الاتفاقـات
واتفاقية التضامن

لقد أدى نضال الشعب العربي في الاردن ، كما أدت سياسة عبد الناصر العربية

التحررية ، ونضال حزب البعث في سوريا ، الى زعزعة النفوذ البريطاني في الاردن وطرد غلوب ، وانفتح الاردن بعد ذلك على السياسة العربية التحررية متفاعلا معها، فعقدت الاتفاقات التالية :

اولا : البيان الثنائي الذي صدر عن سوريا والاردن بتاريخ ١١ـ٤ـ١٩٥٦ ، وقد هدف الى تنسيق الخطط والجهد العسكري للبلدين ، ولكنه اهمل مسالة المساعدة العربية .

ثانيا : البيان الثنائي المصري ـ الاردني ، والذي كان بعد مباحثات عسكرية دامت من ٢٨ـ٤ـ١٩٥٦ الى ٥ـ٥ـ١٩٥٦ . وقد جاء في البيان : «وبعد دراسة مستفيضة لكافة المسائل العسكرية في جو من الود والصراحة والرغبة الاكيدة في التفاهم ، واستعراض مختلف وجهات النظر ، قد تم بعون الله وتوفيقه ، وضع اتفاق توحد بموجبه جهود الجيشين الشقيقين وتنسق ، لما يضمن الدفاع عن مصالح الامة العربية وكيانها على اسس واقعية عملية رائدها التعاون الكامل» .

ثالثا : الاتفاقية العسكرية الثلاثية التي وقعت بتاريخ ٢٤ـ١٠ـ١٩٥٦ ، وجعلت لجيوش الاردن ومصر وسوريا قيادة موحدة والتي كان هدفها «توحيد وسائل الدفاع في الجبهات العربية» .

رابعا : اتفاق الوحدة الاقتصادية الذي عقد بين الاردن وسوريا بتاريخ ٢٤ـ٨ـ١٩٥٦ ، والذي جعل من البلدين وحدة اقتصادية كاملة . وقد احتفل الشعب العربي في سوريا والاردن احتفالا رائعا بفتح الحدود بين البلدين .

خامسا : اتفاقية التضامن العربي التي عقدت في ١٦ كانون الثاني سنة ١٩٥٧ ، والتي جعلت الالتزامات العربية تغني الاردن عن المعونة البريطانية .

هذه الخطوات كلها ربطت الاردن ربطا وثيقا بقافلة التحرر العربي ، وجعلته حلقة قوية من حلقاته . ولكن هذه الانتصارات التي حققتها الحركة العربية التحررية كانت الجولات الاولى من معركة طاحنة . واذا كانت الحركة الشعبية في الوطن العربي قد وجهت ضرباتها القاصمة للنفوذ البريطاني ولحلف بغداد ، فان مشروع ايزنهاور كان لا يزال فتيا . وهكذا فما ان ألغيت المعاهدة الاردنية البريطانية حتى بدأت مؤامرة تنفيذ مشروع ايزنهاور ، وبدأ الملك حسين وعملاء الاردن يضعون خطة نسف الحكم الوطني والانتصارات الثورية . وفي نيسان من تلك السنة (١٩٥٧) حدث الانقلاب الرجعي المروع ، الذي كان الهزيمة الاولى للحركة العربية التحررية .

و ـ نكسة الاردن

ففي نيسان من سنة ١٩٥٧ استطاع الاستعمار الامريكي ان يكسب جولته الاولى في الاردن ، وهي الجولة التي دلت على ان الرجعية حليفة حميمة للاستعمار ، وانها مخلصة في تنفيذ اوامره ، امينة في التجاوب مع خططه ، كما دلت على ان الحركة الوطنية كان ينقصها الوعي الكافي والتماسك اللازم لدرء الضربات المفاجئة العنيفة . لقد كانت الحركة الشعبية في الاردن قادرة على احباط مشاريع الاستعمار

عندما لم يكن لها غير «الشارع» ، وعندما كان الشارع مزدحما بالجنود المدججين بالسلاح ، اما عندما اصبح لها الشارع والجيش والدولة فقد فشلت فشلا ذريعا .

واستهدفت الحركة الاستعمارية في الاردن ما يلي :

اولا : كسر الحلقة الوسطى من حزام الحركة العربية التحررية حول اسرائيل ، ليسهل عزل مصر وتوجيه الضربة القاصمة لسوريا .

ثانيا : تركيز الرجعية العربية المتداعية ، والتمهيد لاجراء الصلح مع اسرائيل .

وبعد ان نجحت المؤامرة في الاردن بدأت على سوريا ، وفي الوقت نفسه بدأ رسل مشروع ايزنهاور من ريتشاردز الى هندرسون ، يطوفون في البلاد العربية . وتبع نجاح المؤامرة في الاردن تصدع الجبهة العربية ، وانهيار كل الاتفاقيات الاقتصادية والعسكرية والثقافية التي عقدت بين مصر وسوريا والاردن والسعودية، لان سعودا انضم لمعسكر حلف بغداد بعد ان توحدت المشاريع البريطانية والامريكية، وزار بعد ذلك سعود واشنطن ، واجتمع بالوصي على عرش العراق وبشارل مالك ، ويبدو ان الاتفاق قد تم هناك على تنفيذ المؤامرة على سوريا ، مما جعل نوري السعيد بعد ذلك يصرح في البرلمان العراقي بأن «الوضع» في سوريا سينتهي (١) .

واشتدت الحملة المحمومة على سوريا ومصر وكان الاستعمار في هذه الحملة يستعمل كل اسلحة الضغط والدس والتآمر والارهاب ، وكان هذا يبدو فيما يلي:

اولا : استثارة السياسيين المحترفين والرجعية ، وتجنيد كل الصحف والاذاعات لخدمتها .

ثانيا : محاولة تضليل البسطاء والمعتدلين من ابناء الشعب ، وذلك بمحاولة اقناعهم بكل الوسائل بأن السياسة العربية التحررية ليست الا ستارا للشيوعية ، وانها تفضي الى تدمير مصالح البلاد وعزلها عن العالم ، وتحكيم الشيوعية «الملحدة الحمراء » بها (٢) .

ثالثا : وكان الاستعمار معتمدا على الرجعية يحاول دائما ان يوجد جوا من البلبلة والفوضى بخلق الاشاعات المتناقضة ، والقاء المتفجرات ، واستثارة النعرات الطائفية والقبلية وكل عوامل الافساد والتخريب ، وليست محاولة الفتنة في حلب ببعيدة عن الاذهان .

واستمرت الاجتماعات بين حسين وسعود وحكام العراق ورؤساء الدول المشتركة في حلف بغداد . وحاولت امريكا ان تخرب داخل سوريا وان تشتري الذمم خلال الانتخابات التكميلية سنة ١٩٥٧ . وصفّت الرجعية كلها في صوب . والفئات التقدمية في صوب . وانتصر الشعب على الرجعية والدولار ونجح ممثلوه. ولجأ الاستعمار الى محاولة شراء ذمم رجال الجيش ، فلم يستطع ، وانكشفت محاولة الشيخ يوسف ياسين (٣) .

---

١ ـ جريدة البعث ـ العدد ٥٦ ـ في أوج المعركة مع الرجعية والاستعمار .

٢ ـ جريدة البعث ـ العدد ٥٠ ـ أخطار في الشرق الاوسط .

٣ ـ جريدة البعث ـ العدد ٦١ ، هدف امريكا افناء العرب ـ اكرم الحوراني .

وفقد حكام الاردن اعصابهم فقدم سمير الرفاعي انذاره «المجنون» الذي يجعل فيه سوريا أخطر من اسرائيل . وانكشفت مؤامرة ابراهيـــــم الحسيني وأديب الشيشكلي في آب من سنة ١٩٥٧ . ولما تحطمت كل هذه المحاولات ، عاد هندرسون رسول «مشروع ايزنهاور» ليصرح بأن الحالة في سوريا بالغة الخطورة (١) .

واشتركت تركيا في حملة الضغط والتشويش وجاء في خطاب مندريس الذي القاه في اجتماع حلف الاطلسي بتاريخ ١٦-١٢-١٩٥٧ «ان روسيا سيطرت على سوريا وركزت نفسها فيها» . واعتبر ان «المشكلة السورية تهم حلف شمال الاطلسي بصورة مباشرة» . وصمدت سوريا بقيادة الحركة الوطنية الديمقراطية ، وبمساندة القوى الوطنية الديمقراطية في الوطن العربي امام كل حملات التضليل والضغط والارهاب لتصل في اول شباط من سنة ١٩٥٨ الى شاطىء السلامة ، الى الوحدة.

ز ـ الهزيمة : اسبابها ونتائجها

اذا كانت الهزيمة قد بدأت من تآمر حسين والعملاء مع الاستخبارات الامريكية. فان هنالك ظروفا وأوضاعا ساعدت على نجاح هذه المؤامرة . وهـــــذه الظروف والاوضاع هي :

اولا : تكوين الجيش الاردني . فالجيش الاردني مؤلف من عناصر حضريـــة وبدوية. الا ان العناصر البدوية كثيرة وقوية ومنتشرة في كل قطاعات الجيش ، ومنذ البدء وقائد الجيش الاردني «غلوب» وأعوانه من الضباط البريطانيين ، يعدون هؤلاء البدو ليكونوا مخلصين للسلطة ، اعداء للشعب . وقد استعملوهم استعمالا سيئا في معارك القمع والارهاب المخيفة التي جرت في الاردن سنة ١٩٥٤-١٩٥٥ ، بعد ان كانوا يوهمونهم بأنهم يقومون بعمل وطني . والبدوي عادة محافظ مخلص «لسيده» . ولهذا فقد كان يكفي ان يقال «للبدو في الجيش» هذه مؤامرة على سيدنا حسين حتى يستثاروا . لهذا كله كانت العناصر الوطنية في الجيش تصطـــدم بصخرة البدو الكبيرة . وكان وجود البدو كافيا لفشل اية محاولة يقوم بها الجيش لتصحيح الاوضاع (٢) .

ثانيا : الحياة الحزبية في الاردن ، ولها ميزتان :

الاولى ـ غياب الاحزاب والتجمعات الرجعية الممثلة لاصحاب المصالح ومحترفي السياسة عن المسرح .

الثانية ـ ارتفاع مستوى التفاف الجماهير حول الاحزاب الثورية عنه في البلاد العربية الاخرى .

---

١ ـ جريدة البعث ـ العدد ٦٦ ، ١٧-٨-١٩٥٧ ، وجريدة البعث العدد ٦٩ ، ٦-٩-١٩٥٧ ، معركة الخلاص ـ اكرم الحوراني .

٢ ـ ليس صحيحا ان وجود البدو كان كافيا لفشل اية محاولة يقوم بها الجيش ، ذلك ان عقلية القيادات السياسية والعسكرية هي السبب الاول والاخير ، كما يتضح في الصفحة التالية .

ولهذا كانت تسيطر على الحياة الحزبية الاتجاهات الاربعة المعروفة : ١ـ الاتجاه القومي الاشتراكي ويمثله حزب البعث العربي الاشتراكي . ٢ـ الاتجاه القومي «السياسي» وتمثله حركة القوميين العرب . ٣ـ الاتجاه الديني ، وينقسم الى قسمين : اتجاه جماعة الاخوان المسلمين ، واتجاه حزب التحرير الاسلامي . ٤ـ الاتجاه الطبقي الوطني . ويمثله الحزب الشيوعي الاردني .

وكانت هذه الاحزاب تتوزع القوى الجماهيرية في الاردن ، وتبث في صفوفها الصراع المحموم ، والاحقاد المدمرة . ولقد كان موقف البعثيين والقوميين العرب والشيوعيين يتحدد من الاخوان المسلمين وحزب التحرير الاسلامي على ان الحزبين يعملان للاجنبي وللرجعية . وقد ثبت هذا فيما بعد عندما وقف الاخوان المسلمون وقفة مسلحة مع الملك حسين في انقلابه الرجعي سنة ١٩٥٧ . وكان البعثيون والقوميون العرب يعتبرون الشيوعيين عملاء لموسكو ، ويرون انهم اخطر على القضية القومية من الرجعية . اما الشيوعيون فكانوا يعتبرون القوميين «ايتام هتلر» وينظرون للاشتراكيين منهم على انهم مضللون يجب ان تعزل قواعدهم عن قياداتهم ، وان تفضح تضليلاتهم . ونتيجة لذلك سادت الاردن موجة من المهاترات والحقد والكراهية لم يشهد لها مثيل . واذا كان من غير المتوقع ان يفهم جماعة الاخوان المسلمين وحزب التحرير طبيعة المرحلة . فما من عذر للفئات الاخرى .

وهكذا خلال أشد اللحظات خطورة في حياة الامة العربية كانت هذه الجماعات عاجزة عن تنظيم مهرجان شعبي واحد ، يعطي فكرة حسنة للجماهير وللرجعية عن تساند القوى الشعبية وتضافرها . ونذكر للمثل المهرجان الشعبي الذي أقيم في مدينة رام الله سنة ١٩٥٦ ، تأييدا لتأميم القناة ، والذي ارفض قبل انتهائه ، لعدم مقدرة الشيوعيين على سماع كلمة «البعث» ترد في بيت من الشعر .

وعندما توافر الجو لانتخابات حرة نزيهة في الاردن ، في أواخر سنة ١٩٥٦ ، لم تدرك القوى الوطنية (البعثيون والشيوعيون وجماعة القوميين العرب والحزب الوطني الاشتراكي) ان منطق المرحلة يحتم التعاون ، وان التعاون سيضمن للقوى الوطنية نصرا اكبر . فدخلت الانتخابات منفردة متعادية ، مما أدى الى هزيمة البعثيين هزيمة ساحقة ، لان القوى الاخرى كلها تحالفت ضدهم بما فيه الشيوعيون والوطني الاشتراكي والقوميون العرب . وكان من الطبيعي ان تزيد هذه الخلافات وهذه الهزائم الصراع احتداما والكراهية تأججا .

ثالثا : تسلمت الجبهة الوطنية الحكم في الاردن ، وهي تتألف من الوطني الاشتراكي (والوطني الاشتراكي ليس الا نفرا من السياسيين الوطنيين المعتدلين الذين لا قاعدة لهم) ، ومن البعثيين و«الجبهة الوطنية» التي يسندها الشيوعيون . وعلى هذا فالحكومة تستند الى قوى حزب البعث والحزب الشيوعي التي كانت ما تزال متناحرة . وحكم من هذا النوع تنقصه الوحدة والتماسك والانسجام ، كان بحاجة الى قوة جماهيرية متماسكة دافعة حتى تستطيع ان تضمن استمراره وان تحمي انتصاراته .

رابعا : عندما تسلمت القوى الوطنية الحكم لم يتغير اسلوبها في النضال . لقد ظلت تعمل بروح المعارضة التي انتهت مرحلتها . عندما تكون القوى الوطنية خارج

الحكم لا تستطيع ان تقوم بغير تنظيم المظاهرة والاضراب . اما عندما تكون في الحكم، في بلاد كبلادنا تعشش الرجعية في كل وكر فيها . لا بد من ان تحتاط لنفسها باعداد القوة الكفيلة باحباط اية مؤامرة . وهذا ما لم تفعله القوى الوطنية في الاردن. ولذلك عندما حدث الانقلاب الرجعي خرج الناس الى الشارع ، وتولت الجماهير الدفاع عن انتصاراتها ، ولكنها فشلت لانها كانت تتظاهر وتضرب ولا تفعل شيئا آخر . وخلال فترات التظاهر والاضراب هذه ركزت الرجعية نفسها وضربت ضربتها القاضية .

خامسا : لم يقم العسكريون بما يترتب عليهم . فقد عقدوا مؤتمر اريحا بعد الانقلاب بأيام ، وجاء الملك واجتمع بهم فبلغوه طلباتهم ، وهي تنحصر في اعادة الحكومة الوطنية . ولما لم ينفذها لم يفعلوا شيئا ، وكان هذا يرجع لسببين :

الاول ــ عدم نضوج وعيهم السياسي الذي نتج عنه عدم اتخاذهم الخطوات العملية التي تكفل حماية المكاسب الوطنية .

الثاني ــ عدم تنبه القوى السياسية الحزبية لامكانياتهم ، الشيء الذي جعلها تعمل بمعزل عنهم ، ودون ان تجري الاتصالات اللازمة بهم لتوجيههم والاستفادة من امكانياتهم .

ويعتبر قادة حزب البعث العربي الاشتراكي في الاردن هم المسؤولين الاول عن الهزيمة ، لان حزب البعث كان الحزب الاوسع نفوذا في اوساط الشعب والجيش . ولكن تهاون القادة وتفكيرهم « الديمقراطي » وارتجاليتهم جعل الحزب لا يستفيد من قوى متوافرة ، ويخسر معركة كبرى كان يجب ان يكسبها لما يترتب على كسبها من مكاسب ولما يترتب على خسارتها من هزائم .

نتائج الهزيمة

بينت فيما سبق اهداف المؤامرة الامريكية في البلاد العربية ، وقد كانت نكسة الاردن جزءا منها وحققت للاستعمار والرجعية الاهداف التالية :

اولا : عطلت الاتفاقيات الثنائية المعقودة بين كل من مصر وسوريا من جهة والاردن والسعودية من جهة ثانية ، وبهذا تكون قد فصلت الاردن والسعودية عن موكب التحرر العربي .

ثانيا : عزلت الاردن وسوريا ، وبدأت محاولاتها لغزو سوريا .

ثالثا : خففت الضغط العربي على اسرائيل عندما دفعت الاردن الى احضان نوري السعيد وسعود والاستعمار الامريكي ، وعندما مزقت الجيش الاردني ، وابعدت العناصر المخلصة منه، وأعادت اليه السيطرة الاستعمارية والرجعيةالبدوية.

لقد كان متوقعا ان توالي الحركة التحررية في الاردن انتصاراتها ، لقوة الحركة الوطنية ، ولهزال المؤسسات الاقطاعية والرأسمالية ، ولارتفاع عدد المثقفين واستقلال الملاكين الصغار في الريف ، ولعدم وجود جذور للملكية في الاردن الا في البادية . ولكن الحركة التحررية العربية التي احرزت اكبر انتصاراتها في الاردن لقيت افظع هزائمها في الاردن .. الهزيمة الكبرى الاولى .

ثورة مصر

المرحلة الثانية
١٩٥٤ ـ ١٩٥٨

تبدأ هذه المرحلة من اللحظة التي بدأ فيها الصراع ضد الاحلاف وتنتهي بقيام الجمهورية العربية المتحدة . وقد بدأ اتصال الثورة خلال هذه المدة بالحركة الوطنية العربية عندما اصطدمت مع دعاة الاحلاف الاستعمارية . وظهر هذا الصدام واضحا في مؤتمر باندونج الذي وقف فيه كل من وفدي مصر وسوريا في جهة ووفدي كل من لبنان والعراق في جهة ثانية . وبهذا «اللقاء» ابتدأ الصراع الحقيقي بين الحركة الوطنية العربية وبين الرجعية العربية المتآمرة . هذا الصراع الـــذي كان ضروريا لكشف الزيف والتميع اللذين اتسمت بهما «جامعة الدول العربية» ولبدء العمـل الايجابي في سبيل تفجير قوى الجماهير العربية . اما الحركات التحررية في العالم، ولاسيما الافريقية والآسيوية ، فقد التقت معها في مؤتمر باندونج عندما تبنت الثورة في مصر نفس الشعارات التي تتبناها هذه الحركات في التحرر والاشتراكية والحياد.

وهكذا أتيح للحركة الوطنية العربية ان ترفع شعاراتها في المحافل الدولية ، لاسيما وقد وجدت في الرئيس جمال عبد الناصر الشخصية القوية التي تمثلها على الصعيد الدولي .

وقد كان كل يوم يمر على الثورة يزيد من فعالية صلتها بالحركة الوطنية العربية وبالحركات التحررية في العالم . اما بالنسبة للجماهير العربية فقـــد كان صمود الثورة امام تحديات الاستعمار والصهيونية والخروج على الحصـــار الاستعماري بشراء الاسلحة من الاتحاد السوفياتي ، ثم الوقوف ببسالة امام العدوان الثلاثي والمؤامرات التي تلته ، واخيرا التجاوب مع اماني الشعب العربي في الوحدة الذي نتج عنه فيما بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ، ان كل هذه الانتصارات كانت الاسباب الرئيسية لتعلق الجماهير العربية بهذه القيادة الجديدة ، والاندفاع معها في تيار جارف صامد .

والثورة خلال هذه المدة حاولت ان تقيم صلات وثيقة مع الدول العربية جميعها، لتخرج من العزلة التي حاول الاستعمار فرضها على مصر وسوريا ، فعقدت الاتفاقات العسكرية والاقتصادية والثقافية ، ثم عقدت اتفاقية التضامن العربي ولكن هذه

الاتفاقيات كانت تنقصها امكانيات التنفيذ ، اذ ان الرجعية العربية المتآمرة لا يمكن ان تكون تحررية وان تندفع مع التيار الثوري .

وقد ادى نجاح مؤامرة الاردن وفشل هذه الاتفاقات المحتم ان ارتبطت فكرة الوحدة بفكرة التحرر داخليا وخارجيا ، مما ادىالى تبلور الفكرة التحرريةالوحدوية التي نتج عن تبلورها قيام الجمهورية العربية المتحدة .

اما في الداخل فقد استمرت حركة التصنيع دون ان يقوم تنظيم شعبي يدعم السياسة الثورية ، والانتصارات التحررية ، وان كانت فكرة الاتحاد القومي قد اخذت تتضح في نهاية هذه الفترة (١) .

---

١ ـ يجد القارىء تفاصيل أوضح عن الثورة في الفصلين الثالث والرابع .

بين الاتحاد مع مصر والاتحاد مع العراق

بدأ بعد النكبة الشعور بالحاجة الى تحقيق الوحدة العربية يزداد الحاحا ، وقد شعرت الرجعية بالخطر يهددها نتيجة نمو هذا الشعور وتبلوره في حركة شعبية قوية ، فاخذت تطرح شعاراتها المزيفة،والتي كان منها شعار اتحاد سورية والعراق. ولم يلق هذا الشعار من يهتم به من جماهير الشعب، ولذلك فقد مات دون ان يحزن على موته احد . ولكن موته لم يترك فراغا ، فمع بداية معركة الاحلاف بدأت فكرة جديدة هي فكرة الاتحاد بين مصر وسورية . وسبق ان ذكرنا ان تحرر سورية من دكتاتورية الشيشكلي ونمو القوى الوطنية فيها ، جمعها مع مصر التي تحررت من الاستعمار والرجعية ، في طريق واحد . ومن الالتقاء على طريق مقاومة الاحلاف بدأت فكرة الاتحاد . ولكن الفكرة تحتاج الى منفذين ، وكان حزب البعث العربي الاشتراكي هو حامل لواء تنفيذ هذه الفكرة .

أ ـ البعث العربي الاشتراكي والاتحاد

عندما انجرف العراق في تيار الاحلاف ، اصبح واضحا للجميع ، ولدعاة الوحدة بشكل خاص ، ان دعوة عملاء الاستعمار للاتحاد ، تعني محاولة ربط الاقطار العربية المتحررة ، او التي تسير في طريقها الى التحرر ، بعجلة الاستعمار . ولهذا فقد اخذوا يدعون لاتحاد الاقطار المتحررة معا ، واتحاد الاقطار الرجعية معا ، أي انهم يقبلون اتحاد الاردن مع العراق لان الاتحاد لن يزيد من قيود الاردن شيئا ، ولكنهم لا يقبلون اتحاد سورية مع العراق ، لان سورية ستفقد حريتها . ولما كانت مصر قد سارت على طريق وحدوي تحرري ، فقد طرح حزب البعث العربي الاشتراكي شعار اتحاد مصر وسورية . ونحن نجده يرفع هذا الشعار لاول مرة في مشروع الميثاق الذي قدمه ممثل الحزب للجنة الميثاق القومي في اوائل سنة ١٩٥٦ . ولكن لجنة الميثاق عدلت الاقتراح من مشروع اتحاد الى دعوة لتوسيع التعاون ـ كما بينا ـ واشترط الحزب ان يكون اشتراكه في الحكم مشروطا بتحقيق الاتحاد مع مصر ، ولكن الاحزاب الاخرى عارضت المشروع . يقول الاستاذ ميشيل عفلق : «وقبل شهر من الزمن وضع في سورية ميثاق قومي بين الاحزاب وكان حزبنا يطالب بالاتحاد التام مع مصر ، وقد رفضت ذلك الاحزاب الاخرى

بدون استثناء (١) » .

وفي البيان السياسي الذي اصدره حزب البعث العربي الاشتراكي بمناسبة ذكرى الجلاء في ٢٠ـ٤ـ٥٦ طالب الحزب «بالمبادرة لاعلان الوحدة بين مصر وسورية» . وبعد اسبوع بالضبط من صدور هذا البيان صدرت جريدة البعث (٢) وهي تحمل في صفحتها الاولى الخبر التالي : «عكفت قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي على دراسة قضية وحدة مصر وسورية ، وعلى اعداد مشروع يرسم الخطوات العملية ويحدد المراحل الاساسية لتوجيه القطرين ، وسيتقدم الحزب قريبا بهذا المشروع الى المسؤولين في مصر وسورية ، وسيطرح شعار الوحدة على الشعب ليدعمها بارادته ونضاله ، بعد ان اعلن الشعب ارادته في ان تحقق هذه الوحدة حالا ، مؤكدا انها الانطلاقة الاولى نحو الوحدة العربية ونحو تحرير الشعب العربي في كافة اقطاره» .

وفي العدد نفسه من جريدة البعث نجد مقالين افتتاحيين احدهما للاستاذ ميشيل عفلق وعنوانه «حول وحدة مصر وسورية ، اتجاه طريقها وعقبات هذا الطريق» ، والثاني للاستاذ اكرم الحوراني وعنوانه «عزل مصر وتمكين الانقسام بين عرب المشرق» .

واستمر الحزب في حملته من اجل الوحدة او الاتحاد مع مصر مكرسا لها جل نشاطه . ولم يكن يهمه ان تكون وحدة او اتحاد بل كان يهمه ان تغلب عناصر الحياة فيها على عناصر الجمود (٣) .

اغراض الحزب من الوحدة

كان حزب البعث العربي الاشتراكي يرى ان الاستعمار حريص على بقاء الامة العربية مجزأة ، وان أي عمل في اتجاه الوحدة ، هو عمل من اجل التحرر في معركة الدفاع عن النفس التي نخوضها ، يقول الحوراني : «وان على سورية ان تعمل في مقابل هذه السياسة التي تهدد الامة العربية في صميم وجودها ومصلحتها ، على تحقيق الوحدة مع مصر . ليست القضية قضية تقدم نحو الاهداف القومية فحسب ، بل هي قضية دفاع عن النفس من الدمار ، وكل تأخير انما يعد تهيئة لانفاذ الخطة البريطانية وخدمة لها عن قصد او غير قصد» .

هذه هي الطريقة الوحيدة لبدء تحرر العرب ووحدتهم وهي الطريقة الوحيدة لتحرير العراق وجنوبي الجزيرة العربية من السياسة البريطانية ، وهي الطريق الوحيدة لحل مشكلة فلسطين ، واخيرا هي الطريقة الوحيدة لتحرير المغرب

---

١ ـ ميشيل عفلق ـ معركة المصير الواحد ـ صفحة ٤٦ .

٢ ـ جريدة البعث ـ العدد ٢ ، ٢٧ـ٤ـ١٩٥٦ .

٣ ـ ميشيل عفلق ـ جريدة البعث ـ العدد ٢ ، حول وحدة مصر وسورية .

العربي (١) . ولهذا فقد رأى الحزب في الوحدة :

اولا : عملا تحرريا دفاعيا يحول دون تحقيق الخطة الاستعمارية بالمحافظة على التجزئة في البلاد العربية .

ثانيا : انها بداية الطريق نحو الوحدة العربية (٢) .

ثالثا : ان وحدة مصر وسورية كعمل تحرري يزيد من قوة العرب ويضع البداية السليمة لوحدة عربية شاملة ، ضرورة ملحة في وقت زادت فيه مؤامرات الاستعمار من اجل القضاء على يقظة العرب .

رابعا : ان الوحدة تنقذ سورية من المؤامرات الاستعمارية التي تهدف الى نسف الحكم الوطني فيها (٣) .

خامسا : ان الوحدة بين مصر وسورية «تدعيم للاتجاه الانقلابي الذي نشأ في سورية بطريق نضالية شعبية وتجاوب معه رجال الثورة في مصر تجاوبا يتأكد صدقه وعمقه يوما بعد يوم ويهيىء لهذا الاتجاه ، بما لمصر من موقع متوسط ممتاز بين اجزاء الوطن العربي ، وبما لها من رقي وغنى في الامكانيات» «وان هذه الوحدة ستحقق المعجزات وتغير وجه التاريخ» (٤) .

ولادراك الحزب بان الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية ضد الوحدة ، اراد «ان يكون اساسها متينا وطريقها سليما يسير نحو النماء والتكامل ، ويوصل الى الوحدة العربية الشاملة» . و «ان تحقق هذه الوحدة توحيدا فعليا خلاقا بين اجزاء الشعب الواحد في مصر وسورية وتوحيدا فعليا خلاقا لامكانيات الشعب المادية والمعنوية» (٥) .

ب ـ التجمع القومي والوحدة

استطاع الحزب ان يدفع التجمع القومي في سورية الى تبني الدعوة للوحدة. واستطاع فيما بعد ان يدفع الوزارة الى اتخاذ قرار بتاريخ ٦ تموز سنة ١٩٥٦ بتفويض لجنة وزارية للشروع بالمفاوضات مع مصر لتحقيق اتحاد فيدرالي بين مصر وسورية . وقد وافق المجلس النيابي بالاجماع على هذا القرار . ولكن وجه الرجعية التي ايدت مشروع الاتحاد انكشف عندما وقف عدنان الاتاسي في الجلسة التي بحث فيها قرار الوزارة ليدعو الى الاتحاد مع العراق (٦) . وقد اصدر حزب البعث

---

١ ـ اكرم الحوراني ـ جريدة البعث ـ العدد ٢ ، عزل مصر وتمكين الانقسام بين عرب المشرق .

٢ ـ جريدة البعث ـ العدد ٢ ، ٣ ، ٤ .

٣ ـ ميشيل عفلق ـ معركة المصير الواحد ـ صفحة ١٧٦ الطبعة الاولى .

٤ ـ ميشيل عفلق ـ معركة المصير الواحد ـ صفحة ٧٦ الطبعة الاولى .

٥ ـ ميشيل عفلق ـ معركة المصير الواحد ـ صفحة ٦٦ الطبعة الاولى .

٦ ـ جريدة البعث ـ العدد ١٢ ، ٦ تموز ١٩٥٦ ـ (المجلس النيابي يوافق بالاجماع) .

العربي الاشتراكي بيانا بهذه المناسبة جاء في نهايته : «ايها السادة : اذا كنا جادين في تقدير عظم الاخطار المحيقة بنا ، فهذا الاتحاد خير سبيل للوقاية والدفاع ، واذا كنا واثقين بامكانيات شعبنا مؤمنين بنزوعه الصادق الى الحرية والعدالة والوحدة، فهذا الاتحاد سيكون المحرك الفعال لتلك الامكانيات يضاعف الثقة وينسق النضال، ويختصر الزمن لخير العرب وخير الانسانية» (١) .

وبينما كانت عناصر من الرجعية تندفع مع الحزب في اتجاه الاتحاد ، مثل صبري العسلي ، كانت الرجعية تتابع مؤامراتها . وفي الوقت الذي كانت فيه المؤامرة الرجعية تنفذ في الاردن كان نواب حزب الشعب ومن شايعهم من العناصر الرجعية ، يقومون بتنفيذ مؤامرة في مجلس النواب السوري . ولقد شنوا هجوما عنيفا على الاحكام العرفية ، واتهموا الحكومة والمجلس بأنهما لا يمارسان سلطاتهما، وادعوا بان لا حاجة الى الاحكام العرفية. ولقد تصدى لهم ممثل حزب البعث العربي الاشتراكي النائب عبد الكريم زهور ففضح تآمرهم وتضليلهم . وكانت الرجعية في سورية تهدف الى اشاعة البلبلة في الصفوف لاسقاط حكومة التجمع القومي ، وتنفيذ المؤامرة الاستعمارية . ولكن العناصر الوطنية في الشعب والجيش حالت دون تنفيذ المؤامرة التي كان من اهدافها الانحراف بسوريا نحو الاحلاف ، لتمكين السيطرة الرجعية والاستعمارية في المنطقة .

وظلت سوريا صامدة الى ان تحققت الوحدة .. لقد كان هنالك شعب مؤمن، وكانت هنالك عناصر ثورية خيرة في الجيش والشعب ، تسهر الليل وتعمل النهار لتضع لبنة جديدة في سور التحرر العربي ، ولترد المتسللين في الظلام الى أزقة المدينة خاسرين مهزومين .

ج ـ الوحدة والاتحاد

خلال اللحظات الحاسمة التي كانت وحدة مصر وسورية فيها تعلن عن شكلها النهائي ، تحركت الرجعية في الاردن والعراق ، لتعلن عن رغبتها في اقامة اتحاد بين العراق والاردن ، ومنذ اللحظة الاولى كان واضحا ان هذا الاتجاه جاء :

اولا : رد فعل لقيام الجمهورية العربية المتحدة ، نواة الوحدة العربية الشاملة، ونقطة انطلاق القوى التحررية الوحدوية العربية .

ثانيا : تثبيتا لعرش الاردن الذي كان يهتز ، بعد ان عادى الشعب والحركة العربية التحررية واسلم نفسه للاستعمار .

ثالثا : تركيزا للنفوذ البريطاني الامريكي الذي كان قد خسر كثيرا من المعارك مع الحركة العربية التحررية ، والذي كان يبحث عن وسيلة تجعله قادرا على الوقوف في وجه الحركة العربية التحررية .

---

١ ـ جريدة البعث العدد ١٢ ، ٦ تموز ١٩٥٦ ـ بيان حزب البعث حول اتحاد مصر وسورية .

رابعا : ضمانا لوجود اسرائيل التي كانت تخشى ان يصبح الاردن جزءا من الجمهورية العربية المتحدة فيحكم الطوق حول رقبتها . ولذلك فقد استشيرت اسرائيل في الموضوع فباركت الخطوة واعلنت مباركتها ليسمعها الناس اجمعين .

وعلى الرغم من ان سعودا كان حليف حسين منذ الانقلاب الرجعي سنة ١٩٥٧، فقد ظل خارج الاتحاد ليعمل ضد الجمهورية العربية المتحدة بوسائله الخاصة .

الاحزاب في هذه المرحلة

ما بين سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٥٨ ، نشطت الحركة الحزبية في الوطن العربي ما عدا مصر والجزائر . وكان هذا ناتجا عن التجارب التي خاضتها الحركة الشعبية في المشرق والمغرب ، وعن الانتصارات التي احرزتها . وكان هنالك فرق في طبيعة النضال وطبيعة الاحزاب ، بين البلاد التي كانت تناضل الاستعمار المباشر ، والبلاد التي كانت تناضل ضد الرجعية . ففي المغرب ، حيث كانت المعركة ضد الاستعمار المباشر ، غلب طابع الحزب الواحد الواسع الانتشار الذي يجمع اخلاطا من الناس على الحركة الشعبيةمثل الحزب الحر التونسي الجديد في تونس، وحزبالاستقلال في مراكش . اما في المشرق فقد تعددت الاحزاب ما بين ثوري ورجعي ، شيوعي واشتراكي ، قومي وغير قومي .

في المغرب غلب طابع الدعوة للاستقلال على التناقضات الاخرى ، فظلت الحركة الوطنية متماسكة حتى تحقق الاستقلال ، فانشق الحزب الحر الدستوري على نفسه مع الاستقلال . ولكن الرجعية فيه استطاعت ان تفرض سيطرتها . اما في مراكش حيث كانت الحركة الشعبية اعمق جذورا وانضج وعيا فقد انشق حزب الاستقلال على نفسه لتقف القوى التقدمية في جهة ، والقوى الرجعية في جهة اخرى .

الا ان المسألة في المشرق ، ظلت تنحصر في الصراع بين الاحزاب ذات المبادىء المتصارعة ، والاحزاب الثورية والرجعية . ولكن الحياة الحزبية في مصر والمشرق لم تجد الفرصة للنمو الطبيعي . ففي مصر جاءت الثورة ووجدت ان اجتثاث جذور الرجعية يقتضي اجتثاث جذور الحياة الحزبية القائمة لتمثلها . ومن هنا غابت الاحزاب عن المسرح في مصر منذ سنة ١٩٥٢ ، وعاش العراق ظروفا قاسية جعلت تكوّن الاحزاب صعبا وتطورها اصعب . اما في الاردن وسورية فقد بدأت الحركة الشعبية تحتل مكانها على مسرح الاحداث بعد سنة ١٩٥٤ . ولم يكن في غير سورية والاردن حياة حزبية تستحق الذكر . ففي لبنان غلبت الطائفية والرجعية على الحياة الاجتماعية ، فلم تنتشر الاحزاب الثورية انتشارا كافيا . وفي السعودية واليمن لم تتهيأ الظروف لعمل حزبي حديث ، الا ان السعودية عاشت اضطرابات عمالية خطيرة تكررت خلال اعوام ١٩٥١ و١٩٥٣ و١٩٥٦ وذهب ضحيتها عدد كبير من

الشباب . وفي اليمن قامت انقلابات متتالية آخرها انقلاب ١٩٥٥ ، ولكنها فشلت كلها لعدم وجود أي تنظيم شعبي ثوري .

وبينما كانت الحركة الشعبية في مصر وسورية والاردن تبدأ اوسع معاركها مع الاستعمار والرجعية انطلقت رصاصات الثورة على قمم الاوراس في الجزائر لتبدأ اوسع ثورة شعبية . ومثلما بدأت الثورة في مصر بالقضاء على الحياة الحزبية الفاسدة ، بدأت الثورة في الجزائر بالقضاء على الحياة الحزبية في الجزائر . واستمرت الثورة في انطلاقها مفجرة للقوى الشعبية في الجزائر ، منفتحة على الحركة الشعبية في المشرق ، حتى اخذ البعثيون ينادون بقيادة موحدة مؤلفة من حزب البعث العربي الاشتراكي وقيادة الثورة في مصر وقيادة الثورة في الجزائر. ولكن بعد اعتقال بن بلا ورفاقه تولى فرحات عباس السياسي المعتدل مهام رئاسة الوزارة المؤقتة في الجمهورية الجزائرية فأخذ يبتعد عن الحركة الشعبية ويسعى لاقتلاع جذور بن بلا بكل الوسائل ، حتى اتضحت للثوريين سياسته فأبعد عن رئاسة الوزراء وحلت حكومة تقدمية محله .

لقد كانت الحياة الحزبية هزيلة ومضطربة ولكن هنالك احزابا تحملت جزءا اساسيا من قيادة النضال الثوري فيالمشرق ، اهمها حزب البعث العربي الاشتراكي بفروعه في سورية والاردن والعراق ولبنان ، ويأتي بعده الاحزاب الشيوعية في البلدان المذكورة آنفا .

أ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي

اولا في سورية : بيّنا فيما مضى كيف كان وضع الحزب بعد القضاء على دكتاتورية الشيشكلي ، وكيف كان وضعه حين اشترك في انتخابات سنة ١٩٥٤ .

وفي نفس السنة وجه الامين العام الاستاذ ميشيل عفلق دعوات عاجلة الى قيادات الاقطار في الاردن والعراق ولبنان لاجتماع طارىء يعقد في دمشق . وكان هذا هو الاجتماع الاول لممثلي قيادات الاقطار ، ولذلك اعتبر الحزب مؤتمره المؤتمر القومي الثاني (١) . وحاول المجتمعون ان يجعلوا من المؤتمر فاتحة عهد جديد . وقد اتخذوا من تفكك التنظيم الحزبي في سورية وتجاوز النظام الداخلي والانتهازية المتسربة الىصفوف بعض الحزبيين سببا لبحث الازمة العميقة التي يعيشها الحزب، هذه الازمة التي لا يمكن ان تعتبر فردية او ان تحل بابعاد بعض الافراد دون ان تدرك اسبابها الموضوعية . واتضح ان اوضاع الحزب التنظيمية في سورية ليست من مستوى الاقطار الاخرى .

---

١ ـ هناك مؤتمر آخر عقد في سوريا بعد حكم حسني الزعيم وناقش وضع الحزب خلال حكم حسني الزعيم ، ولكنه لم يعتبر مؤتمرا قوميا ولا بد من دراسته عند دراسة تجربة الحزب .

نتائـج المؤتمر

كان من نتيجة الابحاث والمناقشات ان استقر الرأي على ما يلي :

اولا : انتخاب قيادة قومية جديدة . وقد انتخبت وباشرت مسؤولياتها على ان يكون الاستاذ ميشيل عفلق متفرغا لامانة القيادة القومية .

ثانيا : وضع نظام داخلي جديد جاء في مقدمته : «ينبثق هذا النظام عن نظرية حزبية في التنظيم والعمل ، اهم اسسها :

١ ــ وحدة الحزب الكاملة وحقيقته القومية الاشتراكية الانقلابية .

٢ ــ احترام الحرية الايجابية الحزبية الخلاقـــة التي تنطوي بتطبيقها علـى الديمقراطية والقيادة المركزية كاملة الصلاحيات في غياب المؤتمر كاملة المسؤوليـة امامه في حالة انعقاده .

وحدد النظام الداخلي الجديد مكان العضو في الحزب وضرورة انسجامه مـع عقيدته ، وتقيده بقراراته بعد ان كفل له حرية المناقشة وابداء الرأي والاعتراض .

٣ ــ اعتبر كل انتاج فكري صادر قبل سنة ١٩٥٤ غير صالح لان يعتبر انتاجـا عقائديا . وان يعاد نشره بعد هذا التاريخ على انه انتاج عقائدي يمثـــل الحـزب وفكرته . وتشكلت لجنة تقوم بمهمة الاشراف على التوجيه الثقافي ولكنها مـاتت دون ان تنتج شيئا .

٤ ــ تالفت لجنة مؤلفة من الاساتذة عفلـق والبيطـار والحوراني والريمـاوي لمعالجة ازمة الحزب في سورية» .

ويبدو ان المؤتمر لم يكن قادرا على وضع حد للازمة ، لانها بدأت تطل برأسهـا منذ اليوم الذي انتهى فيه .

المؤتمران القطريان في سورية
١٩٥٥ و ١٩٥٧

وكان واضحا استمرار الازمة في المؤتمر القطري الذي عقد سنة ١٩٥٥، والذي ناقش الازمة من جديد واتخذ عددا من القرارات لاجل حلها . وبعد شهرين مـــن انعقاد المؤتمر علق الاستاذ ميشيل عفلق على الازمة بما يلي :

«في الماضي ، قبل تأسيس الحزب ، كان السؤال هو : هل تتغلب الامة العربية على نفسها وواقعها ، فتخلق من نفسها وواقعها ، رغم كل ما فيها من فساد وفوضى واستسلام ، جيلا جديدا يمثل حقيقتها ومستقبلها ، ويقيم بينه وبين الواقع سدا منيعا يسمح له بان ينمي بذور هذه الحقيقة ، ويوضح صورة ذلك المستقبل . امـا اليوم وبعد ان قطع الحزب اشواطا من الطريق فالسؤال هو : هل يتغلب الحـزب على نفسه وواقعه فيخلق من الفوضى التي دخلته نظاما اشد واصلب من المـاضي يكون اقدر على صهر اعضائه وتنمية كفاياتهم ، ورفع مستوى انقلابيتهم ، ونبذ من يشذ عن المستوى من العناصر الرخوة والمخربة ، ويخلق مـن الفساد الذي تسرب

اليه فضائل جديدة ، اكثر ايجابية من الماضي ، تحمي انقلابية الحزب ورسالته التاريخية بغزو المجتمع لا بالانكماش عنه ، ويجمع الحيوية الى المثالية بدلا من ان تكون هذه نتيجة لضعف تلك ، وبتجسيد العقيدة في السياسة ، خشية ان تبقى عقيدتنا نائية في سماء الوهم وسياستنا متردية في حضيض التبذل (١) » .

اما صلاح البيطار فقد قال : «ان الحزب قد مر بتجارب نضالية خارجية ناجحة وكسب معارك شعبية واسعة ، وقاوم الدكتاتورية والاوضاع الرجعية ، ولكن فيه بوادر لا مركزية مخيفة تجعله اذا ما استفحلت واستمرت خاضعا لواقع الاعضاء وموجها من الشعب وأوضاعه الفاسدة دون ان يكون هو الموجه» (٢) .

وفي سنة ١٩٥٧ تكونت في سورية لجنة تحضيرية لمؤتمر قطري ، وانعقد المؤتمر بين ٩ و ١٢ من شهر تموز ١٩٥٧ . ولم يكن اعضاء المؤتمر كلهم ممثلين لاجهزة حزبية كما يقتضي النظام الداخلي ، بل اختيروا من العناصر الخيرة، مسؤولة كانت او غير مسؤولة . وقدمت اللجنة التحضيرية دراستين في المؤتمر ، بعنوان «الحزب كأداة للنضال» و «حول قضية الاسلوب في البعث العربي» . وناقش المؤتمر ايضا المسائل المتعلقة بنظام الحزب الداخلي وعقيدته وسياسته ، ووحدة الحزب ، والمركزية فيه ، الخ ...

وقد جاءت قراراته تعبيرا عن الحاجة الى :

اولا : القضاء على الروح الفردية والاجتهادات الشخصية .

ثانيا : المركزية في التوجيه .

ثالثا : وضع الدراسات المرحلية لتحقيق شعارات الحزب ومبادئه .

رابعا : وحدة الاتجاه .

خامسا : القيادة الجماعية .

وكان من قراراته الفقرة رقم (٨) التي تنص على ما يلي : «خطة الحزب في المرحلة الراهنة هي تحقيق التماسك الداخلي في الحزب والعمل على دعم روح الانضباط والنظام فيه وتصفية الحزب من العناصر غير الجديرة بشرف عضويته ، والعمل على الاتصال بالجماهير الشعبية ونشر شعارات الحزب بينها والاشراف على تنظيمها ضمن هيئاته المختلفة ، واعدادها للمرحلة النضالية التي تمر بها الامة (٣) » .

وكان من نتائج هذا المؤتمر وضع النظام الداخلي لسنة ١٩٥٧ والذي كان لا يختلف الا قليلا عما سبقه .

ومن منتصف شهر تموز سنة ١٩٥٧ ، حتى شهر شباط سنة ١٩٥٨ ، لم يكن هناك مجال للحصول على نتائج عملية في التنظيم الداخلي للحزب، لان الوحدة تمت.

---

١ ــ نشرة داخلية ــ الدفاع عن العقيدة لا يكون الا هجوما . ميشيل عفلق .

٢ ــ نشرة داخلية ــ معركة الحزب الداخلية في سبيل نظام مركزي حديدي . صلاح البيطار .

٣ ــ جريدة البعث ــ العدد ٦٢ ، ١٩ تموز ١٩٥٧ .

الحزب في الاقطار الاخرى

كان الفرق تنظيميا بين القطر في سورية والاقطار والفروع والشعب الحزبية الاخرى ، فرقا كميا لا كيفيا . فالحزب في العراق كان اكثر صلابة وتماسكا منه في الاردن ، والحزب في الاردن كان اكثر صلابة وتماسكا من الحزب في سورية .

ولكن اقطار الحزب وفروعه وشعبه ـ خارج سورية ـ كانت بعيدة عن الانقسامات ، تحقق مستوى ادنى من الانضباط والالتزام . وقد فتح الحزب في الاردن مصراعيه خلال اواخر سنة ١٩٥٦ واوائل سنة ١٩٥٧ لكل عابر سبيل ، وكل طارق مجهول ، حتى تضخم عدد منتسبيه واصبح مهددا بالخطر ، الا ان النكسة الرجعية جعلت هؤلاء يرتدون .

وكما ساهم الحزب في سورية في المعركة العربية التحررية ، فقد ساهم في الاردن والعراق ، الا ان أثره في الاردن كان واضحا . ونستطيع ان نقول انه مع الحزب الشيوعي الاردني ، كان قائد الجماهير الشعبية . وساهم مساهمة فعالة في هزيمة حلف بغداد ، وطرد غلوب وانهاء المعاهدة البريطانية . وعندما حل البرلمان «المزيف» واجريت الانتخابات ودخل الحزب الانتخابات بثلاثة عشر مرشحا لم يفز منهم الا اثنان للاسباب التالية :

اولا : ضعف التنظيم الحزبي ، وجهل الاعضاء ، ومعظمهم جدد او من الطلاب، بوسائل تنظيم الشعب وتثقيفه وقيادته .

ثانيا : عدم اعداد برنامج تنظيمي لمرحلة الانتخابات .

ثالثا : الغرور الذي اصاب الحزب باعتماده على قواه الجماهيرية ، دون ان يحاول التعاون مع اية فئة كانت .

رابعا : خوف الاحزاب والفئات الاخرى من الحزب لما يتمتع به من تأييد وتكتلهم ضده . حتى ان الرجعي والشيوعي ائتلفا ضد المرشح البعثي .

خامسا : مقاومة الرجعية للحزب .

ولم تمهل الاحداث في الاردن الحزب لكي يعيد تنظيم صفوفه وتجميع قواه ، فحدث الانقلاب الرجعي . واصيب الحزب بضربات قاصمة ، جعلته غير قادر على القيام باعداد الشعب لهجوم معاكس على الرجعية .

ب ـ الاحزاب الشيوعية
(سورية ، لبنان ، العراق ، الاردن)

ظل موقف الشيوعيين من القضية القومية (١) وسياسة الحياد الايجابي ـ كما

---

١ ـ في البرنامج الذي قدمه الشيوعيون في انتخابات سوريا سنة ١٩٥٤ لم يذكروا مسألة الوحدة العربية ولم يشيروا الى ضرورة «التضامن العربي» ...!

وصفنا ــ حتى سنة ١٩٥٦ ، عندما جاء المؤتمر الشيوعي العشرون ليؤكد من جديد مساندته للنضال التحرري ، وليقرر امكانيـــة تحقيق الاشتراكيـة «بالوسائـــل البرلمانية» . ومن هذا الوقت تغيرت شعارات الشيوعيين فهم دعاة قوميـة وحياد وتحرر وطني . الا ان موقفهم هذا وتأييدهم للنضال الوطني في البـلاد العربيـــة وللرئيس عبد الناصر ، لم يجعل علاقاتهم افضل مع حزب البعث العربي الاشتراكي والاحزاب الاخرى . وظلوا موضع شك واتهام ونقمة لقرب العهد بالاخطاء الماضيـة التي استمر النقاش حولها ، ولعدم تغيّر نظرتهم لحزب البعث العربي الاشتراكـي وغيره من الاحزاب (١) . اما الجماهير فقد نال الشيوعيون عطفا منها نتيجة لمواقف الاتحاد السوفياتي المشرفة من القضايا العربية .

وعلى الرغم من المكاسب التي ظفر بها حزب البعث العربي الاشتراكي في ميدان توجيه الجماهير والتغلغل في صفوفها ، فان الشيوعيين قد احرزوا بعض انتصارات في هذا الميدان ، الا ان اكثر جماهيرهم المنظمة والمؤيدة كانت من نـوع جماهـــير البعثيين ، اكثرية ساحقة من المثقفين ، طلابا ومدرسين وموظفين صغارا ، وقليـلا من الفلاحين وذوي الحرف الصغيرة .

اما قضية فلسطين فقد ظل موقفهم منها ملتويا ، وجاء في البند الرابع مـــن البرنامج المذكور ، ما يلي:«السعي لحل قضية فلسطين بمعزل عن تدخل المستعمرين الامريكيين والانكليز ، على اساس ان حل هذه القضية مرتبط ارتباطا تاما بالقضاء على سيطرة الاستعمار في الشرق العربي وعلى حكم عملائه وعلى الصهيونية الرجعية صنيعة الاستعمار الامريكي (٢) » .

ولكن الشيوعيين لا يقولون لنا كيف يتم ذلك ، وكيف نستطيع عزل الصهيونية عميلة الاستعمار الامريكي عن الاستعمار الامريكي (٣) .

ج ــ الاحـــزاب الاخرى

انجرف الاخوان المسلمون خلال هذه الفترة مع التيار الرجعي الاستعماري ، فأيدوا في انتخابات سورية التكميلية سنة ١٩٥٧ ، الرجعيين كما ايدهم الرجعيون. ولكن رئيسهم مصطفى السباعي هزم امام ممثل حزب البعث العربي الاشتراكـي. وفي الاردن اغتنم الاخوان الحركة الرجعية ضد الحكم الوطني سنة ١٩٥٧ ليحملوا السلاح مع القوميين السوريين ضد الحركة الوطنية . ولـــم يكن هذا حدثـــــا

---

١ ــ وكان من الاسباب تخلف الحركة القومية وعداؤها للشيوعية .

٢ ــ برنامج الحزب الشيوعي لانتخابات سنة ١٩٥٤ في سوريا ــ كتاب الاحزاب الكبرى في سوريا، ص ٢٥٨ ــ ٢٦٣ .

٣ ــ كان من الواجب على الشيوعيين ان يقرأوا كتاب كارل ماركس «المسألة اليهودية» ليعرفوا حقيقة الصلة ــ صدر عن مكتبة المعارف في بيروت ، ١٩٥٦ ، ترجمة محمد عيتاني .

غريبا في تاريخهم . فقد افتعلوا اكثر من مرة معارك حزبية مع الحركة الشعبية في الاردن . وكان موقفهم الاخير استمرارا لروح تجلت اكثر من مرة وعرفها المخلصون تمام المعرفة .

وانجرف القوميون السوريون مع الرجعية والاستعمار فاشتركوا في المؤامرات الرجعية على سورية والاردن . واصبحوا من عملاء الرجعية المنسجمين مع غاياتها العاملين على تحقيق اهدافها . وقد ايدوا سياسة نوري السعيد ، وحاربوا سياسة عبد الناصر ، وتبنوا (الاتحاد الهاشمي) وقاوموا وحدة مصر وسورية .

ولم يكن لحزب الاستقلال او الوطني الديمقراطي في العراق أي أثر خاص في الحركة الوطنية بل اندمج الاول الذي فقد قاعدته نهائيا . والثاني الذي كان مجرد ظل للشيوعيين. في المؤتمر الوطني الذي كان قطباه يتكونان من البعثيين والشيوعيين. وقد ظل نشاط الرجعيين فرديا او تكتليا دون ان تجمعهم احزاب بالمعنى المعروف الا في سورية ، حيث تكتلت الرجعية في «حزبين» ليس لهما شخصية حزبية ولكنهما موجودان : هما الحزب الوطني ، وحزب الشعب .

د ـ حركة القوميين العرب

كان خلاف القوميين العرب مع البعثيين بادىء ذي بدء ينحصر في نقطتين :

الاولى : رفع شعار التحرر السياسي دون الاجتماعي .

الثاني : (وهي تتفرع من الاولى) القبول بأي شكل من اشكال الوحدة ، وبأي ثمن .

ولكن تطور الحركة القومية الاشتراكية وتطورهم هم . حداهم الى تبني فكرة «المراحل» التي تجعل من التحرر السياسي اولا ، دون ان تهيأ الاداة الثورية والعقيدة الثورية لتحرر اجتماعي . وكان رأي البعثيين ان هذه المحاولة تهدف لاستبعاد فكرة الاشتراكية ، وبالتالي اقامة مجتمع تتحكم به «البرجوازية» . واعتقد ان محاضرة الدكتور منيف الرزاز المعنونة : «لماذا الاشتراكية الآن» ؟ لم تكن الا ردا على حركة القوميين العرب (١) .

وصدر كتاب «مع القومية العربية» سنة ١٩٥٧ . فكان اول دراسة جدية تمثل تفكير جماعة القوميين العرب ولكن هذه الدراسة طرحت جديا مسألة المراحل ، وفكرة التحرر السياسي ، فلماذا كانت فلسفة القوميين العرب في ذلك ؟

يقول الكتاب : فللتخلص من الفقر والظلم الاقتصادي والاجتماعي عامة ، لا بد اولا من القضاء على التجزئة الاقتصادية في الوطن العربي بالاتجاه نحو الوحدة

---

١ ـ دراسات في الاشتراكية ـ مجموعة من المفكرين صفحة ١١٧ ـ ١٢٧ . لماذا الاشتراكية الآن (دار الطليعة بيروت) ومجلة الآداب العدد الثامن سنة ١٩٥٧ ، الثورة بين النظرية والارتجال ، والعدد الحادي عشر سنة ١٩٥٧ ، معنى التحرر العربي ـ لناجي علوش .

العربية ، والقضاء على الاستغلال بالاتجاه نحو الاشتراكية ، ولكن الاستعمار من جهة «واسرائيل» من جهة ثانية ، والفئات الحاكمة المنحرفة والنفعية من جهة ثالثة . سيقاومون هذا الاتجاه مقاومة عنيفة حادة . ولذلك لا بد من التخلص منهم قبل الاتجاه نحو أي نضال اقتصادي او اجتماعي ، أي لا بد من التخلص من المشكلة السياسية لنتجه نحو المشكلة الاقتصادية (١) .

ويبدو ان جماعة القوميين العرب يعتقدون ان تحقيق «التحرر السياسي» سوف لا يثير معركة عنيفة بين الحركة الثورية والرجعية والاستعمار ، مع ان التجارب تثبت كل يوم أن «التحرر السياسي» وجه من وجوه المعركة ، وان الرجعية والاستعمار ، يمثلان ظروفا راهنة ، ويدافعان عن مصالح قائمة ، ويرفضان رفضا عنيفا مسلحا اية محاولة للتغيير ، كما ان التجارب تثبت كل يوم انه من المستحيل تحرير بلادنا سياسيا واسترجاع اجزاء مفقودة منها بأساليب النضال التقليدية ، وبالاعتماد على المؤسسات الهزيلة القائمة . وظل القوميون العرب يبررون وجودهم ، وبالتالي خلافهم مع البعثيين بمثل هذا المنطق . وعلى الرغم من انهم نشطوا في كثير من البلاد العربية ، فقد ظلت حركتهم غير متبلورة ، اذ انها عجزت عن ان تقدم لجماهير الشعب ، دستورا او ميثاقا . وعندما وضع مشروع الدستور سنة ١٩٥٦ ، لم يحصل على الموافقة النهائية ، ولم يصبح نافذ المفعول ، لان الاتجاهات المختلفة في داخل الحركة ذاتها ، لم تتفق على صيغة تجمع هذه التناقضات ، او صيغة تقضي عليها .

---

١ ــ مع القومية العربية : اصدار اتحاد بعثات الكويت صفحة ١٦٥ والآداب عدد ٧ سنة ١٩٥٧ ، مقال فريد ابو عيطه في التعليق عليه .

الفصل الثالث

المرحلة الثالثة

(١٩٥٨ — ١٩٦١)

وحدة مصر وسورية

عندما زار وفد مصر البرلماني سورية في اواسط شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ ، تحركت البلاد كلها كما لم تتحرك من قبل ، حتى ان احد اعضاء الوفد قال: «لم اكن اتخيل المشاهد التي رايتها بعيني ، ولم اتصور ان شيئا مما رأيت يمكن ان يحدث» (١) .

وتدافعت الاحداث بعد ذلك . والشعب في سورية وفي مصر يلهث وراء اليوم الموعود حتى حل . وجاء شباط من سنة ١٩٥٨ . فتحققت الوحدة . وفي اليوم الخامس منه وقف عبد الناصر في مجلس الامة المصري ليعلن للعالم :

«لقد بزغ امل جديد على افق هذا الشرق . ان دولة جديدة تنبعث من قلبه ، لقد قامت دولة كبرى في الشرق ، ليست دخيلة فيه ، ولا غاصبة ، ليست عادية ولا مستعدية . دولة تحمي ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تقوي ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط ، تشد أزر الصديق ، ترد كيد العدو ، ولا تتحزب ولا تتعصب ، ولا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العدل ، تدعم السلام ، توفر الرخاء لها ، ولمن حولها ، للبشر جميعا بقدر ما تتحمل وتطيق» .

---

١ ـ عبد المنعم شميس ـ ستة ايام في سوريا ـ صفحة ٤ .

وجاءت نتائج استفتاء ٢٢ـ٢ـ١٩٥٨ ، مؤكدة ميلاد دولة جديدة على قواعد شعبية راسخة .

معنى قيام الوحدة

كانت الوحدة شعارا تردده الجماهير العربية ، وتناضل من اجله طلائعها . ولكن هذا الشعار ظل يصطدم بالواقع «التجزيئي» وبالنظريات الاقليمية، والمصالح المحلية، وبضعف الثقة في امكان تحقيقه ، ما دامت قوى هائلة استعمارية ورجعية تعادي الوحدة ودعاة الوحدة . ولذلك فاعلان الوحدة جاء ليؤكد :

اولا : وحدة الامة العربية . وايمان الجماهير العربية في القرية ، في المدينة ، في المهجر ، بوحدتها .

ثانيا : زيف الدعوات الاقليمية والطائفية والعنصرية ، وضعف جذورها وعدم مقدرتها على الوقوف امام الوجدان العربي عند يقظته .

ثالثا : فشل مؤامرات الاستعمار والرجعية المعادية للوحدة ، مما اكسب الشعب الثقة بالاستعداد لانتصارات أخرى .

رابعا : ارتباط مفهوم الوحدة لدى الجماهير بمفهوم التحرر التام ، وادراك الصلة العميقة بين الاستعمار والرجعية العربية .

خامسا : قيام دولة عربية متحررة تناضل من اجل بناء مجتمع حر سعيد ، كما تناضل من اجل تحقيق الوحدة العربية الشاملة .

سادسا : تأكيد وحدة الوطن العربي بجناحيه الافريقي والآسيوي .

سابعا : الخروج على المخطط الاستعماري الذي حاول ان يقيم توازنا بين الدول العربية واسرائيل من جهة ، وبين القوى العربية المتصارعة من جهة اخرى .

ولادراك الجماهير العربية هذه الحقيقة كانت فرحتها بها اكبر من ان تصور وأعمق من ان توصف . ولا اعتقد ان حدثا آخر في التاريخ العربي قوبل بمثل ما قوبل به اعلان قيام الوحدة .

قيام الاتحاد

وادركت الرجعية في الوقت نفسه قوة مركز الجذب والانطلاق الجديد في الحياة العربية ، فاندفعت خشية الزوال المحقق ، الى اقامة «الاتحاد العربي» الذي جاء بعد الوحدة اعترافا بضعف مركز الملكية في الاردن والعراق ، وخوفا من انتفاضة الشعب العربي فيهما بعد ان قامت على حدودهما دولة العرب الحديثة ، حاملة لواء وحدتهم وحريتهم . وبمقدار ما جاءت الوحدة تعبيرا عن امتزاج قوى الثورة في البلدين ، جاء الاتحاد تجميعا للقوى الرجعية، وبمقدار ما فرحت الجماهير العربية لانبثاق الفجر الجديد ، بميلاد الجمهورية العربية المتحدة ، عادت قيام «الاتحاد العربي» لما يعنيه قيامه من تكتل الرجعية ضد الشعب ، وتحالفها مع

الاستعمار في تضييق الخناق عليه .

مشاكل ولدت مع الوحدة

كان طبيعيا ان تلد مع الوحدة مشاكل جزئية ، ذلك ان الاجماع الشعبي حتى لو جاء مطلقا لا يستطيع ان يلغي ظواهر عارضة نتجت عن ظروف عارضة ، ومن أهم هذه المشاكل :

اولا : مشكلة الاحزاب الرجعية في سوريا ، الممثلة لاصحاب الارض والمال والنفوذ ، والمرتبطة بالرجعية العربية وبالاستعمار ، وهي الحزب الوطني وحزب الشعب والكتلة الدستورية وعدد من النواب المستقلين ونواب العشائر . وقد قبل جزء من هذه الفئات الدخول في «الحكم القومي» بينما رفض آخرون . وظلت الرجعية تتآمر على «الحكم القومي» الذي كان ينتهج سياسة التحرر والوحدة ، وكان من المتآمرين اشخاص بارزون من الحزب الوطني المشترك في الحكم . وتظاهرت الرجعية بتأييد الوحدة . وعندما زار وفد برلماني مصري دمشق في اواسط شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ ، ألقى علي بوظو ممثل المعارضة في البرلمان السوري ، المؤلفة من حزب الشعب والكتلة الدستورية ، خطابا في جلسة البرلمان المنعقدة بتاريخ ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ كان اقوى من خطاب أكرم الحوراني احد قادة حزب البعث العربي الاشتراكي ، ابرز دعاة الوحدة والعاملين على تحقيقها .

ولكن لماذا لم تكن الرجعية صادقة ؟ لا بد من جواب ...

١ ــ طبيعة التكوين الاجتماعي لهذه الاحزاب ، وطبيعة نظرتها للامور تجعلها تقف في صف الرجعية العربية والاستعمار . ولقد أيد هذا الاستنتاج منطق الحوادث قبل الوحدة ، الشيء الذي اوضحناه في اماكن متفرقة من هذا الكتاب .

٢ ــ قامت هذه الاحزاب لتمثل رجال الاقطاع في الارض والمال ، ولتحافظ على مؤسسات اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية ، كان الحكم في مصر قد أعمل فيها اجتثاثا قبل الوحدة ، ولم يكن من المعقول ان تتنازل الرجعية بهذه السهولة ، وباسم الوحدة العربية ، عن «امتيازات» كبيرة كثيرة تتمتع بها من مئات السنين .

٣ ــ قامت وحدة مصر وسوريا على اساس من السياسة المعادية للاستعمار واحلافه ، المعادية للرجعية العربية وتحالفها مع الاستعمار وخيانتها للشعب . واستغلالها له . وكانت الرجعية في سوريا على ارتباط وثيق بالرجعية العربية والاستعمار ، ولم تكن ضد الاحلاف ولا ضد الاستعمار ، انما كانت ضد الشيوعية ــ وقد بينا هذا في عرض مناقشات الميثاق القومي ــ .

لهذا كله ، ولما للرجعية من نفوذ في سوريا ، كانت الرجعية التي تظاهرت بتأييد الوحدة تشكل خطرا على الوحدة نفسها ، لاسيما وان قوة الرجعية ليست في بنيانها الحزبي ، بل في مؤسساتها الاجتماعية ونفوذها الاجتماعي . لذلك لم يكن حل الاحزاب الرجعية يعني اضعافا لها ، او حدا لنفوذها ، فهي موجودة حية ما دامت مؤسساتها موجودة حية .

ثانيا : مشكلة الحركة الوطنية العربية . اما حزب البعث العربي الاشتراكي فقد وافق على حل اجهزته وحلت فعلا ، واشترك بعض اعضائه من المدنيين والعسكريين في الحكم ، فكان الحوراني نائبا لرئيس الجمهورية والبيطار وزيرا مركزيا للارشاد القومي ، ومصطفى حمدون وزيرا تنفيذيا للاصلاح الزراعي .. الخ. وكان الحزب مؤمنا ايمانا مطلقا بالوحدة وبقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد اخلص لالتزامه بقرار حل الاحزاب ، ولكن المشكلة كانت فيما يلي :

١ ــ ظل الصراع بين البعثيين والرجعية قائما ، لا لان البعثيين ارادوا ان يخلقوا مشاكل للوحدة ، بل لان منطق الامور يحتم مثل هذه النتيجة . فالبعثيون دعاة اشتراكية ، والرجعيون ضد الاشتراكية. والبعثيون دعاة تحرر حقيقي، والرجعيون حلفاء للاستعمار . وكان يزيد من حدة الصراع محاولة الرجعية بعد الوحدة ان تسحق البعثيين ثأرا للماضي واحتياطا للمستقبل . ولم يكن بامكان البعثيين ان ينحرفوا ولا ان يهادنوا الرجعية . وعندما بدأ توزيع الارض طبق الوزير البعثي السابق مصطفى حمدون القانون بحزم على الرجعية فازدادت نقمتها .

٢ ــ واستمرت محاولات الرجعية للتهديم ؛ ففي الوقت الذي كانت الرجعية تعلن عن تأييدها لقيام الجمهورية ولسياسة الرئيس عبد الناصر ، ولعبد الناصر شخصيا ، كانت تكثر من الاشاعات والاراجيف الهادفة الى التخريب والتهديم . هذا كله جعل الحركة الوطنية العربية التي حلت نفسها تشعر بالخوف على وحدتها وجمهوريتها ، وتحس بأنها تعيش خارج الميدان في الوقت الذي يجب ان تكون فيه. وقد عقد المشكلة كون الاتحاد القومي ــ الذي علق البعثيون الآمال الكبار عليه ــ لم يكن قد بدأ العمل بعد . وقد تحدث عبد الكريم زهور عن هذه الظاهرة فارجع النجاح الذي تلقاه الدعاية الهدامة عند الشعب لسببين :

الاول : هو ما يبدو على هذا الاقليم من حالة «توقف في الحكم» ومرده من جهة الى توقف التفاعل السياسي السريع العنيف الذي كان يشارك فيه كل الشعب وما خلفه من شبه «شعور بالفقدان» . ومن جهة اخرى ان الحكم يواجه وضعا جديدا كل الجدة فليس من اليسير اذن ارواء شعب طموح الى تغيير جذري . وقد غذّى طموحه أمل عريض بالعهد الجديد الذي صنعه بيديه. وساعد عدم تمركز الصلاحيات على التردد وعلى عدم تحديد المسؤولية ، وبالتالي على جعل الحكم مسؤولا .

الثاني : هو الفراغ السياسي ، او بالاصح الفراغ الوحيد الجانب : فالحركة العربية الثورية حلت نفسها فعلا ، وكانت حجتها امام نفسها وأمام الشعب ان خطوة سليمة نحو الوحدة العربية لو اقتضت معركة تجتث هذه الحركة ــ اذا صح ان حركة ثورية تجتث ــ لوجب دخول المعركة دون تردد. هذا بينما الخيانة والرجعية لا يمكن ان تنحلا ، فهما في حالة التبعثر منظمتان ، لان اليد الخفية المحركة واحدة . وبينما القوى التي لا تؤمن بالقومية العربية لم تستطع ان تفهم كيف يمكن ان تحل نفسها . وعلى هذه الصورة انفتح الطريق امام الدعايات الهدامة والاراجيف ، ولم تجد ،

كالسابق ، كتلة متراصة منظمة توقفها عن النفاذ الى الشعب» (١) .

وسنبحث تطورات موقف حزب البعث العربي الاشتراكي من الوحدة في باب مستقل .

ثالثا : مشكلة الاحزاب الشيوعية . حاول الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ان يجعل من لقاء مصر وسوريا الذي فرضته الجماهير الشعبية اتحادا يبقي على كيان دولتي مصر وسوريا ؛ وقد اتخذ هذا القرار بعد اجتماعات للجنة المركزية للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان دامت ثلاثة ايام ، ما بين ١١ و١٣ كانون الثاني سنة ١٩٥٨ . ولكن الاندفاع الجماهيري فرض الوحدة فأيد الشيوعيون الوحدة وانتخاب الرئيس جمال عبد الناصر تأييدا لا يقل في حدته وحرارته عن تأييد العناصر القومية ؛ وكتبت جرائد الحزب الشيوعي السرية والعلنية في سوريا ولبنان والعراق ومصر المقالات والابحاث في تأييد الوحدة والكشف عن محتواها الديمقراطي التقدمي ، وعن ضرورة اعتبارها بدء الوحدة العربية الشاملة (١) . وقد قاوم الحزب الشيوعي المصري اتجاه الذين نظروا الى الوحدة من زاوية حل الاحزاب في سوريا فأصدر «مكتب العمل الجماهيري في السكرتارية المركزية للحزب الشيوعي المصري» نداء توجيهيا داخليا يطلب من الشيوعيين ان يتقدموا الصفوف في معركة الوحدة العربية . وناقش النداء هؤلاء الذين نظروا الى الوحدة من زاوية حل الاحزاب قائلا : «ولكن ، هل القضية الكبرى هي قضية حل الاحزاب في سوريا ؟ كلا ، القضية الكبرى هي ان تنجح الوحدة السورية المصرية وتنشأ قوة سلام في منطقة الشرق الاوسط . هل الاصح ان نركز كل جهودنا في نقد حل الاحزاب والنظر الى الوحدة من هذه الزاوية ؟ كلا ، ان الموقف الاصح هو ان نستفيد من المد الثوري الذي احدثته الوحدة واقترن بها وأعقبها » (٢) .

ولكن موقف الشيوعيين بدأ يتغير بعد ثورة ١٤ تموز ، الشيء الذي سنعرض له فيما بعد .

اما ما يلفت النظر فعلا فهو ان خالد بكداش غادر دمشق قبل اعلان الوحدة تاركا للناس الحق في ان يعتقدوا بأن الشيوعيين قد عادوا الوحدة منذ ميلادها .

رابعا : مشكلة تكوين الاتحاد القومي : طرح الحكم شعار الاتحاد القومي بديلا للحياة الحزبية ، على اعتبار ان الاتحاد القومي سيكون قادرا على حشد كل القوى الشعبية في سبيل البناء والتقدم . ولكن الحكم نفسه لم تكن لديه نظرية واضحة في العمل الثوري ، ولم يكن لديه جهاز مدرب لتكوين مثل هذا الاتحاد وتدريبه وقيادته . وقد نشأ عن ذلك ان قيادة الثورة لم تستطع ان تفرق بين العناصر

---

١ ــ جريدة البعث ــ العدد ٩٨ ، ٣ ايار سنة ١٩٥٨ .

٢ ــ الحكم دروزة ــ الشيوعية المحلية ، ومعركة العرب القومية ــ ص : ١٦٧ وما بعدها .

٣ ــ الحكم دروزة : المرجع السابق ص ١٨٩ .

الثورية والعناصر المخربة ، العناصر التي يجب ان تعمل ، والعناصر التي يجب ان تعزل او تهمل .

وعندما ايد البعثيون فكرة لجنة الشطب وهي اللجنة التـــي تدرس اسماء المرشحين لانتخابات الاتحاد القومي ، لتبعد من بينهم المشبوهين ، رفضت الفكرة وأبيح الترشيح للجميع دون استثناء . وقد أدى هذا الى استماتة الرجعية في سبيل التحكم بأجهزة الاتحاد القومي ، الشيء الذي جعل العناصر الثورية مضطرة للانسحاب (١) ، وترتب على هذا نتائج خطرة آخرها قيام الحركة الرجعية الانفصالية في دمشق ونجاحها .

خامسا : مشكلة القيادة والجماهير : نشأت في مصر قيادة الثورة في اوساط عسكرية . قامت مع الشعب ، وأحست بآلامه وعرفت آماله ولكنها اكتسبت من عملها في الجيش نظرة وفكرة ؛ ففي الجيش ليس هنالك فرق بين ضابط يملـك اطيانا . وضابط لا يملك شروى نقير الا بمقدار اخلاص كل منهما للنظم العسكرية ، وليس هذا المقياس صحيحا بالنسبة للحياة الاجتماعية . فالضابط الذي يملك أطيانا حليف للرجعية في الاغلب . اما الضابط الذي لا يملك شيئا فهو مهما كانت نسبة مستوى وعيه حليف للحركة الوطنية على الاغلب . فاذا ما صادرنا أطيان الضابط المالك فسيكون خصما موتورا ، ولا شك . وهذا يفرض على القيادة ان تنظر نظرة ثورية فاحصة الى احتياطي الثورة في المجتمع ، والى احتياطي الرجعية ، لكي يكون بالامكان اتخاذ الاجراءات الحاسمة عند الاقدام على اية خطوة تمس مصالح اصحاب المال والارض والنفوذ وكل مكتسب لعقليتهم الانحلالية الاستغلالية . اما الحركة الشعبية في سوريا فعلى نقيض ذلك ، انها حركة شعبية ثورية عاشت سنوات من النضال ، أدركت خلالها منطق الثورة ، وحددت موقفا نهائيا من الرجعية ، انـــه الشك الدائم والحرب الدائمة ، ذلك ان استمرار الانتصارات وحمايـــة المكاسب يقتضي عزل الرجعية وفضح تآمرها وكشف اساليب خيانتها واستغلالها .

ومن هنا كانت قيادة الثورة في مصر تصدر قرارات تقدمية دون ان تتخـــذ اجراءات لحمايتها ، وتقضي على نفوذ الرجعية في الوقت الذي تعلن فيه انها تقاوم حرب الطبقات ، ولكن الذي سيقود حرب الطبقات ليس الدولة القادرة على اتخاذ اي قرار تريد باسم العمال والفلاحين ، ولا العمال والفلاحون الذين تتحقق لهـم الانتصارات ، بل اصحاب المال والارض والنفوذ الذين يفقدون مالا وأرضا ونفوذا .

وكانت قيادة الثورة تتيح «لفئة» من الشعب ضربت في مالهـــا ونفوذها ، الفرصة لتعمل في جميع الميادين فتتآمر بدل ان تخلص ، وتنتقم بدل ان تنسى . وقاد حسن النية نفسه قيادة الثورة الى ان تفترض حسن النية في معاملة الحكام العرب : فتطعن الثورة العربية وتنسى ، وتصفع فتتسامح .

---

١ ــ جريدة الجماهير ــ العدد ٥٧ ، ١ تموز ١٩٥٩ . ذكرت اسماء كثير من المنسحبين .

في الوقت ذاته كانت الحركة الوطنية العربيـــة بقيادة حزب البعث العربـــي الاشتراكي ترى ان حسن النية والتأرجح لا يخدم الثورة العربية ما دمنا في حالة حرب لا تقبل التوقف مع هؤلاء الذين نمد لهم أيدي المودة والاخاء .

كانت قيادة الثورة في مصر تريد حشد قوى مختلفة وراء شعارات تقدمية . وكانت الحركة الثورية العربية تريد ان تحشد عناصر ثورية اشتراكية وراء هذه الشعارات لكي تضمن الانسجام اللازم بين السلوك والشعار ، والوعي اللازم لتحمل مسؤوليات النضال وللدفاع عن المكاسب والانتصارات . وقد استمر هذا الاختلاف حتى فرضت العناصر الثورية العزلة على نفسها ، خوفا على الحركة الوطنية من الانقســـام .

سادسا : كانت هنالك مشاكل أخرى اجتماعية وسياسية واقتصادية ولكنهـا عارضة ، ولا يمكن ان تحل دون توحيد القيادة السياسية ، ودمج اجهزة الدولة .

سابعا : وكانت المشكلة الكبرى ، هي تآمر الرجعية والاستعمار على الدولـــة الوليدة رائدة الوحدة العربية الشاملة والتحرر العربي الكامل .

وكان عبد الناصر يدرك ان الخطوة كانت طفرة ، وان الوحدة ، الدولة الجديدة، لا بد من ان تواجه مؤامرات الاستعمار والخونة العرب ، وان كان هذا الادراك لم يقترن دوما بالعمل . وقد اعلن في ايام الوحدة الاولى عندما كان في دمشق ـ بأنه سيجابه هذه الاخطار (١) . وكان يدرك مدى خطر الاستعمار على الامة العربيـــة والجمهورية العربية . يقول في خطاب ألقاه في رجال القوات المسلحة المرابطة على الحدود السورية الفلسطينية يوم ٢٧ شباط ١٩٥٨ :

«ان أعوان الاستعمار الذين يقيمون بين أرجاء الامة العربية لا يمكن مطلقا ان يؤمنوا بأهداف الامة العربية لانهم باعوا انفسهم للاستعمار وباعوا ذمتهم للاستعمار. ان هؤلاء الناس ، ايها الاخوة المواطنون ، هم اكبر خطر على الجمهورية العربيـــة المتحدة لانهم يشعرون ان حريتكم وقوتكم تهديد لهم وتهديد لمصائرهم ، ولهذا فنحن حينما نعلن من هذا المكان اننا سنحارب اعوان الاستعمار في كل وطن عربي وفي كل بلد عربي ، وسنساند الاحرار العرب في كل مكان ، انما ندافع عن وحدتنا ، وانما ندافع عن استقلالنا» (٢) .

---

١ ـ خطب الرئيس عبد الناصر في الاقليم الشمالي : كتب سياسية ، الكتاب الثالث والخمسون: الطبعة الثانية صفحة ٣١ و٣٤ .

٢ ـ نفس المصدر ـ صفحة ٤٢ .

الثورة في لبنان[1]

ولدت مع ميلاد الجمهورية العربية المتحدة ثورة على ارض لبنان ، وأخذت تنمو وتكبر حتى سيطرت قواتها على اكثر بقاع لبنان ، وكانت نتيجة لأثر السياسة العربية التحررية في اوضاع لبنان الداخلية . اما اسبابها المباشرة فهي :

اولا : التكوين الطائفي للبنان الذي جعل لبنان قطاعات متصارعة لا دولة .

ثانيا : سيطرة الطائفية واتجاه أنظار قسم من ابناء لبنان الى الغرب ، يقلدونه في كل شيء ، ويعتمدون عليه في صيانة امتيازاتهم ، ويتآمرون معه على اخوتهم .

ثالثا : محاولة «تغريب» لبنان ، وجعله وكرا للجاسوسية الاجنبية على البلاد العربية .

رابعا : محاولة شمعون ضم لبنان لحلف بغداد وربطه بعجلة الاستعمار الغربي، ولجوء شمعون في سبيل تحقيق ذلك الى كل وسائل الارهاب والضغط .

وقد قاوم الشعب هذا الحلف منذ سنة ١٩٥٤ ، ولكن شمعون لم يرتدع ، وظل يعمل من اجل تركيز سيطرة الرجعية والاستعمار على لبنان . وزاد قيام الجمهورية العربية تخوف العملاء ، كما زاد من قوة المخلصين ، فاندلعت الثورة وتجمعت كتائبها حتى كادت تقلب الوضع اللبناني التقليدي ، ولكن هناك عوامل عديدة حالت دون انتصار الثورة اهمها :

١ ـ قيادة العناصر الرجعية ، ذات المطامح السياسية المحدودة والعقلية المحافظة الجامدة ، للثورة .

٢ ـ عدم وحدة القطاعات العسكرية الثورية ، وعدم وجود قيادة موحدة .

٣ ـ حصر مستغلو الثورة اهدافها في ابعاد شمعون وعدم تجديد رئاسته للجمهورية ، بينما لم يكن هذا الا جزءا بسيطا من مشكلة معقدة .

---

١ ـ اقرأ «حقيقة الثورة اللبنانية» ـ لكمال جنبلاط ففيه دراسة لاسباب الثورة ، والكتاب صادر عن دار النشر العربية .

٤ ــ لم تقم في لبنان وحدات ثورية ينبثق عملها من منهاج سياسي معين ، ويهدف لهدم الواقع اللبناني الانعزالي والطائفي واعطاء الثورة مضمونا قوميا عربيا تقدميا .

٥ ــ لم تقم الجمهورية العربية المتحدة بدورها الطبيعي في المعركة ؛ فهي لم تحاول ان تجعل من الثورة ، ثورة قومية تهدف الى ارجاع لبنان الى الحظيرة العربية ، بل اعتمدت على الفئات الطائفية ، عندما كان بامكانها ان توجه العناصر الثورية وان تمدها بالمال والعتاد والرجال ، وان تؤجج نار حرب ثورية تحرق الطائفية والرجعية ، وتعيد للبنان حريته وكرامته .

٦ ــ لم تقم العناصر الثورية في الوطن العربي بواجبها نحو الثورة ، وكانت المساندة كل ما فعلته ، بينما كان يجب ان تعمل على تعميق مجرى الثورة بمختلف الوسائل ، ومنها توضيح اسباب الانتفاضة الحقيقية ، وواجب الطلائع الثورية في مثل هذه المناسبة ، والتطوع للمحاربة مع الثوار في سبيل انهاء الحكم الطائفي الرجعي واقتلاع جذوره .

كل هذه الاسباب أدت الى هزيمة الثورة ...

واذا كانت السياسة العربية التحررية قد خسرت معركة الاردن قبل الوحدة ، فان السياسة العربية التحررية قد خسرت معركة لبنان بعد الوحدة ... وهذه هي الهزيمة الثانية في سلسلة الهزائم ، التي أخرت تقدم الحركة العربية التحررية .

ثورة العراق

قبل ان تنتهي الثورة في لبنان اندلعت الثورة في العراق فسحقت اكبر قلعة من قلاع الرجعية في الشرق كله ، ومحقت اكبر رؤوس الخيانة في الوطن العربي، فانتهى حلف بغداد فعلا ، واصبحت وحدة العراق والجمهورية العربية المتحدة قاب قوسين او ادنى ؛ ولكن الاندفاع الجماهيري تفرق، والغايات تعددت، وجبهة المؤتمر الوطني تفسخت ، واذا بالعراق على ابواب مجزرة نستطيع ان نوجز اسبابها بما يلي:

اولا : القيادة العسكرية للثورة ؛ بدأت الثورة بتمرد بعض القطاعات العسكرية واحتلالها بغداد . وقد اثبتت الايام ان العسكريين قادة الثورة الحقيقيين كانوا مجرد مستائين ، وانهم لم يعملوا حسب منهج او خطة ، ولم يكن بينهم من العلاقات ما يجعلهم قادرين على توحيد وجهات النظر او تحديد الاهداف . ويبدو لي ان عبد السلام عارف كان فدائي الثورة ، وانه هو الذي قادها ليلة ١٤ تموز ولم يكن للقادة الآخرين شأن يذكر . وقيادة من هذا النوع لا يجمعها جهاز ولا تنظمها نظرية، ولم يشترك اعضاؤها اشتراكا فعالا متساويا من اجل تحقيق الثورة ، لا بد ان تكون غير متماسكة وان تتفرق في الوقت الذي يجب ان تجتمع فيه . ثم ان قادة الثورة العسكريين وجدوا انفسهم في الميدان دون ان يكون أمامهم مخطط بسيط يعملون بموجبه .

لقد رفعت ثورة مصر سنة ١٩٥٢ شعارات واضحة ، اما ثورة العراق فلم تعرف شعاراتها حتى الآن . ولقد تكوّن في مصر مجلس ثورة ، اما في العراق فان وزارة الثورة لم تكن مجلسا عسكريا ولا وزارة مدنية ، ولم يشترك العسكريون او المدنيون في توجيه الحكم .

ثانيا : القيادة السياسية للثورة ، تألف المؤتمر الوطني من الاحزاب التالية : ١ـ حزب البعث العربي الاشتراكي . ٢ـ الحزب الشيوعي . ٣ـ الحزب الوطني الديمقراطي . ٤ـ حزب الاستقلال . وقد جمع هذه الاحزاب عداؤها المحموم لنوري السعيد وسياسته الاستعمارية ، وخيط من شعارات السياسة العربية التحررية . ولكن اختلافات هذه الاحزاب كانت عميقة ، كما بينا ، وعندما حدثت

الثورة كانت الوزارة ممثلة للمؤتمر الوطني غير المتماسك .

ثالثا : كان الاندفاع الجماهيري نحو الوحدة مع الجمهورية العربية قويا ، وقد خشي الشيوعيون ان تتحقق الوحدة بسرعة ، كما تحققت بين مصر وسوريا فيفقدوا زمام المبادرة . كما خشي البعثيون ان يتأخر تحقيق الوحدة فيفلت زمام المبادرة من ايديهم . اما الحزب الوطني الديموقراطي فقد رفع شعار الاتحاد الفدرالي وهو مؤمن به . وكان حزب الاستقلال (المحدود النفوذ والفعالية) من أنصار التمهل . ومنذ الايام الاولى للثورة ظهر الاختلاف واضحا جليا . وقد أصدر الشيوعيون بيانهم المشهور بتاريخ الثالث من ايلول فطرحوا شعار الاتحاد الفدرالي . وانتقدوا الاوضاع في الجمهورية العربية المتحدة ، وفي الاقليم الشمالي بشكل خاص (١) . فثارت حفيظة الفئات القومية ولاسيما حزب البعث العربي الاشتراكي وبدأت الحملات الدعاوية ، وأصبح اي تعاون - على اي مستوى ، غير ممكن .

رابعا : تعاون عبد الكريم قاسم حاكم العراق ، مع الاتجاهات الاقليمية وفسح المجال لضرب القوميين . وقد بدأت العملية هذه بابعاد العقيد عبد السلام محمد عارف ثم سجنه ومحاكمته .

خامسا : كان الحزب الشيوعي في العراق اقوى الاحزاب ثقافة وقيادة وتنظيما، وكان حزب البعث العربي الاشتراكي منافسه الوحيد يستقطب جماهير كثيرة ، ولكنه كان يفتقر الى الثقافة والقيادة ، على الرغم من ان قياداته الشابة اثبتت صلابة وقوة وعنادا ، ولكنها كانت بلا رصيد من التجربة تجابه حزبا عريقا ، تسنده تجربة حزبية عالمية .

سادسا : استثار الشيوعيون الاكراد منذ الايام الاولى للثورة ضد الوحدة العربية ، والجمهورية ، لا ايمانا منهم بحقهم في تقرير المصير ، بل وسيلة لكسبهم في المعركة التي يخوضها الشيوعيون مع القوميين ، ووقف القوميون موقفا غير واضح من قضية الاكراد ، فلم يعترفوا لهم بأكثر من حقوق المواطنة .

وكان ان التقى الاستعمار والشيوعيون والرجعية في محاربة الاتجاه القومي في العراق . ونتيجة لهذا الاتفاق واجهت العناصر القومية اشد انواع الضغط والارهاب والتنكيل . وكان نتيجة لهذا ان حدثت ثورة الموصل . وعندما فشلت تكاتفت القوى الرجعية والشيوعية باسم حماية الجمهورية الخالدة ، ضد القوميين . وحدث ما يعرفه الناس جميعا من مجازر وحشية .

اما موقف المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة فقد ظل وديا حتى أواخر سنة ١٩٥٨ ، وأوائل سنة ١٩٥٩ عندما بدأت حملة اعتقالات ضد القوميين . وقد حاول المسؤولون في الجمهورية العربية ان يهاجموا الشيوعيين دون عبد الكريم

---

١ ـ انعام الجندي : الى اين يسير العراق ـ بيان الحزب الشيوعي العراقي حول الاتحاد مع الجمهورية العربية واليمن ، ص ٩١ ـ ١٠٢ .

قاسم ، ولكن ثورة الموصل لم تدع مجالا للصمت . وعندما زار كامل الجادرجي القاهرة قبل نهاية سنة ١٩٥٨ ، وتحدث مع الرئيس جمال عبد الناصر : عن اتحاد العراق مع الجمهورية العربية ، اجابه الرئيس جمال عبد الناصر : «لتتحد الجبهة في الداخل اولا» . ولم يكن يبدو على الجمهورية العربية بأنها تريد ان تفرض على العراق الانضمام للجمهورية كما كان الشيوعيون يشيعون ، وهو ما اعتقدوه منذ بيان الثالث من ايلول سنة ١٩٥٨ .

وأخذت الاوضاع تتدهور في العراق بسرعة فائقة . ومرت فترة ما بين مجزرة الموصل ومجزرة كركوك كان الشيوعيون فيها يحكمون العراق ، فعلا ، وعندما أحس عبد الكريم قاسم بأن الشيوعيين اصبحوا وحيدين في الميدان ، عمل على اضعاف نفوذهم بكل الوسائل . وبهذا عاد الحكم في العراق حيث كان . صحيح انه لم يعد الى حلف بغداد ولكنه عادى القوى التحررية في الداخل . وتنكر للقـــوى العربية التحررية في الخارج .

ان الهزيمة المؤقتة للحركة القومية في العراق ... كانت ثالثـــة الهزائم ... ولكنها كانت اكبر الهزائم وأفجعها ، وأكثرها اثرا في الحياة العربية .

الهزيمة في العراق ...
ونتائجها ...

عندما حدثت ثورة العراق اعتقد القوميون ان الانتصار كان حقيقيا وحاسما ، وان تجمع القوى القومية في الجمهورية والعراق سيضع الرجعية في لبنان والاردن والسعودية واليمن امام مصيرها المحتوم ، وسيجعل المعركة العربية مع الاستعمار في الخليج والمحميات وعدن قريبة ؛ ولكن انحراف الثورة ادى الى النتائج التالية:

اولا : هزيمة القوى الشعبية القومية في العراق ، وتحريـــك كل النعرات الاقليمية ، وبهذا خسرت الوحدة مؤقتا اكبر مراكزها وأهمها .

ثانيا : الدفاع عن الحدود الاقليمية ، ومحاولة تخليدها ، الشيء الذي شجع اعداء الوحدة من الرجعيين وعملاء الاستعمار في كل اركان الوطن العربي .

ثالثا : معاداة الجمهورية العربية قلعة الوحدة والتحرر ، والتعاون مع الرجعيين وعملاء الاستعمار .

رابعا : تشجيع الفئات المعادية للوحدة في سوريا وتحريضهـــا على الانتفاض والثورة ، وتشجيع الرجعيين المحيطين بها على الاستمرار في تآمرهم .

ولكن انحراف قاسم وطغيانه زادا من صلابة البعثيين واندفاعهم في النضال الجماهيري وأغنيا تجربتهم وعمقاها ، فالتف الشعب حول قيادته الثورية متحفزا للمعركة الفاصلة ضد دكتاتورية عبد الكريم قاسم .

حزب البعث العربي الاشتراكي
١٩٥٨ ـ ١٩٦١

تمت الاجراءات الخاصة بالوحدة في شباط سنة ١٩٥٨ ، وأذاع مسئول قومي في الحزب بيانا صغيرا نشرته الصحف عندئذ يعلن فيه حل الحزب انسجاما مع الوضع الجديد .

واستطيع ان أؤكد ان الحزب حل دون ان تجتمع القيادة القومية مرة واحدة لدراسة مسألة الحل واثرها في الجمهورية العربية وخارج الجمهورية العربية ، كما استطيع ان أؤكد ان قيادات الاقطار لم تسأل في هذا الموضوع (١) . ولكني استطيع ان أؤكد ايضا ان الحزب كله : قياداته وقواعده ، كانت موافقة بحرارة على قرار حل الحزب . وموافقة بحرارة على الانضواء تحت لواء جمال عبد الناصر ...

وهكذا لم تقل قيادة الحزب شيئا عندما حل ، انما ارتجل الاستاذ ميشيل عفلق الامين العام للقيادة القومية خطابا في المجلس القطري للحزب في سوريا أوضح فيه اسباب حل الحزب وغاياته . يقول ميشيل عفلق :

«لذلك عندما تم الاتفاق على توحيد مصر وسوريا ، لم يكن ثمة مشكلة بالنسبة الينا عندما اقتضت ضرورة الانسجام والتماثل في الوضع السياسي في الدولة الجديدة . بأن لا يكون في سوريا احزاب عديدة بل يسري عليها نظام الاتحاد القومي، لم يكن ثمة مشكلة لسببين :

الاول : أننا بكل بساطة نعتبر الوحدة اكبر كسب يمكن لأمتنا ان تحققه في هذا الظرف ، لان هذه الوحدة فيها من الطاقة الثورية ما سيفجر في كل مكان على ارض هذه الجمهورية الجديدة ، وفي ارض العرب الواسعة ، ما لا يحصى من الوعي

---

١ ـ كلفت لجنة من القطر السوري بوضع دراسة توضح التبريرات النظرية والعملية لحل الحزب، وكان من اعضاء هذه اللجنة ، الدكتور جمال الاتاسي ، وعبد الكريم زهور ، وجلال فاروق الشريف، ويروى ان هذه اللجنة قدمت تقريرا شفويا ، اكدت فيه انه لا توجد اية مبررات نظرية او عملية .

والنضال والتقدم . فاذن اي قيمة تبقى لوجود احزاب امام هذه الخطوة وما ننتظره منها في المستقبل ، ما دامت هي في حد ذاتها الضمانة الكبرى، ليس لوجود الحرية السياسية فحسب ، بل لانها ستنقل العرب الى مستوى جديد أرفع من كل ما عرفوه حتى الآن .

الثاني : ان هذا الكسب العظيم هو حل وتكوين من جهة اخرى . قلت لكم بأن رجال الثورة في مصر مقتنعون بعد تجارب وبعد تردد ، وبعد دراسة وصلوا الى هذا الاقتناع ، بأن لا بد من العمل على نفس الطريق ، طريق الوعي ، طريق العقيدة، طريق النضال الشعبي ، والاتحاد القومي هو مجال تطبيق هذه القناعة وهذه الفكرة ، وما علينا الا ان نحسن ملء هذا الاطار الجديد في نشاطنا ووعينا ، فالحزب هو حركة تاريخية للوطن العربي كله ، لا يمكن ان يحتجب او ينسحب ما لم يحقق اهدافه . والحزب موجود في الوطن العربي ، اما في الوطن الصغير ، في الجمهورية العربية المتحدة ، فانه باق كعقيدة ، لان جمهورية كهذه ولدت من نضال عقيدتنا ، من النضال الشعبي ، من نضال التحرر ، من نضال الاشتراكية لا يمكن ان تكون لها سياسة وان يكون لها اتجاه مختلف عن العوامل التي أوجدتها وساهمت في تكوينها .

والاتحاد القومي سيحمل عقيدة البعث ، كقيادة على اوسع مدلول لكلمة قيادة، وكقاعدة تشربت هذه العقيدة على طول السنين ، وجربت هذه العقيدة من خلال النضال . فعندما ندخل الاتحاد القومي سنعمل بنفس الروح وسيدخل آخرون ، لان الاتحاد القومي سيجمع عناصر كثيرة ، (المفروض ان لا يسمح للعناصر الخائنة والفاسدة) ولكن هناك عناصر وسط ليست بالرجعية ولا بالتقدمية ينقصها شيء من الوعي فيمكن للاتحاد القومي كما نتصور ان يقوم بتربية هذه العناصر وان يختار احسنها ، وان يكسبها الى الاتجاه الثوري التقدمي» .

ثم قال : «هذا ما اردت ان اقوله لكم ، وأعتقد وأشعر دون ان اسأل احدا منكم بأن هذه هي المرة الاولى التي ربما تشعرون فيها بالتجاوب التام مع الاحداث ومع قيادة الحزب ومع الحزب ، وأشعر بأنكم مطمئنون الى ان حل الحزب ليس شيئا ننظر اليه مع فرحتنا بالوحدة التي تحققت ، بشيء من الأسف» .

لقد كان هذا الخطاب تعبيرا حقيقيا عن مشاعر الحزبيين جميعا ، وان كان بعضهم لا يستطيع ان يتصور والفرح يملأ قلبه ان الحزب في سوريا قد حل ...

اخذ الاعضاء في جميع الاقطار بعد حل الحزب في سوريا يطالبون بعقد مؤتمر قومي لشعورهم بأن الحزب في حاجة ماسة الى عملية تطور جذرية ، لاسيما وان القيادة القومية لم تدعُ لمؤتمر قومي بعد سنة ١٩٥٤ ، وان ظروف الحزب الداخلية، وتطور الاوضاع العربية والدولية تستلزم اتخاذ موقف جدي منسجم مع مبادىء الحزب ومتطلبات المرحلة ، خصوصا بعد حل الحزب في سوريا ووجود ثلاثة من اعضاء القيادة القومية من القطر السوري . وابتدأت الاتصالات الحزبية لبحث قضية المؤتمر القومي ، ولم يكن ذلك سهلا بالنسبة للقطرين العراقي والاردني ، ثم تتالت الاحداث بسرعة فقامت ثورة لبنان في أوائل ايار وثورة العراق في ١٤ تموز مما

أخّر الاتفاق على تكوين اللجنة التحضيرية للمؤتمر . ولكن الاتصالات ظلت جارية ببطء ، وفي اوائل كانون الاول ١٩٥٨ اصدر الامين العام الاستاذ ميشيل عفلق تعميما حزبيا بشأن التحضير لمؤتمر قومي ، وتم بعد ذلك تشكيل لجنة تحضيرية وبدأت اجتماعاتها في الثامن من كانون الثاني سنة ١٩٥٩ .

خطوط اولى للبحث في اللجنة التحضيرية

في النشرات التي صدرت قبل اجتماع اللجنة التحضيرية ، حاول الامين العام ومعاونوه ان يوضحوا مهمة المؤتمر القومي الذي علقوا عليه كما علق عليه الحزبيون آمالا كبارا . ولعل اهم هذه النشرات النشرة المعنونة : «خطوط اولى للبحث في اللجنة التحضيرية» ، وهي غير مؤرخة الا انها وزعت بالطبع قبل اجتماع اللجنة التحضيرية في الثامن من كانون الثاني ، كما وزعت في اليوم الاول للمؤتمر .

والنشرة تعتبر «المؤتمر الوسيلة الشرعية والعملية لحل مشكلة يعانيها الحزب». وتعتبر ايضا ان «دور المؤتمر يجب ان يتناسب مع طبيعة المشكلة المراد حلها» .

اما المشكلة فليست اعتيادية ولكنها ناتجة عن «تطورات اساسية بعضها في الداخل وبعضها في الخارج» . تقول النشرة : «ففي الداخل نلاحظ ما يلي :

١ ــ النقص الكبير في تطبيق النظام الداخلي عموما ، والتباين الواسع في مدى التطبيق بين اجزاء الحزب الواحد ... الخ .

٢ ــ وهناك ايضا ظاهرة التفكك ، لا بالنظام فقط بل في التخطيط السياسي. فالحزب الآن لا يمكن ان يقال عنه بانه حركة موحدة في سياستها ونضالها ، الخ...

٣ ــ وأصيب الحزب برجة داخلية كبرى بحل الفرع الرئيسي فيه الذي تفرع عنه الحزب في الاقطار العربية الاخرى . وكان لذلك اثر كبير على نظام الحزب وتماسكه ووضعه القومي كحركة ثورية . هذا بالاضافة الى ان الحل قد وضع الحزب امام تناقض مبدئي ، خلق بلبلة واسعة في القاعدة ووضع الاعضاء والفروع الاخرى في موضع المشكك غير المطمئن للمستقبل ، الخ ...

وعلى الرغم من ان البند رقم (٣) من الظروف الداخلية جاء واضحا في اشارته الى التناقض المبدئي الذي تركته هزة حل الحزب ، فان النشرة عادت الى الموضوع مرة ثانية لتؤكد ان «امام الحزب قضية كبرى لا يستقيم تنظيمه ونشاطه وعمله الا بتحديد موقف نهائي منها ، وهي العلاقة بينه وبين الجمهورية العربية المتحدة كدولة من جهة ، والعلاقة بينه وبين الثورة في مصر من جهة اخرى . ان الجمهورية العربية كدولة جاءت ثمرة لالتقاء حركة البعث العربي والثورة في مصر على صعيد القومية العربية المتحررة التقدمية ، وهي اليوم بسياستها الرسمية تمثل هذا الاتجاه » .

«لهذا كله فالمؤتمر يجب ان يكون حاسما وتأسيسيا ، ولكي يتحقق ذلك لا بد «ان يسمع رأي قاعدة الحزب فيحضر عن كل فرقة من فرقه ممثل واحد ، بالاضافة

الى اعضاء القيادات العليا في الوطن العربي وخارجه» .

وانتخبت في النهاية هيئة مكونة من ثلاثة سميت مكتبا تنفيذيا مهمته معاونة الامين العام في التحضير للمؤتمر القومي . ومع ان عبد الله الريماوي كان عضوا في اللجنة التحضيرية ، ومع انه ساهم في انتخاب اعضاء المكتب التنفيذي ، الذي انتخب بالاجماع ، فقد تبين انه لم يكن راضيا عن اعمال المكتب وعن توجيه الامين العام لنشاطه . وكان من الواضح ان هناك اختلافا في وجهات النظر ، بعض اسبابها شخصي بحت والاسباب الاخرى ، وهي موضوعيا اعمق ، تدور حول تحديد الاتجاه الذي سيأخذه الحزب في مرحلته القادمة .

المؤتمر القومي

عندما بدأت اجتماعات المؤتمر القومي في ٢٧ آب ١٩٥٩ كان الصراع بين الريماوي وأنصاره من جهة ، والامين العام والمكتب التنفيذي من جهة أخرى ، قد بلغ أشده . اما الاسباب العميقة لهذه الازمة الخطيرة فقد كانت متشعبة وهي نتيجة لمجموع الازمات التي مر ذكرها سابقا . فبجانب المشاكل المتراكمة من جراء عدم وجود قيادة قومية فعالة وعدم انعقاد مؤتمر قومي في السنوات الخمس السابقة ، فضلا عن الخلافات الشخصية ، كان امام المؤتمر القومي على الاقل قضيتان اساسيتان تتطلبان البت . ويمكننا عرض كل من هاتين القضيتين بشكل اختيار بين بديلين :

١ ــ شخصية الحزب : اما حفظ شخصية الحزب كتنظيم شعبي عقائدي ، واما تذويب هذه الشخصية المميزة وجعل الحزب صدى لسياسة الجمهورية العربية المتحدة ومنفذا لخططها .

٢ ــ وحدة الحزب القومية : وقد انعكست هذه القضية في نقطتين رئيسيتين:

أ ــ مدى الحرية التي تتمتع بها القيادات القطرية : هل تعطى القيادات القطرية حرية كاملة في تقرير السياسة القطرية العامة بدون الرجوع الى القيادة القومية ، ام يكون للقيادة القومية حق الاشراف المباشر على السياسات القطرية العامة ؟

ب ــ طريقة تشكيل القيادة القومية : هل ينص على ان تمثل جميع الاقطار في القيادة القومية بنسب معينة ، وبالتالي جعل القيادة القومية ائتلافا بين الاقطار المختلفة . ام تنتخب القيادة القومية من بين اعضاء المؤتمر بصرف النظر عن الاقطار التي ارسلتهم ؟.

لقد كانت هاتان القضيتان لب الموضوع . اما القشور المحيطة به فقد كانت كثيرة متعددة الصور والالوان ، ابرزها تبادل الاشاعات التي تلطخ سمعة كل فريق، والهمس والاتهامات بسوء النية التي كانت تطلق جزافا . وكانت الاكثرية في المؤتمر بجانب حفظ شخصية الحزب المميزة وبجانب وحدة الحزب القومية ، بينما أيد الريماوي وأنصاره البديل الآخر . واشتد الصراع داخل المؤتمر وانقسم على نفسه

وأخذ كل فريق يعمل على كسب المؤتمرين الى جانبه . وبعـــد مناورات ومهاترات عديدة ، انسحب عبد الله الريماوي وبهجت ابو غربية ، بعد ان القى بهجت خطابا اتهم فيه اعضاء المؤتمر بأنهم يعملون ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وتبعهم اربعة وثلاثون عضوا آخرون . اكثرهم من اللاجئين السياسيين الاردنيين في دمشق . عند ذلك قرر المؤتمر متابعة اعماله وشكّل لجنة حيادية من بين اعضائه للاتصال بالمنسحبين ومحاولة التفاهم معهم واقناعهم بالعودة الى المؤتمر والمساهمة في تقرير خطة الحزب بالطريقة الديمقراطية . ولكن اللجنة فشلت في مهمتها نتيجة لاصرار الريماوي وأنصاره على البقاء خارج المؤتمر ، واعلان عدم اعترافهـــم بشرعيته . وبالتالي لا شرعية القيادة القومية التي سينتخبها وعزمهم على محاربتها .

عند ذلك قرر المؤتمر تجميد نشاط عبد الله الريماوي اداريا لمنعه من تنفيذ تهديداته ، وأقر النظام الداخلي الجديد وانتخب القيادة القومية الجديدة . وكان اول عمل قامت به القيادة الجديدة هو نشر بيان مقتضب يؤكد تأييد الحزب للجمهورية تاييدا كاملا ، ودعوة عبد الله الريماوي للتحقيق ، فلما رفض ذلك اتخذت قرارا بفصله نشرته جريدة الصحافة بتاريخ ٨ـ٩ـ١٩٥٩ . وهكذا انشق الحزب ، بعد ان انسحب ثلث المؤتمرين تقريبا مع عبد الله الريماوي (١) .

بيان المؤتمر

صدر عن المؤتمر بيان سياسي بتاريخ الرابع عشر من تشرين الاول سنة ١٩٥٩ ، ولكنـــه :

اولا : تجاهل قضية الانشقاق ، ولم يشر لها بكلمة واحدة .

ثانيا : تستر على «ماضي الحزب» ، ويبدو ان القيادة القومية الجديدة ، ارادت ان تبدأ عهدا جديدا ، ولذلك فهي لم تعترف بشيء من الاخطاء غير «بعض التجاوزات على مبدأ القيادة الجماعية» (٢) .

ثالثا : لم يذكر البيان الاسس التي سيعتمدها الحزب في الانطلاقة الجديدة .

اما علاقة الحزب بالجمهورية فقد حددها البيان تحديدا واضحا عندما اعلن موافقة المؤتمر القومي على قرار حل الحزب في الجمهورية ، وعندما اكد : « ان الانطلاقة الجديدة التي يحققها الحزب بعد تنظيمه القومي الجديد ستزيد من قوة وفعالية نضاله في بقية اجزاء الوطن العربي ، وتدعم تعاونه مع قيادة الجمهورية

---

١ ـ راجع كتاب «المنطق الثوري للحركة القومية العربية الحديثة» لعبد الله الريماوي ص١٢٩ـ١٣٢ و ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ، فقد بين وجهة النظر الاخرى .

٢ ـ الصحافة ـ ملحق العدد ٢٨٥ ـ ١٤ تشرين الاول ١٩٥٩ .

العربية المتحدة» (١) . ولكن هذا التأكيد على موافقة المؤتمر القومي على حل الحزب في الجمهورية لم يعد للحزب وحدته ، ذلك ان القيادة القومية الجديدة ، اعتبرت المنسحبين منحرفين .

وكان في هذا الجو ، ان صدرت جريدة الصحافة في الثاني والعشرين من شباط سنة ١٩٦٠ ، وبمناسبة الذكرى الثانية للوحدة وفيها افتتاحية (٢) تطالب الجمهورية بتنمية المد الشعبي في سوريا وبالاستفادة من خبرته وغناه ، كما تطالب «بمزيد من الديمقراطية» . وما هما الا يومان حتى خطب عبد الناصر في دمشق قائلا : «اذا قامت جماعة او عشرات من الناس ليقولوا انهم هم الاوصياء على هذا الشعب وانهم هم القاعدة الثورية ، فاني اقول ان هذا الشعب هو القاعدة الثورية الحقيقية» (٣) . وكان هذا الكلام والاتهام بالانتهازية الذي تلاه موجها للبعثيين . كانت صدمة ، تبعها الم منمض وحزن عميق في صفوف القاعدة ، لقد احسوا ان عبد الناصر ... «بطلهم الاسمر» الذي تغنوا باسمه كثيرا احسوا انه طعنهم في عيونهم ... (٤)

وفي صيف سنة ١٩٦٠ عقد مؤتمران الاول في دمشق والثاني في بيروت ، اما مؤتمر دمشق فقد نظمه الاستاذ عبد الله الريماوي وجماعة القيادة القومية الثورية، واما الثاني فقد عقد في بيروت ونظمته القيادة القومية للحزب .

صدر عن الاول بيان سياسي أيد سياسة الجمهورية العربية المتحدة دون قيد او شرط. وصدر عن القيادة القوميةفي بيروت قبل الاجتماع الثاني بيان سري يحدد علاقة الحزب بالجمهورية كما يوضح نقاط الاختلاف معها .

وقسمت النشرة الموضوع الى قسمين :

أ ــ ما يوضح للرأي العام :

١ ــ توضيح الصفة الديمقراطية التي يطالب بها الحزب الحكم في الجمهورية العربية في هذه المرحلة ، والتركيز على شعار الديمقراطية بجوانبها المختلفة ...

أ ــ الحريات العامة .

ب ــ حرية الصحافة والكتابة .

ج ــ حرية التنظيم النقابي على الاسس الديمقراطية .

د ــ نقد الصفة الديمقراطية للاتحاد القومي والمطالبة بابعاده عن السيطرة الحكومية وضمان حرية الانتقاد والمعارضة داخل صفوفه .

هـ ــ المطالبة بضمانات ديمقراطية لمجلس الامة والمساهمة فيه ، بدخول حزبيين سابقين ، والقيام بدور بارز في الدفاع عن وجهة نظر الحزب في الاوضاع الداخلية

---

١ ــ الصحافة ــ ملحق العدد ٢٨٥ ــ ١٤ تشرين الاول ١٩٥٩ .

٢ ــ الصحافة ٢٢ شباط ١٩٦٠ ، العدد ٣٩٨ .

٣ ــ نشرة وكالة انباء الشرق الاوسط ، السنة الثالثة رقم ٥٢٣ ، ٢٤ــ٢ــ١٩٦٠ .

٤ ــ سنتحدث عن البعثيين والوحدة في باب لاحق .

في الجمهورية العربية المتحدة .

٢ ــ الدفاع عن الوحدة بين الاقليمين: اناي نقد للاوضاع الداخلية للجمهورية، يجب ان يتبع دوما بالدفاع عن وحدةالاقليمين وعدم تحميل الوحدة مسئولية الاخطاء المطالب تلافيها ... وذلك لابراز نقدنا وتمييزه عن النقد الهدام والاستعماري الذي يركز على الاخطاء بقصد شق الوحدة .

٣ ــ ابراز شخصية الحزب كتجاه قومي مختلف عن اتجاه الجمهورية ، وذلك من الزاويتين الاشتراكية والديمقراطية ، وسعي الحزب لخلق جبهة شعبية تحمل هذا الطابع على الصعيد العربي وخصوصا في مناطق المغرب العربي .

٤ ــ ابراز دور الحزب العقائدي (كحزب) في تطور المجتمع العربي ، ومهاجمة دعوة اللاحزبية بنفس الوقت الذي تهاجم به الاحزاب التقليدية الاقطاعية الانتهازية.

٥ ــ النقد السلبي ، والتركيز فقط على الاخطاء والنواقص لا يكون أسلوبا ناضجا اذا اقتصر عليه الاعضاء في احتكاكهم بالشعب . فخلال هذه المرحلة يجب ترديد ذكر الاخطاء مع اظهار دور الوحدة ، ودور الحكام بالجمهورية في تنشيط حركة التحرير العربي .

ب ــ داخل الجهاز : نقاط الخلاف التي يجب توضيحها داخل الجهاز الحزبي.

١ ــ فردية النظام بالجمهورية العربية المتحدة وتوضيح أخطار النظام الفردي .

٢ ــ توضيح رأي الحزب في التطور الاقتصادي للجمهورية : وذلك استنادا الى دراسات علمية للتطورات الاقتصادية هناك .

٣ ــ توضيح آراء محددة لتصحيح الوضع القومي بالجمهورية : بشكل يضمن استفادتها من امكانيات وتجربة الاقليم السوري ، وتحقيق مشاركته الفعالة في بناء الجمهورية .

٤ ــ توضيح آراء محددة لتصحيح الوضع القومي بالجمهورية : بابراز الاعتماد على العمل الشعبي بدل الاعتماد على اجهزة المخابرات ، وأسلوب شراء الانصار في الاقطار العربية (١) .

ولكن موقف بعض الحزبيين في الواقع كان يتجاوز هذه التعليمات فيصل احيانا الىالشتيمةوالدعوة للانفصال، وتبني دعوة عدمانضمام اقطار عربيةأخرى للجمهورية العربية المتحدة .

في المجال التنظيمي والعقائدي

وعلى الرغم من انعقاد مؤتمرين قوميين لم يحقق الحزب انطلاقة جديدة لعدة

---

١ ــ هذه النشرة قرار حزبي صادر بتاريخ ١٠ــ٧ــ١٩٦٠ ، عن مكتب الامانة العامة ، ومكتوب في اعلى صفحته الاولى «سري جدا» . ، وقد نقلناه حرفا حرفا ، لذلك لا نجد سببا لاعادة نشره في الملحق . وهذه النشرة هي تلخيص لنشرة داخلية تقع في ٣٧ صفحة كانت قد صدرت في ٢٢ ــ ٣ ــ ١٩٦٠ .

اسباب منها : (١) انشغال القيادة القومية في بيروت بالحفاظ على جهازها الحزبي بعد الخلاف الذي حدث في مؤتمر ١٩٥٩ ، (٢) موقف قيادة الجمهورية العربية المتحدة من الحزب ذلك الموقف الذي اربك التنظيم الحزبي واضعف نشاطه ، وابعد بعض جمهوره الطبيعي عنه . (٣) عجز المؤتمرين عن تحديد ازمة الحزب الفكرية والتنظيمية وتبيين سبل الانطلاقة الجديدة .

الحزب والجمهورية العربية المتحدة

بينت فيما مضى الدور الذي لعبه الحزب في تحقيق وحدة مصر وسورية . وأؤكد مرة ثانية ان الحزب هو الذي حقق الوحدة ، وان كان الكل قد وافق على قيامها حتى اعداءها . كما ان الحزب عمل بكل الوسائل لتعزيز زعامة عبد الناصر الشخصية ثم بدأت حماسة البعثيين تفتر فأصبحت تساؤلا فترددا فصدودا ، فعداء ، وسأبين هذه المراحل بايجاز .

اولا : في السنة الاولى : استمرت العلاقات ودية حسنة ، واصدرت القيادة القومية للحزب اوامر للحزبيين بمناسبة الذكرى الاولى للوحدة طلبت منهم فيها ان يقيموا الاحتفالات والمهرجانات اينما استطاعوا ، لكي يجعلوا من الذكرى الاولى عيدا قوميا . واصدرت جريدة الصحافة عددا خاصا بالمناسبة كتب فيه الدكتور جمال الاتاسي مقالا عنوانه : «بينما الشيوعيون الاقليميون يسيرون بمنطق البرجوازية الانتهازية ، عبد الناصر يخطط الاشتراكية العربية» ، والمقال دفاع حاد عن الجمهورية ومنجزاتها ، وخطواتها نحو الاشتراكية وهجوم قاس على الشيوعيين لمهاجمتها .

ثانيا ــ في السنة الثانية (٢٢ــ٢ــ٥٩ ــ ٢٢ــ٢ــ٦٠) .

خلال هذه المدة تتالت الاحداث التي ادت الى الفرقة النهائية ، واهم هذه الاحداث هي :

أ ــ انتخابات الاتحاد القومي : في الخطاب الذي القاه ميشيل عفلق في مجلس الحزب القطري ، اعتبر الاتحاد القومي بديل الحزب الذي سيكون مجالا اوسع لنشر فكرته ، ونشرت جريدة «الجماهير» افتتاحيات ودراسات بهذا الشأن كانت كلها تريد ان تجعل من الاتحاد القومي ، اداة ثورية لا ملتقى اتجاهات متناقضة (١) . ولكن الرجعية تضافرت ضد العناصر التقدمية ، بعد ان الغيت لجنة فحص طلبات الترشيح . واستعملت كل وسائل التفرقة والدس والاحتيال . فأخذت العناصر القومية تنسحب من المعركة . وعلى الرغم من ذلك فان صحيفة «الجماهير» التي نشرت اخبار الانسحابات واسماء المنسحبين ، رحبت في اول الامر بفتح باب الترشيح للجميع ، ثم عادت لتؤكد ان الحكم الثوري لا يمكن ان يعتمد على عفوية

---

١ ــ جريدة «الجماهير» جريدة شبه رسمية كان رئيس تحريرها جمال الاتاسي .

الجماهير وعلى الثقة العامة بالشعب (١) . وفي ١١ تموز من سنة ١٩٥٩ صدرت جريدة الصحافة وفي صفحتها الاولى العنوان التالي : «اكتساح قوائم الاشتراكيين الثوريين بالسويداء ودرعا ودوما» .

ولكن عدم رضا البعثيين عن «جو الانتخابات» كان واضحا ، فقد انسحبوا من المعركة ، والعناصر التي بقيت منهم لا تستطيع توجيه الاتحاد القومي ، بما فيه من العناصر الطائفية والرجعية والانتهازية .

ب ـ تعطيل جريدة الجماهير : عندما تسلم رياض المالكي وزارة الارشاد القومي في الاقليم الشمالي ، تقرر اصدار ثلاث صحف يومية ، لتقوم بتثقيف الشعب ونشر الوعي في صفوفه . واسندت رئاسة التحرير في هذه الصحف الثلاث لحزبيين سابقين ، هم سليمان العيسى ، وجلال فاروق الشريف وجمال الاتاسي . ولكن جريدة الجماهير كانت اكثر هذه الصحف نجاحا ، وقد بلغت مستوى لم تبلغه اية جريدة عربية آنذاك .

أولت هذه الجريدة اهمية خاصة للاتحاد القومي وانتخاباته ، وعملت جاهدة لتوضيح سياسة عبد الناصر التحررية ، وجمع جماهير الشعب حولها . ولكن موقفها الصريح من معركة انتخابات الاتحاد القومي ادى الى قطع المعونة الحكومية عنها ، فتوقفت عن الصدور ، وتحمل الدكتور جمال الاتاسي من جراء ذلك ديونا طائلة . وقد أثرت هذه الحادثة في نفوس الحزبيين تأثيرا عميقا لسببين :

الاول : لان الحادثة كانت دليلا على ان السلطات في الجمهورية العربية المتحدة ارادت ان تنفصل عن القاعدة الثورية ، وانها اصبحت تعتبر نفسها سلطة ترفض النقد والتوجيه .

الثاني : لان مستوى الجريدة كان راقيا ، وكانوا يشعرون بالحاجة الى مثلها في زحمة ضجيج الاوراق الصفراء ، والابواق المأجورة .

ج ـ استقالة الحوراني والبيطار وحمدون وقنوت والكلاس : اعتبر الحزبيون هذه الاستقالات انفصالا نهائيا بين قيادة الثورة في مصر والقاعدة الشعبية الثورية في سورية . كما اعتبروا ان هذا الانفصال ناتج عن انحراف قيادة الثورة في مصر عن الاتجاه الثوري الاشتراكي .

وعلى الرغم من ذلك كله فقد علقت «جريدة الصحافة» على خبر الاستقالات بما يلي ، نقلا عن اوساط القيادة القومية : «ان الرئيس جمال عبد الناصر والوزراء المستقيلين هم في مقدمة الطليعة العربية التي قدمت التضحيات الجليلة في سبيل القضية العربية ، وحققت انتصارات قومية ثورية خالدة كان ابرزها قيام الجمهورية العربية المتحدة ، اول نواة للوحدة العربية المنشودة ، امل العرب جميعا ومعقد آمالهم . وقد نفت هذه الاوساط ما يروجه بعض المغرضين ، عن نشوء معركة بين البعثيين وقادة الجمهورية العربية المتحدة ، وقالت ان اختلاف وجهات النظر بين

---

١ ـ الجماهير ، الاعداد : ١٠ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، الخ ...

الرجال المخلصين العاملين في سبيل قضية امتهم لا يعني نشوء معركة . فالبعثيون الذين كان لهم شرف المساهمة الفعالة في قيام الوحدة سيبقون مخلصين عاملين على حمايتها وترسيخ قواعدها» (١) .

د ـ اللجنة التحضيرية والمؤتمر القومي : في اجتماعات اللجنة التحضيرية التي انعقدت بدمشق بتاريخ ٨ـ١ـ٥٩ والتي تحدثت عنها ، برز اتجاه يدعو لاتخاذ قرار بعدم جواز حل الحزب ، وفي المؤتمر القومي الذي عقد في بيروت والذي تحدثت عنه ايضا انشق المؤتمر لاسباب عديدة ذكرناها ، وعلى الرغم من ذلك فان بيان المؤتمر جاء مؤيدا لحل الحزب في الجمهورية العربية ، داعيا لتمتين العلاقات مع قيادتها . الا ان الحزبيين اعتبروا ان عبدالله الريماوي يعمل لتخريب الحزب بأوامر من الجمهورية ، وبأنه يعمل لجعل الحزب مؤسسة تابعة لها ، فزاد هذا الاعتقاد من التوتر والنفور .

ثالثا : في السنة الثالثة : (٢٢ـ٢ـ٦٠ ـ ٢٢ـ٢ـ٦١) .

أ ـ بدأت هذه المرحلة بالذكرى الثانية لميلاد الجمهورية العربية المتحدة. بمناسبة هذه الذكرى اصدرت جريدة «الصحافة» عددا خاصا . وكانت افتتاحية العدد الخاص نقدا رزينا للاوضاع في الجمهورية العربية جاء فيه : «فلن تستطيع الجمهورية ان تؤثر في الثورة العربية كرافعة لشعارات التحرر والوحدة والديمقراطية والتقدم ، الا بنسبة ما تزدهر في ربوعها هذه الشعارات . وكل تقصير عن هذا المستوى لن يقتصر ضرره على الجمهورية بل على الحركة العربية وعلى الوحدة العربية ، باعتبارها التعبير عن هذه الحركة .

ثم «وان مهمة تاريخية بهذه الخطورة تجعل وحدة مصر وسورية بداية لا نهاية، ومن البديهي ان تحتاج لهذا اوسع مشاركة من المناضلين والثوريين ، باطراد ديموقراطي ثوري، وتتطلب بقاء الجمهورية العربية المتحدة منفتحة على الثورة العربية الشاملة تتفاعل مع معطياتها ، كما تتطلب ان تمثل الجمهورية الوجه العقائدي في الاهداف والاسلوب السياسي» .

ولم يرد في هذه الافتتاحية ما يمكن ان يعتبر تنكرا او فتحا لمعركة ، فكل ما فيها تنبيه الى ضرورة المزيد من الديمقراطية ، والمطالبة بتنمية المد الثوري الشعبي. وهذا لا يتناقض مع اهداف الجمهورية العربية المتحدة نفسها . ولكن الرئيس جمال عبد الناصر سارع بعد يومين فقط ، فشن حملة شعواء على «الذين يدعون بأنهم القاعدة الثورية» وعرف الجميع بأن البعثيين هم المقصودون . ولا استطيع ان اصور مقدار الالم الذي احس به البعثيون ، اما رد الفعل فقد كان كبيرا ، حتى ان بعض اعضاء الحزب هتفوا للانفصال ، وقد استغل هذا «الخطاب» كثير من المفسدين والمخربين لمحاولة دفع الحزبيين في اتجاه الانفصال ومعاداة جمال عبد الناصر والثورة في مصر والتشكيك بعروبة مصر ، واخلاص ابناء مصر .

---

١ ـ الصحافة ـ العدد ٣٥٣ ، السنة الثانية ـ ٢١ كانون الاول ١٩٥٩ .

ب ـ النشرة التي صدرت عن القيادة القومية وقد نشرت سابقا ، وهي دعوة لتطوير ثوري ديمقراطي وليست دعوة للانفصال .

الا ان بعض اعضاء الحزب رفعوا لواء حرب دعائية ضد الجمهورية كانت تهدف الى تحطيم عبد الناصر شخصيا ، وتلصق بالوضع في الجمهورية كل التهم التي يرددها الاستعمار وعملاؤه . وقد زرت الحوراني في اليوم التاسع من الشهر العاشر سنة ١٩٦٠ ، فكان رأيه انه ليس هناك وحدة بل عملية تمصير .

جـ ـ وفي السنة ذاتها ابتدأت جريدة الصحافة تنشر مقالات عن (ازمة الديمقراطية والاتجاه الاشتراكي التحرري) و (ازمة الحرية والحل الديمقراطي الاشتراكي) و (حرية الفرد والمجتمع في تنظيم الدولة) (١) . وكانت هذه المقالات تقرر حقيقتين :

الاولى : ضرورة ارتباط الديمقراطية الاجتماعية الاقتصادية بالديمقراطية السياسية ، وخطأ الفصل بينهما . وقد اخذت الرأسمالية الغربية مثلا لفصل الديمقراطية السياسية عن الديمقراطية الاقتصادية ، بينما اخذت الشيوعية مثلا لفصل الديمقراطية الاقتصادية عن الديمقراطية السياسية .

الثانية : ان كل حزب او فئة او تكتل وطني او عسكري يتجاهل الترابط بين هاتين الحقيقتين يتعرض للجمود والانتكاس والتعثر والارتماء في حضن البيروقراطية (٢) .

وعلى الرغم من ان المقالات كانت «عامة» لا تبحث الظروف الخاصة بالوطن العربي والقيادات الثورية الاشتراكية فيه ، فانها كانت تشير من بعيد او قريب الى الوضع في الجمهورية .

ولعلها كتبت توضيحا لمبادىء عامة ، ينتقد البعثيون الجمهورية على اساسها .

د ـ وخلال صيف ١٩٦٠ بدأت جريدة الصحافة تنشر مقالات متسلسلة بعنوان (دفاعا عن الحزبية) (٣) وكانت مقدمة هذه المقالات واحدة في كل مرة : «اوساط جاهلة ومغرضة تشن حملة على الحزبية ...»

والمقدمة تدل على ان المقالات ردود على الحملة التي شنتها صحف القاهرة على الحزبية . وكانت المقالات تؤكد :

اولا : ان الحزبية اعلى انواع الالتزام .

ثانيا : ان الحزبية هي التعبير الحقيقي عن «الديمقراطية» .

---

١ ـ جريدة الصحافة الاعداد :

أ ـ ٤٣٣ ، ١١ نيسان ١٩٦٠ (ازمة الديمقراطية والاتجاه الاشتراكي التحرري) .

ب ـ ٤٣٤ ، ١٨ نيسان ١٩٦٠ (ازمة الحرية والحل الاشتراكي الديمقراطي القومي) .

جـ ـ ٤٣٩ ، (حرية الفرد والمجتمع في تنظيم الدولة) .

٢ ـ ان بعض هذه الدراسات التي نشرت مأخوذة عن اصل يوغوسلافي .

٣ ـ جريدة الصحافة ـ الاعداد ٤٥٦ ، ١٩ ايلول ١٩٦٠ و٤٥٨ ، ١ تشرين ١٩٦٠ و٤٦٠ الخ .. وقد كتبها السيد عبد الوهاب الشميطلي .

ثالثا : ان الحزبية هي الصفة الجديدة للوطنية .

رابعا : ان الديمقراطية تستلزم تعدد الاحزاب .

وليس في هذه المقالات ايضا ما يدل على ان كاتبها كان يدرك مقتضيات المرحلة، او انه كان يبحث عن حل حقيقي لازمة الديمقراطية في بلادنا . انها احكام عامة ، وتقريرات نظرية ، تطالب صراحة (بديمقراطية رأسمالية) .. وهذا ما كانت الدراسات السابقة تحاول ان تنفيه . ولم يحدث بعد هذا التاريخ ، تبدل في مواقف الفئات الحزبية المختلفة من الجمهورية العربية حتى الانفصال الرجعي ، وان كان الحزب قد ايد ببيان القرارات الاشتراكية التي اعلنت في تموز ١٩٦١ ، وطالب بحرية التنظيم الشعبي والنقابي لحماية هذه الانتصارات .

حركة القوميين العرب
بعد الوحدة

أيّد القوميون العرب الوحدة كما ايدها البعثيون وفئـــات الشعب الاخرى ، ولكنهم بعد الوحدة اصبحوا اكثر انسجاما مع القيادة في الجمهورية العربية مـــن غيرهم ولم تظهر لهم بعد ذلك شخصية مستقلة ، وان كانت جريدتهم «الحرية» التي تصدر في بيروت قد حاولت ان تساهم في اثارة موضوع الفكرة القومية والعمـل الاشتراكـي .

والحركة «تمثل التفكير السياسي الفردي» الذي لا يعـدو ان يكون «رد فعل» لمشكلات سياسية قائمة . وهي محدودة الانتشار ، ولكنها ساهمت بقدر امكانياتها في المعارك القومية ، في الاردن والعراق ، كما ساهمت في توتر العلاقات بين فئات الحركة الوطنية ، بمواقفها المعروفة من البعثيين والشيوعيين ، الذين لـم يكونـوا اقل قسوة عليها مما كانت هي عليهم .

الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية

مرت الاحزاب الشيوعية خلال هذه المدة بمرحلتين :
الاولى : تبدأ من قيام الوحدة وتنتهي بقيام ثورة ١٤ تموز .
الثانية : وتبدأ من ثورة ١٤ تموز وتنتهي بالانفصال الرجعي .

المرحلة الاولى

بيّنا كيف حاول الشيوعيون ان يجعلوا من الوحدة اتحادا . وبينا كيف ايدوا الوحدة عندما تحققت تأييدا لا يقل حماسة وحرارة عن تأييد القوميين .

وقد « نشرت صحيفة (اتحاد الشعب) السرية (لسان حال الحزب الشيوعي المصري) ، مقالا طويلا عن الوحدة ، بين مصر وسورية قالت فيه ان هذه الوحدة تحقق في الواقع ما يلي :

١ ــ انها توحد جهود شعبين متحررين من النفوذ الاستعماري ضد الاخطار المحتملة .

٢ ــ انها تفشل الخطة الامريكية التي ترمي الى تفتيت الصف العربي وعزل كل دولة والانفراد بها لتحطيمها .

٣ ــ انها تقيم دولة كبرى ضد التوسع الصهيوني .

٤ ــ ستكون الجمهورية العربية مركزا قويا لكافة القوى الوطنية التي تكافح من اجل الاستقلال والحياد والوحدة العربية .

٥ ــ ان كفاح حكومتي مصر وسورية لتحرير الاقتصاد القومي في كل منهما من النفوذ الاجنبي ولتصنيع البلاد ، والنجاحات التي تحققت في مصر وسورية بعقد اتفاقيات التصنيع مع الاتحاد السوفياتي ، وتجمع طاقات البلدين ، كل هذا يسرع بتحقيق الاستقلال الاقتصادي ، وهو الشرط الجوهري لصيانة الاستقلال السياسي » (١) .

ولم يكن موقف الاحزاب الشيوعية الاخرى ليختلف عن موقف الشيوعيين في

---

١ ــ الحكم دروزة ــ الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ــ صفحة ١٨٦ .

مصر ، ولم تبد اية بادرة تدل على ان الشيوعيين كانوا غير راضين عن قيام الوحدة، ما عدا سفر بكداش المفاجيء ، الذي فسرته الجماهير بأنه اعلان حرب على الوحدة. ولم تبد اية بادرة لتدل على ان الشيوعيين كانوا غير راضين عن طبيعة نظام الحكم او عن قيادة الرئيس جمال عبد الناصر .

وكان اول نقد وجه لسياسة الجمهورية العربية ، تعقيبا على تشكيل الوزارة الاولى ، فالحزب الشيوعي المصري لم يرق له استبعاد خالد العظم ... (١) وعندما صدر قرار ينظم كيفيةترشيح العمال للاتحاد القومي علقت صحيفة الحزب الشيوعي المصري (اتحاد الشعب) على هذا القرار قائلة : «في هذه الظروف التي نلاحظ فيها تدهورا مضطردا لمستوى معيشة الطبقات والفئات الشعبية ونلاحظ في ذات الوقت ارتفاع الارباح التي تجنيها الشركات والمؤسسات الرأسمالية ، يأتي هذا القرار لكي يتفاقم هذا الاتجاه» (٢) . لقد جاء هذا التحول سريعا ، ولكنه تحول في سياسة الحزب الشيوعي المصري في نظرته لسياسة الجمهورية العربية المتحدة ، وليس في نظرته للوحدة العربية ولاستمرار وحدة القطرين ...

المرحلة الثانية

عندما قامت ثورة الرابع عشر من تموز ، ظهر وجهها العربي الوحدوي منذ اللحظة الاولى لميلادها ، وكانت الجماهير التي خرجت صباح ذلك اليوم تهتف للوحدة العربية وتحمل صور الرئيس جمال عبد الناصر . ومنذ اللحظة الاولى عمل البعثيون ، والقوميون العرب على تحقيق وحدة الجمهورية العربية والعراق،لايمانهم بأنها الخطوة الجدية التي تجعل الوحدة العربية قاب قوسين او ادنى .

فالعراق اكبر اقطار المشرق العربي ، وهو اغناها بثرواته ، واشدها اهمية من ناحية استراتيجية،لوجود النفط فيه ولقربه من مناطق النفط السعودية والخليج.. ووحدة العراق مع الجمهورية العربية تزيد رقعة الجمهورية الجغرافية ، وتجعل عدد سكان الدولة الجديدة قرابة خمسة وثلاثين مليونا من البشر (يزيد الرقم الآن عن الخمسين مليون) ، هذا عدا انها تضع الحركة العربية التحررية وجها لوجه امام الاستعمار البريطاني في المنطقة الواقعة ما بين الخليج العربي وعدن ، كما انها تضعها وجها لوجه امام اكبر معسكرات التخلف في الوطن العربي التي تمتد ما بين البحر الاحمر وخليج العرب .. وتحقيق خطوة من هذا النوع كان سيزعزع اقوى مراكز الرجعية والاستعمار ، ويجعلها اسرع انهيارا امام ثورة جماهير الشعب ، وهو ولا شك خدمة جلى لقضية العرب التحررية ولقضية الحرية والسلام في العالم .

---

١ ــ الحكم دروزة ــ الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ــ صفحة ١٩٩ . (واتحاد الشعب ١٥ مارس ١٩٥٨) .

٢ ــ نفس المصدر صفحة ٢٠٠ واتحاد الشعب ، ٩ نيسان ١٩٥٨ .

الا ان الشيوعيين رفعوا نفس الشعار الذي رفعوه في سورية قبل الوحدة: (اتحاد فيدرالي) . ولكن العناصر القومية رأت في رفع هذا الشعار مؤامرة على الوحدة (١) . وهكذا ابتدأت معركة حامية الوطيس بين القوميين من جهة والشيوعيين من جهة اخرى .

الشيوعيون دعاة اتحاد فيدرالي

١ ـ قبل ثورة الرابع عشر من تموز بيومين اصدر الحزب الشيوعي العراقي منشورا طالب فيه «بقيام حكومة تنتهج سياسة وطنية عربية مستقلة تدعم نضال الشعب اللبناني ، وسائر الشعوب العربية وتخدم السلم .. وتحوّل «الاتحاد العربي» الى اتحاد حقيقي بين العراق والاردن ، يضمن مصالح شعبينا ، ويخدم النضال ضد الاستعمار والصهيونية . ومن اجل الوحدة العربية ، واقامة اتحاد فيدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة» (٢) . كما اصدر الحزب الشيوعي العراقي منشورا يوم الثورة لم يكن مختلفا عن المنشور السابق . وظلت سياسة الجمهورية العربية تحظى بتأييد الشيوعيين مدة من الزمن بعد ثورة الرابع عشر من تموز، ولكن التأييد كان يضعف شيئا فشيئا .

٢ ـ في الخامس من شهر آب نظم الشيوعيون مظاهرة كبيرة في بغداد، طافت في شوارع بغداد وهي ترفع شعار: (اتحاد فيدرالي وصداقة سوفييتية) (٣). وكانوا يرفعون هذا الشعار خلال كل احتفالات الاستقبال التي اقيمت بمناسبة زيارة عبد السلام عارف لالوية العراق .

٣ ـ صدر في الثالث من ايلول سنة ١٩٥٨ بيان عن (المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي (٤) ، كشف فيه الشيوعيون عن رأيهم واضحا في مسألة الوحدة والاتحاد ، فهم :

اولا : دعاة اتحاد فيدرالي على اعتبار ان الاتحاد «هو خير خطوة يعمل من اجلها العراق في كفاحه القومي نحو الوحدة العربية الشاملة» .

ثانيا : ويرون « بان الامة العربية في كفاحها الراهن تسير بخطى واسعة نحو اتحاد عربي شامل ، واقامة كيان موحد من الخليج العربي حتى المحيط الاطلسي ، في جمهورية اتحادية ديمقراطية .. »

ثالثا ـ وبان هناك اوضاعا تاريخية ومادية مختلفة ومصالح طبقية يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار .

---

١ ـ ايها الشيوعيون اين ايمانكم بالاتحاد الفيدرالي صفحة ١٣ ـ حركة القوميين العرب بالعراق.
٢ ـ الحكم دروزة ـ الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ـ ١٩٥ .
٣ ـ ايها الشيوعيون : اين ايمانكم بالاتحاد الفيدرالي (صفحة ١٣) حركة القوميين العرب بالعراق.
٤ ـ انعام الجندي ـ الى اين يسير الشيوعيون بالعراق ـ ص ٩١ ـ ١٠٢ .

رابعا : وبان تجربة الوحدة بين مصر وسورية كانت لها نتائج سلبية ، فنظام الحكم في الجمهورية ، لم يتطور الى مستوى ديمقراطي سليم ، والقوى الديمقراطية لا يمكن ان تتنازل عن « حرية النشاط السياسي والاجتماعي والفكري والكفاح الاقتصادي في الدفاع عن حقوقها المعاشية » .

خامسا : و « بان المهمة الكبرى الآن هي ضرورة التوجه بأقصى الطاقة ، نحو تعزيز مكاسب الثورة وتوطيد النظام الجمهوري الوطني . ولا سبيل الى ذلك سوى سبيل المحافظة على وحدة الصف الوطني ، وحدة العرب والاكراد وسائر الاقليات، وحدة سائر طبقات وفئات الشعب واحزابه وقواه الوطنية، وحدة الشعب والجيش على اساس ديمقراطي سليم .

وبهذا الشكل يمكن انضاج فكرة الارتباط بالبلدان العربية المتحررة والعمل من اجلها بوعي وثبات . وبالتالي فتح طريق رحب خال من العثرات امام اتحاد عربي شامل » .

ويبدو عند التدقيق في هذا البيان تناقض غريب ، فالشيوعيون دعاة اتحاد فيدرالي ، والشيوعيون دعاة توطيد النظام الجمهوري كوسيلة لانضاج فكرةالارتباط مع البلدان العربية . فالشيوعيون دعاة اتحاد ، على اعتبار ان الاتحاد خطوة في سبيل وحدة عربية شاملة . والشيوعيون دعاة اتحاد شامل ، وجمهورية اتحادية ديمقراطية . وزيادة على هذا فالشيوعيون يضعون نصب اعينهم اختلاف الظروف التاريخية والمادية ما بين بلد عربي وآخر ..!

الشيوعيون دعاة التضامن

وتقلصت دعوة الاتحاد الفيدرالي فأصبحت دعوة تضامن ومن الاهداف الثانوية للثورة :

١ ــ بدأت التهم تكال للجمهورية العربية المتحدة مع اعتقال عبد السلام عارف، وازدادت حمّى الاتهامات مع اعتقال رشيد عالي الكيلاني .

٢ ــ وبدأت محاولة «تعريق» الثورة ونفي الصفة العربية عنها ، ويمثل ذلك ما كتبه جليل كمال الدين في مجلة الثقافة الوطنية (١) . يقول جليل كمال الدين: « فما يهمنا هنا هو ان نذكر القراء ان الجمهورية العراقية التي هي حصيلة الثورة العراقية ، انما هي حصيلة تفاعل التعاونية العضوية الوظيفية الحية والمتطورة بين :

أ ــ روح باندونج .

---

١ ــ الثقافة الوطنية العدد الثامن ، كانون الاول ١٩٥٨ ، محتوى الثورة العراقية ... ومنطقها ، صفحة ٢٠ .

ب ــ ميثاق هيئة الامم المتحدة .
ج ــ لائحة حقوق الانسان .
د ــ الوحدة العراقية الكاملة (عربا واكرادا وارمن وآشوريين الخ) .
هـ ــ المد التحرري للقومية العربية .
و ــ الثورة العراقية .
اما منطق الثورة العراقية فهو :
«أ ــ التحرر .
ب ــ الديمقراطية .
ج ــ السلام العالمي .
وتبدو محاولة اغفال الصفة العربية للثورة ، والدوافع العروبية لها ، بذكر المد التحرري للقومية العربية ، بين حشد من الاسماء المتناقضة ، القليلة الاثر . كما يبدو ان جليل كمال الدين حاول ان يعطي الثورة في العراق مضمونا محدودا ، عندما حصر منطقها في التحرر والديمقراطية والسلام . فالثورة في العراق كانت جزءا من الثورة العربية الهادفة لتحقيق الوحدة العربية اولا ، والعاملة من اجل التحرر والاشتراكية والسلام . وان اية دراسة تظهر هذه الحقيقة بجلاء ، كما اظهرتها المشاهدة .

٣ ــ وصدرت في هذا الوقت بالذات مجموعة من الكتب التي تناقش هذه المسائل وكانت كلها تؤكد :
أ ــ الصفة العراقية للثورة .
ب ــ الخصائص المميزة «للمجتمع العراقي» ، والمجتمعات العربية الاخرى .
ج ــ ضرورة وجود «الحكم الديمقراطي» القائم على اساس جبهة وطنية ممثلة للاحزاب الوطنية .
د ــ تأييد فكرة بقاء الكيانات الاقليمية ، الذي جعل العراق جمهورية خالدة ، وقاد الشيوعيين الى الدفاع عن كيان لبنان .
هـ ــ تطبيق الديمقراطية في كل بلد عربي على حدة بعد البحث عن الاسلوب الامثل لتطبيقها .
و ــ ليس من حتميات وجود الامة الواحدة ، قيام الدولة الواحدة ... (١)
ز ــ اقامة اجهزة الحكم على اساس غير ديمقراطي ، في الجمهورية العربية المتحدة .
ح ــ الوحدة بين مصر وسورية خنقت «مصالح الرأسمالية الوطنية السورية» واعادت تقييدها بالرأسمال الاجنبي .

---

١ ــ عزيز الحاج ــ ثورتنا . العراق وقضية الوحدة ــ صفحة ٤٥ (دار الفكر الجديد) .

ط ـ من التضليل تحقيق الوحدة مع الجمهورية العربية وهي تتآمر على العراق .

ي ـ ارتباط سياسة الجمهورية العربية بالاستعمار. وقد تردد اسم «رونتري» و «الرونترية» كثيرا في هذه المرحلة .

ك ـ ان «دمج قطر عربي متحرر ديمقراطي ، مع قطر عربي آخر تسيطر عليه الاحتكارية المتواطئة مع الاستعمار ، وتشيع فيه حكما ارهابيا دكتاتوريا ، يخدم مصلحة البرجوازية الكبيرة الاستعمارية ، ولا يخدم مصالح الطبقات الوطنية المخلصة» ، ليس من المصلحة القومية (١) .

ل ـ رفض الوحدة القسرية ...

لقد كانت كل هذه الكتب والنشرات والدعاوي (٢) تهدف الى :

اولا : منع قيام الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .

ثانيا : تعميق الاتجاه الاقليمي الطبقي الشيوعي في العراق ، كوسيلة لوصول الحزب الشيوعي الى الحكم. ولذلك حاول الشيوعيون استثارة كل الفئات والقوميات والمصالح ، ونصبوا انفسهم مدافعين عن الحريات والقوميات والطبقات (٣) .

حركة الشواف في الموصل

وقامت حركة الشواف في الموصل احتجاجا على تسلط الشيوعيين، واحتكارهم للعمل السياسي ، فانتقم الشيوعيون شر انتقام ، واغتنموا الفرصة للانفراد بالعمل السياسي ، ولشن حرب طاحنة على القوميين عامة وحزب البعث العربي الاشتراكي خاصة ، وعلى الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها .

والذي يقرأ صحف الشيوعيين في هذه المرحلة يجد مثل هذه العناوين (٤) :

محتوى الوحدة تحرر وطني وديمقراطي .

التيتوية والفاشية غريبة عن ارض العروبة .

الشعب السوري يعاني نير حكم ارهابي لم يسبق له مثيل .

الخط الجديد لسياسة الجمهورية العربية المتحدة ... خروج على الحياد الايجابي وسير في سياسة الانحياز والتبعية .

---

١ ـ مكرم سعيد حنوش ـ رد على البزاز في الدولة الموحدة والدولة الاتحادية ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة العاني بغداد ، صفحة ٣٧ .

٢ ـ عزيز الحاج ـ ثورتنا في العراق وقضية الوحدة ـ دار الفكر الجديد . اين يقفون وأين يقف العراق ـ عزيز الحاج ـ دار الفكر الجديد . قضايا عربية ـ عامر عبد الله ـ دار الفكر الجديد. القومية العربية والديمقراطية ـ عزيز الحاج ـ دار الفكر الجديد .

٣ ـ المصادر السالفة الذكر . والشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ـ الحكم دروزة ، صفحة ٢٠٠ .

٤ ـ الاخبار العدد ٢٤٤ ، ٥ نيسان ١٩٥٩ السنة السادسة .

الاصلاح الزراعي في الجمهورية العربية المتحدة ، ليس في خدمة جماهير الفلاحين .

قبل رحلة الملك حسين واعوانه الى امريكا وبريطانيا جرت اتصالات سرية بينه وبين ممثلي الجمهورية العربية والبعثيين .

حكام القاهرة على صلة بحكام الاردن .

دعاة القومية المزيفة في القاهرة ، يدعون الاكراد للعمل ضد اخوانهم العرب (١) .

واستمرت هذه الموجة العارمة حتى مجزرة كركوك في الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٩ ، وعندما وقف عبد الكريم قاسم في التاسع والعشرين من تموز ليتهم الشيوعيين علنا وليهددباستعمال الشدة بدات الموجة في الانحسار. وكان الشيوعيون وهم يتراجعون يحاولون ان :

أ ــ يذكروا بالدور الذي لعبوه في حماية «الجمهورية الخالدة» وصيانة مكاسبها الديمقراطية .

ب ــ ويؤكدوا بأنهم «المدافعون الثابتون عن الجمهورية» ، وبأنهم يشجبون استعمال العنف ضد القوى الوطنية ، ويعتبرون اللجوء الى التآمر ضد الحكومة الوطنية «خيانة وطنية كبرى» (٢) .

غير ان القوى التي كانت صامتة ، او التي كانت على وفاق مع الشيوعيين، اخذت تهاجمهم هجوما عنيفا . تقول جريدة الثورة : «بعد ان كشفت هذه الجريدة عن التفاف الشعب حول الثورة وقائدها ومفجرها الاوحد ، كان على الشيوعيين كأقلية سياسية ان يأخذوا مكانهم التاريخي على ضوء تلك الاقلية ، الا انهم تجاهلوا هذه الحقيقة واندفعوا كحاطب ليل ينشدون التطويح بوحدة الصف الوطني والاستئثار بمكاسب الثورة واستغلال الحريات والمنظمات العامة لمصلحتهم الحزبية والتي كان من بين نتائجها مجزرة كركوك الدامية» (٣) . كما ان الجريدة نفسها تحدثت عن محاولات الشيوعيين للانفراد بالنشاط الحزبي ، وعن استغلالهم للمنظمات والنقابات ... الخ (٤) ، وشغلت الصحف نفسها بالحديث عن الشيوعية والشيوعيين. اما الشيوعيون انفسهم فقد بدأ موقفهم يتغير شيئا فشيئا من حكومة «الزعيم» الذي حموه وايدوه وجعلوا منه «اوحد» حتى اصبحوا معادين ...

وعندما بعثت الحياة الحزبية في اوائل سنة ١٩٦٠ لعبت اصابع غريبة فشقت

---

١ ــ اتحاد الشعب العدد ٦١ السنة الاولى ٨ نيسان ١٩٥٩ .

٢ ــ اتحاد الشعب ــ العدد ١٥٧ السنة الاولى ٢٩ تموز ١٩٥٩ .
واتحاد الشعب ــ العدد ١٦٠ السنة الاولى ٢ آب ١٩٥٩ .

٣ ــ الثورة ٩ آب ١٩٥٩ العدد ٢٢٦ السنة الاولى : دفاع الشيوعيين في غمرة مكافحة الفوضوية.

٤ ــ الثورة ٣١ آب ١٩٥٩ العدد ٢٤٥ السنة الاولى : الانفراد بالنشاط الحزبي ، شذوذ وتحد لمبادىء الثورة الخالدة .

الحزب الشيوعي العراقي ، وتقدم ممثلون عن كل من الفئتين المنشقتين بطلب رسمي للحصول على ترخيص بمزاولة العمل العلني ، ولكن السلطة حجبت الرخصة عن جماعة زكي خيري ، (القسم الرئيسي من الحزب) ومنحتها لداود صايغ قائد الاقلية المنشقة ، وحاول داود صايغ عقد مؤتمر تاسيسي ففشل ، بينما رفضت السلطات ان تمنح الحزب الشيوعي الاصيل ترخيصا . فعاد الشيوعيون الى المعارضة والعمل السري .

اخطاء الشيوعيين في العراق ...

يتحمل الشيوعيون مسئولية ما سيجابهونه خلال السنوات القادمة من الحقد والكراهية والارهاب (١) ، ذلك انهم اضافوا الى اخطائهم السابقة خطأ جديدا خطيرا ، هو تمزيق الجبهة العربية المتحررة ، وقد نتج عن هذا امران :

الاول : عداء مر حملته الاوساط القومية للشيوعيين العرب، تمثل في الاجراءات التي اتخذتها السلطات في الجمهورية العربية المتحدة ضدهم ، وفي الحملات الصحفية التي تعرضوا لها من الصحف والاوساط المخلصة وغير المخلصة .

الثاني : انشقاق القوى المعادية للاستعمار في العراق والبلاد العربية ، وتفتت هذه القوى على صخرة الشقاق والخصام ، الشيء الذي استفاد منه الاستعمار وعملاؤه في الوطن العربي . وأدى الى قيام حكم فردي غريب في العراق ، عادى القوى الوطنية جميعا . وضربها الواحدة تلو الاخرى بعد ان استنفدت طاقاتها في صراع محموم دام .

والحقيقة ان هذا الخطأ هو خطأ الحركة الوطنية كلها ، وان كان دور الشيوعيين كبيرا فيه . ولا شك ان للماضي واخطائه واحقاده وعدم الثقة الذي ينتج عنه اكبر الاثر في تطور الامور الى ما وصلت اليه . لقد مرت الاحزاب الشيوعية بتجربة جديدة مع الحركة القومية ، وبدلا من ان تؤدي تجارب الشيوعيين العديدة الى التقارب والانسجام ، أدت الى عداء وتنافر أغلق انفتاح التجربة الشيوعية على الحركة القومية ، وأغلق انفتاح الحركة القومية على التجربة الشيوعية ، فمنع اي تفاعل بينهما ، في الوقت الذي كانت فيه الشيوعية بحاجة الى هذا التفاعل لتضرب جذورها في الارض ، وكانت فيه الحركة القومية بحاجة الى مثل هذا التفاعل لتزداد عمقا ووضوحا ، وليزول نفورها التقليدي من الشيوعية .

---

١ ـ عرفت ان موفدين من الحزب الشيوعي اللبناني حاولا اقناع شيوعيي العراق بالعدول عن طريقتهم في العمل ، ولكنهما فشلا .

الحياة الحزبية والأحزاب والفئات الاخرى

نستطيع ان نعتبر هذه الفترة فترة خمود في الحياة الحزبية ، فلقد انقسم حزب البعث العربي الاشتراكي ، وان كان قد انتشر بعض الانتشار في المغرب ، ولم يبد جماعة القوميين اي نشاط جدي يدل على انهم اصبحوا اكثر قوة وفعالية، وان كانت جريدتهم «الحرية» قد اخذت على عاتقها مناقشة مشاكل الحركة القومية العربية والاشتراكية العربية . ويظهر ان الحزب الوطني الديمقراطي في العراق هو الذي عبر عن الازمة الحزبية بشكل مأساوي ، فجمّد نشاطه اولا ، ثم انقسم على نفسه ، ثم اعتزل رئيسه السيد كامل الجادرجي العمل الحزبي . وهـذه ليست البادرة الاولى في تاريخ الحزب فقد سبق وجمّد نشاطه .

ولا شك ان قيام الجمهورية العربية بقيادة الحركة التقدمية ، اثر كثيرا على نشاط الاحزاب ونموها ، فتضاءل النشاط الشيوعي لاصطدامه بسياسة الجمهورية العربية ، كما تضاءل نشاط الاحزاب القومية (البعث العربي الاشتراكي وجماعة القوميين العرب) لاسباب داخلية وخارجية :

١ ــ الاسباب الداخلية :

أ ــ عدم مقدرة هذه الاحزاب على الارتفاع الى مستوى الاحداث .

ب ــ تخلف الوعي العقائدي فيها ، وتحجرها عند مستوى الشعارات .

ج ــ تقصيرها في تحريك الجماهير وتنظيمها وقيادتها .

٢ ــ الاسباب الخارجية :

أ ــ اختلاف هذه الاحزاب نظريا وعمليا .

ب ــ التفاف الجماهير حول القيادة في الجمهورية العربية المتحدة .

ج ــ انشقاق حزب البعث على نفسه واختلافه مع القيادة في الجمهورية العربية المتحدة .

د ــ تطور الاحداث تطورا سريعا ، وتدخل الاستعمار و«اجهزته» ودعاياته .

هـ ــ انخفاض مستوى الوعي الشعبي ، وهزال مؤسساته ان وجدت .

لم تكن هذه الفترة في مصلحة الاحزاب ؛ لقد تقهقرت الاحزاب بـدلا من ان تتقدم ، وكشفت الحياة الحزبية كثيرا من نواحي الضعف ، ولكنها لم تقدم ايـة صورة من صور القوة باستثناء حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق .

الاتحاد القومي

مر عبد الناصر في مسيرته الطويلة نحو الديمقراطية بثلاث مراحل :

الاولى : الغاء الحياة الحزبية ، وتجميد الاحزاب الممثلة للرجعية ، الموزعة لقوى الشعب .

الثانية : ضرب الاقطاع ، وتحديد الملكية الزراعية ـ وقد تكلمنا عنهما في الفصلين السابقين .

الثالثة : تأميم بنك مصر وشركاته ، كوسيلة لانهاء الاحتكار الاقتصادي .

وكان عبد الناصر يرى ان خطوات سلبية (١) في اقامة « العدالة الاجتماعية» ، اما الخطوات الايجابية فكان لا بد لتحقيقها من استنفار قوى الشعب وتنظيمها وقيادتها . ورئي ان «الاتحاد القومي» هو افضل وسيلة لذلك فعليه :

اولا : ان يضمن وجود الاداة التي تحمي انتصارات الشعب وتضمن استمرارها وتطورها .

ثانيا : ان يتيح لافراد الشعب جميعا فرصة الاشتراك في الحكم وتوجيهه .

ثالثا : ان يسد «الفراغ» الذي نتج عن غياب الاحزاب .

رابعا : أن يجمع فئات الشعب المختلفة تحت راية واحدة ، وفي سبيل اهداف واحدة ، وينمي فيهم مشاعر الاخوة والمحبة ، ويزيل اسباب الاختلاف .

خامسا : ان يمثل الشعب تمثيلا صحيحا ، بعد ان استبعدت كل اساليب الضغط والاكراه ...

ورؤي ايضا ان تبدأ الانتخابات من القرى والاحياء ، على ان تنتخب القيادات بشكل هرمي ويكون رئيس الجمهورية في راس الهرم . واعطي رئيس الجمهورية حق اختيار اعضاء المجلس التنفيذي من اعضاء القيادات ليكون المجلس اكثر فعالية وانسجاما . ولكن الاتحاد القومي فشل للاسباب التالية :

اولا ـ التناقضات في المجتمع ، لا يمكن ان تنتهي بمجرد الغاء الحياة الحزبية وضرب الاقطاع وتحديد الملكية الفردية . فالعقلية الاستغلالية ، والنفسية المستعبدة لا

---

١ ـ خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بالمؤتمر التعاوني ـ القاهرة ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٨ صفحة ١٨ .

يمكن أن تنتهيا بتدمير بعض مؤسساتهما . الحياة الحزبية انتهت ، ولكن الفرقة بقيت ، والاقطاع انتهى ، ولكن تراث عبودية السنين الطوال ظل في نفوس الفلاحين. والدولة تولت مهمة توجيه الحياة الاقتصادية ، ولكن الاستغلال ظل يلعب في اسواق المدينة وفي قصورها وفي زوايا ملاهيها وباراتها ومسارحها ونواديها ، والمحلات التجارية حتى الصغيرة فيها . وبديهي ان الفئات المستغلة ولاسيما اذا كانت في بلاد متخلفة كبلادنا ، لا يمكن ان تقبل بضياع «هيبتها» ونفوذها ، ولا حتى بالمساس بهما ، وعلى هذا الاساس لم يكن معقولا ان تندمج الفئات الرجعية مع الشعب بعد ان ضحي بكثير من مصالحها في سبيل مصلحة الشعب . ولذلك فالرجعية العربية عاشت السنوات الاخيرة مستنفرة مستثارة بسبب التحدي السياسي الاقتصادي الذي تواجهها به الحركة القومية الوطنية الديمقراطية بقيادة عبد الناصر ، وبسبب حرمانها من كثير من امتيازاتها الاقتصادية والسياسية في الجمهورية العربية . وكان يزيد من شراسة المعركة عاملان :

الاول : تعنت الرجعية العربية وجمودها ، وربطها بين الامتيازات الموروثة والمكتسبة والكرامات الشخصية .

الثاني : استثارة الاستعمار الغربي (الامريكي ، البريطاني ، الفرنسي) لهذه الفئات وتشجيعه لها ، وتحريضها على الثورة .

وفي جو مثل هذا الجو ، كان من الخطأ ان يمنح اعداء الشعب ، الاقطاعيون والرأسماليون ، وكل عملائهم من العاملين معهم او المثقفين السائرين في ركابهم ، حق الحرية .

ثانيا : كانت الحياة الحزبية في مصر فاسدة لا تعتمد على الجماهير ولا تأبه لها الا للحصول على تأييدها في الانتخابات . اما الشيوعيون فكانوا قلة ، وأما الاخوان المسلمون فكانوا اعداء الثورة ، اعداء كل ثورة قومية اشتراكية ، ولم يكن الوضع في سوريا قبل الوحدة ليختلف كثيرا ؛ فالاحزاب الرجعية لا تعتمد على جماهير الشعب والحزب الشيوعي كان محصورا في اوساط اغلبها من المثقفين ، والباقي من العمال في المدينة . اما حزب البعث العربي الاشتراكي فكان حزب المثقفين ، وان كان يلقى تأييدا كبيرا في بعض المناطق الفلاحية مثل حماه . الا ان هذه الاحزاب كلها لم تصل في تنظيمها وعقيدتها الى مستوى قيادة ثورة شعبية اشتراكية ، وعندما حلّت اصبحت الجماهير معزولة عن القيادات الشعبية .

ثالثا : كانت الحركة الثورية الجديدة التي يقودها عبد الناصر تجابه :

أ ــ الشيوعيين .

ب ــ الاخوان المسلمين .

ج ــ كل التكتلات والفئات الرجعية والاستغلالية .

ولم يؤيده بادىء ذي بدء ، الا البعثيون وحركة القوميين العرب ، ولكن قيادة الجمهورية لم تتح مجالا للبعثيين ليساهموا معها في المعركة ، فظل عبد الناصر وحيدا . وكانت كل هذه الفئات بامتداداتها في الوطن العربي تعمل دائبة لتفشل التجربة لا لتعينها على النمو والاستمرار .

رابعا : وكانت التجربة ، وكان عبد الناصر ، في حاجة ماسة الى «الجهاز الثوري» الصغير الفعّال ، الذي يكون باعث الحياة في الاتحاد القومي ، والذي يجمع الاطراف المتناقضة ، ويغربلها وينظمها ويقودها ، فيكون الدافع والمراقب ، المجمّع والعازل .

خامسا : وكان لا بد لهذا الجهاز الصغير من ان يكون «مدرسة ثورية» يتعلم فيها الشعب ، الجماهير المنظمة وقياداتها، مبادىء الاشتراكيةوفلسفتها وسلوكيتها وأخلاقيتها ؛ كان لا بد ان يكون الجهاز الذي ينمي الوعي السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وينمي معه الطاقات الثورية الكامنة في الجماهير ، وكان لا بد لهذا الجهاز من ان يظل جهاز الكشف والضبط ، الذي يحدد اخطاء الحركة الثورية الاشتراكية وأسبابها ونتائجها .

كل هذا ــ وغيره من الاخطاء السياسية التي صحبته ــ جعل فشل التجربة مقدرا . وكان عبد الناصر احد ابناء هذا الجيل ، الذي يحمل الكثير من تناقضاته، الا انه تميز بعزيمة جبارة ، وصفاء حي ، ونظرة ثاقبة ، لكن المعارك السياسية الاقتصادية المتلاحقة ، والمناورات الاستعمارية الكثيرة ، حجبت عنه الكثير من الحقائق وجرت قدميه احيانا الى الحفرة ...

ولو ناقشنا الموقف بالقليل من الموضوعية التي نستطيع ان نركن اليها لثبت لنا ما يلي :

١ ــ انه لم يكن بأمكان عبد الناصر ان يعتمد على حزب من الاحزاب ، او على اجنحة من الاحزاب المختلفة للاسباب المذكورة سابقا .

٢ ــ انه لم يكن بالامكان القضاء على الصراع السياسي ، المتخلف عن العهد المباد ، والتناقضات الاقتصادية والسياسية الناتجة عن اختلاف مستويات الحياة الاجتماعية ووجود مستغِلين ومستغَلين ، عملاء للمستغلين وقابلين بالاستغلال ، بسرعة تجعل اي شكل من أشكال الديموقراطية التقليدية ممكنا .

٣ ــ انه لم يكن بالامكان الاهتداء الى فكرة هذا الجهاز الثوري الصغير القائد، والاهتداء الى عقيدته وقيمه ، بسرعة تضمن حماية الانتصارات وتفجير الطاقات الثورية الجماهيرية الكامنة ، دون الوقوع في اخطاء جسيمة .

وبين تضليل الرجعية والاستعمار ، وعداء الشيوعيين وسلبية البعثيين وكثير من المثقفين التقدميين ، كانت التجربة تومض تارة وتنكمش طورا ، تتقدم خطوات، فتتعثر ، وتنهض ، والمتفرجون المعادون ، يتوقعون كل يوم ان تتعثر العثرة التي لا قيام بعدها .

لقد عالجت جريدة «الجماهير» موضوع الاتحاد القومي معالجة جدية وان تكن قد وقعت في تناقضات كما بينت ، اما جريدة «الصحافة» فقد نشرت مقالا متسلسلا واحدا لمحمد عودة ، استعرض فيه الحياة الحزبية في مصر ، وتحدث عن طبيعة

الثورة العربية ، وطالب بأن يحرم من الحرية اعداء الشعب (١) . الا ان المؤيدين والمعارضين ، القانعين بفائدة الاتحاد وغير المقتنعين ، لم يتقدموا بمشروع لتنظيم الاتحاد القومي ، ولم يكتشفوا العيب في تركيبه ، ولم يناضلوا من اجل تصحيح خطأ ، او يعملوا من اجل نشر فكرة .

---

١ ــ الصحافة ــ الاعداد ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ــ تاريخ ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ آذار ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ نيسان ١٩٥٩ .

الحركة الانفصالية

مقدمـــة

الحركة الانفصالية ليست نتيجة أخطاء ، انها نتيجة تآمر رجعي استعماري كان يجب ان يدبر المكائد لانتصارات الشعب. الرجعية في البلاد العربية ، في الاردن والعراق والسعودية ، التي تعتبر الوحدة خطرا على وجودهـــا ، والاستعمار ــ البريطاني والامريكي والفرنسي ــ الذي يرى في الوحدة تدميرا لمصالحه ومناطق نفوذه ، لا يمكن ان يسمحا ببقاء وحدة مصر وسوريا ، نواة الوحدة العربيـــة الشاملة . ولذلك فمنذ اليوم الذي كانت فيه وضع المخطط الامريكي لفصل مصر عن سوريا ، استمرارا لسياسة البيان الثلاثي لسنة ١٩٥٠ ، وسياسة حلف بغداد ومشروع ايزنهاور .

لقد كانت المعركة الاخيرة ، معركة الانفصال ، استمرارا للمعارك التي خاضتها الحركة الوطنية العربية منذ سنة ١٩٥٥ . ولقد كانت الهزيمة ، رابعة الهزائم ، الا انها الهزيمة الاكثر خطرا ، والابعد اثرا .

اما الاخطاء ــ الكبيرة والصغيرة ــ فلم تكن السبب ، الا بمقدار ما تؤدي الاخطاء الى هزيمة قائد في معركة بدأت قبل الاخطاء وستعيش بعدها .

الظروف التي أدت الى نجاح الانفصال

اولا : للرجعية في سوريا نفوذها ، وقد حرمت من نفوذها السياسي قبـــل الوحدة عندما وجهت الفئات التقدمية الحكم ، وبعد الوحدة عندما اصبح الامر كل الامر بيد الرئيس جمال عبد الناصر ، كما ضربت مصالحها ضربات قاصمة :

أ ــ اغلقت حدود الاردن والعراق والسعودية في وجه البضائع السورية قبل الوحدة ، وقد استمر اغلاق الحدود بعدها ، وكان هذا يسبب خسائر فادحـــة لاصحاب المال وللمواطن العادي .

ب ــ صدر بعد الوحدة قرار الاستيلاء على اراضي الاقطاع وتوزيع الارض .

ج ــ وحدد الاسيرـ ، ورفعت الجمارك على البضائع المستوردة لمصلحـــة الصناعة الوطنية .

د ــ تولت الدولة امر توجيه السياسة الاقتصادية في البلاد .

هـ ــ وصدرت اخيرا القرارات الاشتراكية ...

كانت كل خطوة من هذه الخطوات تقود الرجعية وراس المال الى الاسترسال في عداء السلطة . وترتب على هذا العداء ان راس المال الذي يرفض التوجيه الوطني، اصبح وسيلة للتخريب . ففي صيف ١٩٦٠ كان المولون قد سحبوا اموالهم من السوق . وعندما اجتمع مندوب عن الدولة بممثليهم لبحث هذه المسألة اشترطوا اعطاءهم «فرمان» من عبد الناصر يضمن عدم التأميم حتى يعيدوا اموالهم الى السوق .

ثانيا : عادى الشيوعيون الوحدة بعد اشهر من قيامها ، وانكمش البعثيون على انفسهم بعد الذكرى الاولى ، وأخذ كثير منهم ينتقد الرئيس جمال عبد الناصر ، ولم تترك لهم السلطة فرصة ان يقوموا بأي عمل ايجابي .

ثالثا : فشل الاتحاد القومي في سد الفراغ الذي نتج عن غياب القوى التقدمية.

رابعا : انتهج الرئيس جمال عبد الناصر سياسة خاصة في الجيش هدفت الى ابعاد كل العناصر ذات النشاط السياسي منه . وكان من بين هذه العناصر رجال مؤمنون بالوحدة ، مناضلون ضد الاستعمار ، فخلا بخروجهم الجيش من العناصر القادرة على المبادرة ، المستعدة للتضحية في سبيل عقيدتها . ومثل هؤلاء هم الذين يستطيعون ان يحموا انتصارات الشعب ، ويردوا كيد الغادرين .

خامسا : وسيطر على البلاد جو من الرهبة واللامبالاة ، وأصبحت الصحافة مجرد وسيلة تسلية ، وانكمش الكتاب الاحرار على انفسهم ، تاركين القضايا العامة للدولة تجرب فتخطىء او تنجح . ولم يكن انكماشهم دون سبب ؛ ذلك ان اجهزة المباحث اشتطت في مغالاتها حتى انها مرة حققت مع السيد ادوارد حشوة ، لانه كتب مقالا صغيرا في جريدة «الصحافة» عنوانه «الادب والحرية» . كما ان المباحث نفسها صادرت كتابا من المطبعة للاستاذين محمد علي الزرقا والياس مرقص عنوانه (صفحات مجهولة من تاريخ الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان) بدعوى ان نقدهما للحزب الشيوعي يمثل وجهة نظر ماركسية (١) . مع العلم بأن في الكتاب حقائق كثيرة تفيد الحركة الوطنية العربية ، بالاضافة الى ان المناقشة تنطلق من ايمان عميق بوحدة الامة العربية .

سادسا : ضيّقت السلطات على العناصر المؤمنة بالوحدة من البعثيين السابقين في اتحاد الطلاب العرب ، وفي نقابات العمال بسورية ، حتى ان مجلس اتحاد النقابات استقال في أوائل شهر آب من سنة ١٩٦٠ ، لعدم مقدرته على الاستمرار

---

١ ــ وقد علمت ان الكتاب الذي صودر في الشام طبعته مصلحة الاستعلامات في مصر دون استشارة المؤلفين ، وبعد ان اختصرت منه بعض الاشياء .

في العمل ؛ وقد اوضح المجلس اسباب استقالته للرئيس جمال عبد الناصر (١) .

سابعا : لم تنشأ صلة وثيقة بين الشعب والسلطة ، وان كان هنالك تأييد شبه اجماعي للرئيس جمال عبد الناصر . ولم تكن الدعاية تثقيفية ، ولا كافية لمنع تضليل المضللين .

ثامنا : كانت الرجعية العربية في داخل سورية وفي خارجها ، في الاردن والسعودية والعراق ولبنان ، تفرض حصارا سياسيا اقتصاديا على (الاقليم الشمالي) ، وتشجع عناصر التآمر والشغب وتحرضها باذلة المال ، ومسخرة كل اجهزة الدعاية ، ومستعملة كل وسائل التخريب . وكان الاستعمار يسند الرجعية العربية ، ويسخّر ايضا كل اجهزة مخابراته وكل وسائل دعايته لتحقيق الانفصال.

تاسعا : وكان يجب ان تستمر معركة الحركة الوطنية العربية مع الرجعية العربية . مع الرجعية المتآمرة حتى يستمر الوعي الشعبي في يقظته ووثبته . ولكن «التوقف» الذي حصل بايقاف الحملة الشعبية ضد الرجعية العربية عامة ، والانحراف الذي حصل في العراق خاصة ، جعل جماهير الشعب تنسى معركتها ، وتنصرف كليا لحاجاتها اليومية .

عاشرا : وكانت هنالك فئات تسعى «لتمييع الجو» وتحويل المهرجانات الادبية الى محافل تسخر فيها من الفكر التقدمي ؛ مثال ذلك انتخابات ملكات الجمال الكثيرات : ملكة جمال القطن ، ملكة جمال الربيع ، ملكة جمال .. الخ . ورواج «الادب الجنسي» وتسخير الصحافة لاخبار بنات الذوات والنوادي الارستقراطية و«الفنانات المنحلات» . ونذكر من أمثلة المهرجانات ما حدث في مهرجان الشعر سنة ١٩٦٠ ، وسنة ١٩٦١ ، من اضطهاد للشعراء المحدثين ، الذين يمثلون اتجاه التقدم في الشعر الحديث . لقد تسلط شيوخ الادب على الحياة الادبية ليمنعوا اية زهرة من التفتح .

وعلى الرغم من ان عبد الناصر ناقش مسألة الصحافة في احدى خطبه ، وعلى الرغم من انه اصدر قرارا بتأميم الصحف ، وتحويل ملكيتها الى الاتحاد القومي ، فقد ظلت كما كانت .

لهذا كله حدثت النكسة .

هل كان الانفصال محاولة للتصحيح ...

حاولت الرجعية ان تموه حقيقة الانفصال فتعلن انه تصحيح للاوضاع . ولكن هنالك بديهيات تفضح هذا التمويه :

---

١ ــ وقد قدم النقابيون للمحاكمة بتهمة الاخلال بأمن الدولة وعلى الرغم من انعقاد جلستين لم يصدر قرار . ومما يذكر ايضا ان الدولة قد تدخلت لانهاء اضراب عمال الشركة الخماسية المستغلة.

اولا : التصحيح لا يكون بالانفصال ، والذين يستطيعون فرض الانفصال على عبد الناصر يستطيعون فرض المطالب التقدمية التي يقترحون .

ثانيا : الشعارات التي رفعت والتي قدمت للمشير عبد الحكيم عامر ، لا تدل على رغبة في تصحيح الاوضاع ، بل تعبر عن مصالح فئات معينة ، وتفضح مغامرة الانفصال . لقد كان من اهم شعارات الانفصال :

١ ــ الغاء القرارات الاشتراكية .

٢ ــ منح «سورية» كيانا خاصا متساويا مع كيان مصر .

ومطالب من هذا النوع ليست مطالب تصحيحية ، ولا مطالب من الممكن المساومة عليها .

ثالثا : «التباكي» الذي ابدته قيادة العصيان الرجعي على سوء العلاقات بين الجمهورية العربية والحكومات العربية الاخرى ، دليل على ارتباط هؤلاء بالرجعية العربية المتآمرة، فالعداء بين الجمهورية العربية والحكومات العربية لم تكن الجمهورية سببه ، بل كان سببه انحراف هذه الحكومات . ولقد ابدت حكومة الجمهورية حسن نيتها اكثر من مرة ، وكان الحكام العرب يحجمون ، وقد فضح هذا الارتباط اعتراف الحكومة الاردنية الفوري وتأييد الرجعية العربية كلها .

رابعا : لم تقدم حركة العصيان برنامجا تقدميا ، ولم تقدم تبريرا مقبولا للانفصال ، ذلك ان طبيعة الحركة الرجعية جعلتها تتستر وراء شعارات زائفة ، كما ان خوفها من الشعب جعلها تدعي بأن الانفصال «كان انقاذ الوحدة والعودة بها الى حقيقتها العربية الصافية والسير بها على طريقها السوي» (١) .

خامسا : كان المتتبع يرى بوضوح حقيقة المؤامرة تبرز على صفحات الصحف الرجعية قبل اعلانها (٢) .

---

١ ــ حقيقة الثورة واهدافها ــ ٢٨ ايلول ١٩٦١ ــ منشورات ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي للجيش العربي السوري صفحة ٥ .

٢ ــ فيوم ٢٥ ايلول ١٩٦٠ كتبت جريدة الحزب القومي السوري الاجتماعي «البناء» ــ العدد ٩٥٤ ، السنة الرابعة ــ ريبورتاجا صحفيا من دمشق جاء في نهايته ، «فرطت الوحدة» ... «والامر الثاني الذي اود ان اختم به رسالتي هذه ، هو ذكر ما جرى خلال عدة ليال في معرض دمشق الدولي .

لقد ثارت المباحث واهتزت طوال هذه الليالي ،

لماذا ؟

لذلك قصة ،

في هذه الليالي كان معرض دمشق الدولي يردد صدى هتافات عالية معادية للوحدة .

فالمعروف ان هناك اغنية تقول : «هوها تمت الوحدة» .

ولكن هذه الهتافات كانت تصرخ : «هوها فرطت الوحدة» .

وكان هؤلاء الشبان ، يتجمعون سوية في حلقة ويصرخون «هوها» ثم يتفرقون وهم يصيحون «فرطت الوحدة» .

وبين هذه الهتافات وبين الاخبار والجو الثقيل وحواجز الارصفة ، ونزول الجنود وتطويقهم

سادسا : تدل طبيعة الحملة التي شنتها الحكومة الانفصالية الرجعية ، ضد الجمهورية العربية والسياسة العربية والرئيس جمال عبد الناصر ، على اقليميتها ورجعيتها وتآمرها ، فهي تحاول ما استطاعت ان تؤكد ما يلي :

١ ـ ان الوحدة كانت عملية تسلط وتمصير وخنق وسلب ونهب ، وهذا بالضبط هو المنطلق الذي بدأت منه الفئات الرجعية الحاكمة ، والذي بدأ منه الاستعمار خلال السنوات الثلاث من عمر الوحدة .

٢ ـ ضرورة بقاء الكيانات الهزيلة والمميزات الاقليمية ، وهذا ايضا ما حرص الاستعمار وحرصت الرجعية العربية على الدعاية له .

٣ ـ ان قيام الوحدة كان خطأ ، وان الاخطاء التي نتجت عنها اكثر من المكاسب.

٤ ـ ان عبد الناصر والقيادة في الجمهورية العربية لا تعمل من اجل الامة العربية بل من اجل شهوات شخصية ورغبات فردية .

٥ ـ ان الوحدة أهلكت الاخضر واليابس ، فأضعفت الجيش ، وانخفضت بمستوى التعليم ... الخ .

٦٦ ـ ان القرارات الاشتراكية كانت «سلبا ونهبا» ، وانها كانت مجرد دعاية سياسية .

وهذا بالضبط ما يشيعه ويروج له الاستعمار (١) .

للمباني العامة ،

بين كل هذا تنتظر دمشق شيئا ...»

وفي ٢٧ ايلول ـ قبل الانقلاب بيوم واحد ـ كتبت البناء تقول :

«عرائض في دمشق» .

تطالب بفسخ الوحدة ،

وفي دمشق ما زالت النقمة تأخذ اشكالا متعددة بصرف النظر عن خلافات السراج الشخصية ومطامعه الخاصة .

فقد علمت البناء ان لجانا نسائية قد تألفت في دمشق ، وتم اختيار عضواتها ، للقيام بمهمة جمع التواقيع على عرائض ستوجه الى جمال عبد الناصر مطالبة اياه باتخاذ الخطوات السريعة الكفيلة بفسخ الوحدة واعادة الاستقلال للشام .

وعلم ان هذه اللجان قد بدأت تدور على الاحياء رغم الجو الارهابي المتوتر الذي يسود العاصمة اثر نزول قوات الجيش وتطويقها المباني الرسمية ومنعها السير على الارصفة» .

وقد كتب في رأس الصفحة بخط عريض :

نسيم النيل غير نسيم بردى .

أكان هذا غير اعلان عن المؤامرة ، وتهيئة لاذهان الناس ؟

١ ـ كتب هذا الفصل بعد الانفصال مباشرة . ولقد قدمت لنا الحكومة الرجعية الانفصالية فيما بعد كل الادلة التي تدينها .

اشتراكية الخير والوحدة السوية

في الوقت الذي كانت فيه حركة العصيان الرجعي ، تعلن بأن الاشتراكية ليست اشتراكية في المال فقط بل «اشتراكية في الخير» (١) كان «اقطاعيو» المال والارض يوزعون الحلوى ابتهاجا «بالانقلاب الثوري» . ولم تستطع حركة العصيان الرجعي ان تخفي اهدافها ، فلقد سمحت لعلي الطنطاوي ان يتحدث من اذاعة دمشق ليعلن ان الثورة كانت بسبب القرارات الاشتراكية .. وقد ألفت الحكومة الانفصالية هذه القرارات فبينت لجماهير الشعب الفروق بين اشتراكية المال واشتراكية الخير !.

ولقد وقعت حركة العصيان الرجعي في نفس التناقض عندما ادعت بانها قامت بالانفصال انقاذا لفكرة الوحدة . ويبدو ان الوحدة السورية تعني الانفصال ، وانقاذ الوحدة يعني تمزيق عرى وحدة قائمة ، واقتراح «اتحاد صوري» لا يتحقق . فاذا ما تحقق كان محافظة على المتناقضات ، وترسيخا لعرضيات اقليمية لا بد ان تزول.

ونظرة واحدة في مشروع الاتحاد الذي تقدمت به حكومة الانفصال الرجعي . كافية لان تثبت هذه الحقيقة . فالمادة الاولى تقرر : «انشاء وحدة عربية طوعية شاملة على اساس اللامركزية الدستورية ، بحيث تحقق هذه الوحدة تكافؤ الاقطار العربية ، وتضمن تكافلها وتصون مميزاتها وضروراتها المحلية» . وتقرر المادة التاسعة : «تتعهد الدول العربية المتحدة ان تتجنب كل واحدة منها التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية الاخرى او التعرض لشكل الحكم فيها» . اما المادة العاشرة فتجيز الانسحاب من الاتحاد اذا ما قررت السلطة التشريعية او الاستشارية في احد الاقطار ذلك .

وجدير بالملاحظة ان مشروع الاتحاد هذا لم يجعل الاتحاد وسيلة لتحقيق وحدة عربية شاملة ، تنطلق من الايمان باعتبار الوجود العربي حقيقة قائمة . واعتبار الكيانات السياسية كيانات اصطنعها الاستعمار ، بل جعله نهاية ، وجعله «طوعيا»

---

١ ــ حقيقة الثورة واهدافها ــ ٢٨ ايلول ١٩٦٠ ، صفحة ٢٨ . من بيان «للقيادة الثورية العربية العليا» .

يحق للدول الاعضاء الانسحاب منه ، كما يحق لاية دولة ان تلغي معاهدة بينها وبين دولة اخرى . واتحاد من هذا النوع يهدف الى ما يلي :

١ ـ الابقاء على الكيانات الهزيلة والمحافظة على المصالح الرجعية والاستعمارية المرتبطة بها .

٢ ـ التمويه على الشعب ، المؤمن بضرورة الوحدة ، الكافر بالحدود والدويلات **... الخ .**

وهذه الدعوة تنسجم مع مخطط الاستعمار الذي ساعد على قيام «الجامعة العربية» من اجل هذا الغرض . فالاستعمار يرفض الوحدة لانها تجميع لقوى الشعب ولانها تعني ـ فيما تعنيه ـ زوال مؤسسات رجعية قائمة يعتمد عليها في بقائه .. لقد كانت التجربة عبرة ، فأكدت للمتشككين والمترددين بأن الوحدة والتحرر والاشتراكية شيء واحد، وان من يقاوم الوحدة يقاوم التحرر والاشتراكية، ومن يقاوم التحرر يقاوم الوحدة والاشتراكية .

الاحزاب وحركة الانفصال الرجعي

هناك جماعات ثلاث يجب ان يبين موقفها من الانفصال :

الجماعة الاولى : حزب البعث العربي الاشتراكي .

الجماعة الثانية : حركة القوميين العرب .

الجماعة الثالثة : الحزب الشيوعي في سورية ولبنان .

١ ــ اصدرت القيادة القومية بيانين بتاريخ ٥ و١٤ــ١٠ــ١٩٦١ شرحت فيهما اسباب الانفصال الرجعي وحملت الاسلوب الخاطىء للرئيس عبد الناصر مسئولية اعطاء فرصة للرجعية لطعن الوحدة . كما هاجمت فيهما الرجعية ودعت لمواصلة النضال في سبيل الوحدة العربية الشاملة . ويقول البيان الاول ان الحزب «يؤكد اليوم ان تجديد وحدة سورية ومصر وتحقيق الوحدة العربية الشاملة يتطلب التوجه الى جماهير الشعب وتنظيم قواهـــا الطليعية وتمتين منظمات طبقتها الكادحة في نظام ديمقراطي شعبي ، والاقلاع نهائيـــا عن أسلوب تعبئة الشعب بالدعايـــة السطحية وضبطه بأجهزة الامن والمخابرات وتفكيك قواه القيادية ومنظماته وتركه ضعيفا مستسلما امام السلطة **الفردية** » .

اما الفئة التي يتزعمها عبد الله الريماوي فقد شجبت الانفصال ، واعتبرتـــه خروجا على مبادىء النضال الوحدوي التحرري وخدمة للاستعمار والصهيونية .

ووقع صلاح البيطار وأكرم الحوراني بيانا مؤيدا للحركة الانفصالية ، بجانب السياسيين الرجعيين. الا ان صلاح البيطار اصدر بيانا مستقلا بتاريخ ٤ــ١٠ــ١٩٦١ اكد فيه ان الشعب أيد القضاء على الطغيان ، ولكنه لا يريد الانفصال .

٢ ــ حركة القوميين العرب : كانت حركة القوميين العرب اكثر انسجاما مع قيادة الجمهورية خلال سنوات الوحدة ، كما اسلفنا ، وعندما حدث الانفصال كان هؤلاء من اشد الفئات تحمسا للدفاع عن الوحدة وشجب الانفصال . وينبثق هذا من ايمانهم العميق بالوحدة ومن انسجام مع القيادة في الجمهورية العربية المتحدة .

٣ ــ الحزب الشيوعي في سورية ولبنان .

أيد الحزب الشيوعي في سورية ولبنان الانفصال لاسباب :

اولا : عدم ايمان الشيوعيين بالوحدة العربية .

ثانيا : نتيجة للحرب المتبادلة بين القيادة في الجمهورية العربية والشيوعيين.

ثالثا : محاولة لاستغلال الحكم الرجعي الضعيف في ترسيخ قواعد الحـــزب ونشر ثقافته ، الشيء الذي كان مستحيلا في عهد الوحدة .

القسم الثاني

الحركة العربية الثورية بين الماضي والمستقبل
تقييم ومشروع عمل ثوري

حول الحركة العربية الثورية المعاصرة

مقدمـة

تجتاز الحركة العربية الثورية المعاصرة مرحلة خطرة ، بسبب غموض اهدافها، وعدم تبلور قيمها ، واكتمال تنظيمها . وهي لذلك بمختلف اتجاهاتها وتنظيماتها ، مدعوة لممارسة نقد ذاتي قاس جدا ، لا يظهر اخطاءها وانحرافاتها فحسب ، بـل يحدد اهداف النضال المقبل ، ويصنف القوى القادرة على تحمـل مسؤولياته ، والاساليب التي يجب ان تتبع لتحقيق هذه الاهداف .

ولكي نقدم فكرة واضحة ، كان لا بد ان نستعرض تاريخ الحركات الثوريـة المتصارعة في بلادنا ، ولكن هذا الاستعراض النقدي لم يكن الا مقدمة للدراسة النقدية التالية التي تهدف الى ما يلي :

اولا : ايضاح المعطيات الاولية للحركة الثورية العربية .

ثانيا : دراسة تجربة حزب البعث العربي الاشتراكي على ضوء هذه المعطيات .

ثالثا : دراسة تجربة الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية على ضوء هـذه المعطيات .

رابعا : دراسة تجربة عبد الناصر على ضوء هذه المعطيات .

خامسا : تقديم ملاحظات ايضاحية حول العمل الحزبي في الوطن العربي .

وبعد هذا كله اقتراح مشروع عمل ثوري .

المعطيات الاولية للحركة العربية الثورية

١ ـ الحركة العربية الثورية ، حركة تحريرية انقلابية شعبية ، تهدف الى تحقيق انقلاب جذري شامل في الوطن العربي ، ينبثق من رفض كلي كامل للواقع الفاسد ، ومن تصور كلي شامل ، لقضية الشعب : قضية حريته وحياته .

٢ ـ تنبثق ثورية الحركة العربية ، من ادراك عميق لاستحالة تحقق اصلاح تدريجي ، ولعدم جدوى هذا الاصلاح ان تحقق . كما تنبثق من الشعور الحاد بالحاجة الماسة الى تفجر ثورة شاملة ، ذلك ان «الاسلوب التصحيحي» في النضال، يكون وسيلة التطور عندما تكون الامور طبيعية ، اما عندما تكون الامور شاذة وغريبة ، والتناقضات كثيرة ومعقدة ، فطريقة «التصحيح» الوحيدة هي الثورة .

٣ ـ والثورة ليست وسيلة لاعادة الحياة الى المؤسسات القائمة ، وليست محاولة لتطوير اساليب الحكم الحاضرة ، والتي يتزيا الكثير منها بخرق من الديمقراطية الغربية ، بل هي اعلان ميلاد جديد لقيم جديدة ونظم جديدة ، تنبثق من التصور الكلي لقضية الشعب ، قضية حريته وحياته .

٤ ـ تبدأ الحركة العربية الثورية من الانسان لتحرره من سحب الغيب ومن تفاهة الحياة اليومية ، ولتفسح امامه كل مجالات الخلق والابداع .

٥ ـ وتتحقق هذه الحركة وتحقق ثوريتها في «ادواتها الحية» التي تمثل شعاراتها ، وفي المنظمة التي تضع اسس المجتمع الجديد وتمثل ملامحه الواضحة.

٦ ـ والحركة ليست ثورة طبقة ولا ثورة طبقات ، ولا تمثل فئة او فئات ، انها ثورة الشعب كله ، ممثلا بالواعين المناضلين من ابنائه ؛ انها ترفض حكم الطبقة وعقلية الطبقة فلن تحكم باسم طبقة ، ولن تسمح بتحكم ايديولوجية طبقة . وهذا لا يمنع ـ وفي هذه المرحلة بالذات ـ ان تكون قوى الثورة من اوساط معينة (١) .

٧ ـ وهي تهدف على الصعيد القومي لازالة الحواجز المصطنعة ، والحدود الاقليمية المفروضة على ابناء الامة العربية ، هذه الحواجز التي تنعكس على الفرد

---

١ ـ هذه الموضوعة غير علمية ، فليس هنالك ثورة تستطيع ان تكون خارج الطبقات . سأوضح رأيي في هذه القضية فيما بعد .

العربي تمزقا وضياعا ، وعلى الوجود العربي ضعفا وتأخرا .

٨ ــ وهي تهدف من الناحية السياسية ، الى وضع اساس يضمن توافر احسن الطرق لمشاركة جماهير الشعب في الحكم مشاركة فعالة ، الطرق التي لا تعطي المواطن حق التصويت لتحرمه حق القوت ، ولا التي تجعل الاول ضمانا للثاني ، بل التي تحرر المواطن من عبودية البحث عن القوت بتوفير العمل والعلاج وكل مستلزمات الحياة له .

٩ ــ وهي تهدف من الناحية الاجتماعية لخلق المجتمع المتضامن ، المتحرر من كل علاقة استغلالية ، المحقق للعدل ، الموفر للكفاية ، الذي لا يثري فيه انسان ولا يحرم انسان .

١٠ ــ والحركة العربية الثورية ، على الصعيد الانساني ، جزء من الثورة العالمية . ويجب ان تحقق مع هذه الثورة التفاعل الكفيل باعطائها الوضوح والانفتاح. ولن يتوافر لها ذلك ما لم تتفتح على التجربة الشيوعية عامة ، وتجربة الصين الشعبية خاصة . ولم تع حقيقة قضايا التحرر في آسيا وافريقيا وعيا تاما .

١١ ــ والحركة الثورية العربية ، مع هذا كله ، فكرة وعمل ، عقيدة وسلوك ، تصور وخلق ، عليها ان تشق طريقها بنفاذ الفكر ، ودأب العمل ، ومتانة الخلق ، وسط المصاعب الكبار والمشاكل الكثار . تهدم كليا لتبني كليا ، وتحرم قليلا ، لتعطي جزيلا .

١٢ ــ والحركة الثورية العربية ، وهي تسعى لتطوير القوى الثورية في الوطن العربي ، وتفجير الثورية الكامنة في نفوس الجماهير، ترى بأن هذا «التطوير» وذلك «التفجير» لا يمكن ان يأخذا مداهما اذا لم تغتصب الطلائع الثورية المنظمة الحكم ، لتسحق العقبات التي تقف في سبيل تفجّر وعي الجماهير ، وتحقق حكم الشعب الحقيقي .

١٣ ــ وعلى هذا يصبح اعلان الملكية العامة لوسائل الانتاج وادوات الانتاج ، والتوجيه الكامل للحياة الاقتصادية ، والحياة السياسية ، ليس ضرورة من ضرورات البناء فقط ، بل الطريقة الناجعة لتوفير الحرية والكرامة للانسان .

١٤ ــ اما قوى الثورة فهي :

اولا : الفلاحون ، الاكثرية الساحقة من ابناء هذه الامة والفئات الاكثر شعورا بالظلم والاضطهاد .

ثانيا : العمال وهم القوى الرئيسية للثورة في المدن ، ويشملون بالاضافة الى عمال المصانع قليلي العدد في اكثر اجزاء الوطن العربي ، كل اصحاب الحرف وكل الصناع اليدويين .

ثالثا : المثقفون : وهم ثلاثة اصناف ــ

١ ــ صنف اصبح حاشية للرجعية الحاكمة وللاستعمار ، او رضي بعد الكد بالوظيفة .

٢ ــ وصنف غزته فكرة الديمقراطية الغربية فاحتلت في نفسه مكانا ، لتجعله

يهوّم في دوامة «الحرية الفردية المجردة» .

٣ ـ وصنف ما زال تربة الثورة البكر ، يولد كل عام وينمو كل عام ، ويشكل العنصر الاساسي في كل انتفاضة ثورية او حركة وطنية . والعناصر الثورية من الفئتين الثانية والثالثة هي عمود الثورة الفقري ، وأكثر العناصر اثرا فيها .

١٥ ـ وللحركة الثورية العربية قضية واحدة ، انها قضية التحرر القومي السياسي والاجتماعي ، في المعركة الناشئة بين طلائع الجماهير الشعبية من جهة ، والاستعمار وعملائه من جهة اخرى .

مصادر هذه الاوليات

تنبع هذه الاوليات من مصادر ثلاثة :
اولا : الوعي العلمي للاوضاع السياسية والاجتماعية في الوطن العربي . وادراك قوة العوامل الفعالة فيها ونوعها .
ثانيا : وعي قضية الجماهير وعيا تاما ، واختيار اكثر الاساليب فعالية لحلها.
ثالثا : دراسة مشاكل الثورة والتحرر في آسيا وافريقيا والعالم .

أ ـ في الوعي العلمي للاوضاع السياسية والاجتماعية في الوطن العربي

ينقسم المواطنون في الوطن العربي الى ثلاثة اقسام :
١ ـ الفلاحون .
٢ ـ البادية .
٣ ـ الحضر .
ولا بد لنا من ان نبين المستوى المعاشي ، والفعالية الاجتماعية لهذه الفئات حتى نستطيع ان نبين نوعية «التركيب الاجتماعي» الراهن ، ولنرسم على ضوء هذه الحقائق كلها طريق الخلاص (١) .

١ ـ الفلاحون

تعتمد البلاد العربية اعتمادا اساسيا على الزراعة ، وفي هذا الحقل بالذات يعمل ويعيش حوالي ٧٥ بالمئة من المواطنين العرب ، ففي العراق مثلا نجد ٧٠ بالمئة من المواطنين مزارعين مستقرين ونصف مستقرين .
ولكن الزراعة تعيش مستوى محزنا من التأخر ، وفي هذا المجال يجب ان نبين الحقائق التالية :

---

١ ـ حدثت تطورات اساسية منذ ذلك الحين حتى الآن . وسنتحدث عن هذا التغيير في الملحق.

١ ــ ضآلة الملكيات الصغيرة بالنسبة للملكيات الكبيرة . ففي العراق مثلا كانت الملكيات قبل الثورة تتوزع كما يلي :

الملكيات	الملاك	الارض المملوكة
من ١٠ ــ ٢٠٠ دونم (الصغيرة)	٧٦،١٤٨	٤،٩٨٢،٥٢١
من ٢٠٠ ــ ٥٠٠ دونم (المتوسطة)	٢٣،٩٦٥	٨،٠٧٥،٧٥١
من ٥٠٠ ــ ٥٠٠،٠٠٠ (الكبيرة)	١٥،٥٩٢	٤٢،٥٢٢،٢٥٠

وقد كان هنالك اشخاص كامير ربيعة يملكون اكثر من مليون دونم (١) .
وفي مصر كان توزيع الاراضي سنة ١٩٥٢ كما يلي :

الملكيات	الملاك	الارض المملوكة
اقل من ٥ فدانات (صغيرة)	٢،٦٤٠،٨٧٨	٢،١٢١،٨٦٤
من ٥ ــ ٥٠ فدانا (متوسطة)	١٤٨،٣٧٤	١،٨١٧،٣٢٧
اكثر من خمسين فدانا (كبيرة)	١١،٦٩٨	٢،٠٤٣،٠٧٠

غير ان ٧٠ بالمئة من صغار الملاك كانوا يملكون اقل من نصف فدان ، «بينما كان هناك ٢،١١٥ مالكا يملك كل منهم ما متوسطه ٥٥٠ فدانا ، وكان هناك ١٨٨ مالكا يملك كل منهم ما متوسطه ٢،٦٠٠ فدان » (٢) .

وفي لبنان « يبلغ عدد ملاكي الارض ٨٥،١٧٢ ملاكا . فالذين يملكون من نصف هكتار الى خمسة هكتارات يبلغ عددهم ٨٤،١١١ مالكا ويملكون ١٢٨ الف هكتار ومن تبقى وعددهم ١،٠٦١ مالكا يملكون ١٤٢ الف هكتار» (٣) .

وفي سورية ــ قبل الوحدة ــ تتوزع الملكيات كما يلي :

١ ــ ما هو دون العشرة هكتارات ١٥ بالمئة من مساحة سورية ، يساوي ١،١٥٨،٠٠٠ هكتار .

٢ ــ الملكيات التي تتراوح بين ١٠ ــ ١٠٠ هكتار ٣٣ بالمئة من مساحة سورية ، وتساوي ٢،٦٢٦،٠٠٠ هكتار .

٣ ــ الملكيات التي تتجاوز ١٠٠ هكتار ٢٩ بالمئة من مساحة سورية ، وتساوي ٢،٣١٣،٠٠٠ هكتارا .

---

١ ــ الثقافة الوطنية ، العدد الثامن ــ ديسمبر ــ سنة ١٩٥٨ ، محتوى الثورة العراقية ومنطقها ــ جليل كمال الدين .

٢ ــ ابراهيم عامر ــ الارض والفلاح ، مطبعة الدار المصرية صفحة ٩٠ ــ ٩٢ ، وقد اقتبسنا كل المعلومات الخاصة بالزراعة في مصر عن هذا الكتاب .

٣ ــ يوسف خطار الحلو ــ في الاقتصاد اللبناني ــ (دار الفارابي) صفحة ٢٧ ــ ٢٨ .

وقارىء مثل هذه الارقام يستنتج ما يلي :

اولا : ازدياد نسبة الملاك وانخفاض نسبة الارض من اسفل الى اعلى ، ان الاكثرية الساحقة من الملاكين تملك الاقلية الضئيلة من الارض نسبيا ، بينما تملك الاقلية الضئيلة من الملاكين الاكثرية الساحقة من الارض .

ثانيا : ان الاوضاع من هذه الناحية متقاربة في البلاد العربية . وترتبط بهذه المشكلة مشاكل اخرى اهمها :

١ ـ مشكلة املاك الدولة التي تبلغ ٢٢ بالمئة من مساحة الارض في سورية ، والتي كان ما استصلح منها قبل الوحدة من نصيب الملاكين الكبار (١) .

٢ ـ تفتت الملكيات الصغيرة .

٣ ـ كثرة المستأجرين والمرابعين .

اذا عرفنا هذه الحقائق ، واذا عرفنا مثلا ان «ثمانية ملايين من المواطنين في مصر لا يملكون شيئا ، ويعيشون باستئجار مساحات صغيرة من الاراضي لزراعتها مقابل ايجار عيني او بعمل الاجير في المزارع ، او بالعمل في تراحيل تطهير المصارف والترع وأمثالها» (٢) .

واذا عرفنا ان نسبة ٦٠ بالمئة من الذين يعملون في الاراضي في الجزائر ، عمال مأجورون (٣) . اذا عرفنا كل ذلك ادركنا كيف يمكن ان تعيش الاكثرية الساحقة من ابناء هذا الشعب .

٢ ـ بدائية الحياة الزراعية وانخفاض المستوى المعاشي والصحي . لم تستعمل وسائل الزراعة الحديثة الا في الملكيات الكبيرة ، اما الملكية الصغيرة فقد حافظت الحياة فيها على الطابع القديم ، ولم يدخل القرية من وسائل المدنية شيء . ونستطيع ان نأخذ فكرة صحيحة عن مستوى الحياة في القرية ، اذا عرفنا ان دخل الفلاح «العراقي» يقدر بعشرين دينارا في السنة ، بينما يقدر دخل الفلاح في مصر من ١٣ الى ٢٣ جنيها (٤) ، وهي تقريبا النسبة ذاتها . ولتزداد الفكرة وضوحا ، يجب ان نعلم القليل ، عن الحالة الصحية في الارياف . ففي العراق تنتشر الدودة الشصية بين الزراع بنسبة ٥٠ بالمئة (وتدخل الجسم من جلد الارجل او بطريق الفم من المياه والحفر الملوثة ، وتتمركز في الامعاء الدقيقة حيث تمتص دم الانسان فتجعله اصفر كورق الخريف) (٥) . وفي العراق تنتشر البلهارزيا «وقد تصل نسبة الاصابات الى ٦٠ بالمئة او ٧٠ بالمئة في بعض المناطق» . وتصل نسبة الاصابات بالبلهارزيا في مصر ٥٥ بالمئة وتبلغ ٧٥ بالمئة في الارياف . ولم يكن في سورية عام ١٩٥١ الا ٦٧٠ طبيبا ، و٢٣٩٩ سريرا في المشافي . بينما كان في الاردن سنة ١٩٥٣ ، ١٨٥ طبيبا،

---

١ ـ الدكتور احمد السمان ـ موجز الاقتصاد السياسي ـ الجزء الاول صفحة ٥٢٢ .

٢ ـ ابراهيم عامر ـ الارض والفلاح ـ صفحة ٩٢ .

٣ ـ القاضي الجزائري مسعود مجاهد ـ الجزائر عبر الاجيال ـ الطبعة الثانية صفحة ١٥٩ .

٤ ـ الدكتور عزة النص ـ احوال السكان في العالم العربي ـ صفحة ٩ و ٢٦٦ .

٥ ـ الثقافة الوطنية ـ العدد الثامن ١٩٥٨ ـ محتوى الثورة العراقية ومنطقها ، جليل كمال الدين.

و١٩٩٤ سريرا . وفي السنة ذاتها كان في السعودية ١٥٣ طبيبا و١٠٢٥ سريرا ، وفي سنة ١٩٥٢ كان في السودان ١٧٤ طبيبا و٨٢٣٠ سريرا ، وفي محمية عدن ١٠ اطباء و١٠٠ سرير (١) .

وهكذا تكون نسبة الاطباء الى السكان طبيب واحد لكل خمسة وأربعين الفا من المواطنين في السعودية وطبيب واحد لكل خمسين الفا من السكان في السودان ، وطبيب واحد لكل ثمانين الفا من السكان في عدن ، وهي نسبة مروعة ، اذا عرفنا ان لكل ٧٨٩ شخصا طبيبا في الاتحاد السوفياتي (٢) ، ويجب ان نذكر ان معظم الاطباء والخدمات هي في المدينة ولابناء المدينة ، والموسرين منهم خاصة .

٣ ـ البطالة والامية وضآلة الفعاليات الاجتماعية . من الممكن ان نعطي فكرة واضحة عن ضآلة الفعاليات الاجتماعية اذا ما عرفنا نسبة العاملين في البلاد العربية ونسبة الاميين .

المجتمع العربي مجتمع زراعي ، ولذلك فالفعالية الاولى فيه فعالية زراعية . ولكي تستكمل الصورة وضوحها لا بد ان نذكر :

اولا : ان اكثر الفلاحين في الوطن العربي يعملون عملا موسميا مؤقتا ، فهم في سورية يزرعون مرة واحدة مثلا . كما ان الكثيرين منهم لا يعملون الا اياما محدودة في السنة ، كأن تكون الارض التي يملكونها صغيرة ، او بسبب عدم الاهتمام الكافي بالزراعة والجهل بمقتضياتها .

ثانيا : يعمل الكثير من المواطنين الذين لا يملكون شيئا أجراء زراعيين ، ومثل هؤلاء ايضا اعمالهم موسمية ومحدودة .

اما الامية .فقد بلغت سنة ١٩٤٧ في العراق ٨٩ بالمئة من السكان مما هم فوق الخامسة ، وفي مصر ٧٤ بالمئة من مجموع السكان . هذه هي الفئة الاولى من جماهير الشعب ، حرمان وبؤس ومرض وجهل .

٢ ـ البادية

يكثر البدو في أطراف الصحارى العربية ، وهم لا يملكون شيئا غير بيوت الشعر التي يحملونها معهم . وليس هناك تعداد لهم الا ان المعتقد انهم اكثر من سبعة ملايين انسان منهم ثلاثة ملايين في السعودية ، وقرابة اربعمائة الف في العراق ، وثلاثماية وعشرون الفا في سورية (٣) . ويعيش هؤلاء على الرعي ... ولا يقومون بأية فعالية اجتماعية . وقد قاومت «الرجعية» تحضيرهم في سورية ،

---

١ ـ الدكتور عزة النص ـ احوال السكان في العالم العربي ـ صفحة ٢٦٩ .

٢ ـ كان هذا سنة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ ، اما اليوم فلكل ٥٠٠ شخص طبيب في الاتحاد السوفياتي .

٣ ـ الدكتور عزة النص ـ احوال السكان في العالم العربي ـ ص ١٧ و٢٠ و٥١ و٦٧ و١٣٢ .

الشيء الذي اشرنا اليه سابقا ، وتقاوم الرجعية العربية تحضيرهم لتجعل منهم جنودا يدافعون عنها . ويمثل البدوي انسان الفطرة ، ويدل وجوده دلالة قاطعة على التأخر المخيف الذي تمتد ظلاله على بلادنا (١) .

٣ ـ الحضر

الناس في المدينة ثلاثة اصناف :

الاول : اصحاب المال والنفوذ ، ووكلاء الشركات الاجنبية ، والتجار والفئات الحاكمة وتوابعها .

الثاني : الموظفون الكبار والمهندسون والاطباء وبقية اصحاب المهن والاساتذة الجامعيون ، والموظفون الصغار وأصحاب المتاجر الصغيرة والطلاب والضباط .

الثالث : العمال والحرفيون والخدم ، وكل القادمين الى المدينة من اجل الرزق.

وترتبط الفئة الاولى ارتباطا كليا بالاستعمار ، ارتباط مصلحة وثقافة ومصير، وتعيش على استغلال الشعب ؛ اما الفئة الثانية التي تسمى «الطبقة المتوسطة» فهي تمثل التأرجح ، انها تسعى دائما لان تصعد ، تحاول ان ترفع مستوى حياتها ، ان تصل الى الحكم . وخلال هذه المحاولات ترتبط جماعات منها بالفئة الاولى ، وترتبط جماعات اخرى بجماهير الشعب . ان هذه الفئة في حركة دائمة ، هبوط وارتفاع ، تمزق وتبلور ، ولكنها لا تثبت على حالة . وفي اوساط هذه الفئة يجد الادب الانحلالي اخصب تربة له ، وفيها يجد الفكر الثوري أخصب تربة له . انها تعيش في المدينة على الغالب فتتمثل خلقية المدينة ، وتكتسب عقلية الاستغلال منها ، لتصبح مستغلة لجماهير الشعب بشكل من الاشكال ، فالمدارس والمستشفيات والطرق والمتنزهات ... كلها لها ، وهذا اكبر عامل من عوامل انحلالها وتفتتها . وتقبع الفئة الثالثة في أزقة المدينة المظلمة ، تتسقط فتات الفئتين السابقتين . اما العمال واصحاب الحرف فهم احسن حالا من الفلاحين وان كان عددهم قليلا ، بالنسبة لمجموع المواطنين .

نوع العلاقات الاجتماعية

تركزت خلال الحكم العثماني اقطاعية بشعة ملكت الارض، واستعبدت من عليها.

---

١ ـ يقول الاستاذ مكي جميل في كتابه (البدو والقبائل الرحالة في العراق) ان «سجلات النفوس لم تعترف بوجود البدو بعد» ، وقد جرت محاولات بسيطة ومتفرقة لتسجيلهم ولكنها كانت تصطدم بعقبات . وتحدث الدكتور عبد الجليل الطاهر في كتابه (البدو والعشائر في البلاد العربية) عن توزيع البدو والقبائل في البلاد العربية (صفحة ٧٣ ـ ٩٠) ولكنه لم يحدد عددا تقريبيا لمجموعهم وان كان قد اعطى بعض المعلومات التفصيلية عنهم في بعض البلاد العربية .

وعندما اخذ الحكم العثماني ينهار بدأ الاستعماران الانكليزي والفرنسي يقتسمان البلاد الغربية ، وأخذا يدعمان مؤسسة الاقطاع ، ويحولان الملكيات العشائرية الى ملكيات خاصة بزعماء العشائر . ولم تكن حال المغرب لتختلف عن حال المشرق الا في الجزائر ، حيث اصبح اكثر الاقطاعيين من الفرنسيين . وهكذا فتاريخ الاقطاع في الوطن العربي جزء من تاريخ الاستعمار . ولما كان الاقطاعيون الاوائل ، أكانوا رجال دين ، ام عسكريين ام موظفين مخلصين للدولة ، قد اكتسبوا هذا الحق نتيجة لخدمات قدموها لدولة ظالمة ، لذلك فانهم تربوا على تقاليد محددة تبدأ من الاخلاص التام والولاء المطلق للسلطة التي تضمن لهم هذا الحق ، وتنتهي باستعباد الفلاحين واسترقاقهم ، وهذا هو السبب الذي يجعل اقطاعي اليوم يتصرف مثل « الباشا التركي» بالامس ويجعله عمادا للاستعمار ، منفذا لسياسته .

لقد دعم النفوذ الاجنبي نفوذ الاقطاع . وتلاقى الاثنان معا على استغلال الشعب حتى ان الجنرال «اللنبي» صور العلاقة بين الاقطاعيين والاستعمار تصويرا صادقا عندما قال : «انه من الممكن ان يجلو الانكليز عن مصر وهم مطمئنون الى انهم خلقوا طبقة من الكبراء ، يمكن لانكلترا ان تستأمنهم على سياستها في هذه البلاد» (١) .

وخلال الحكم الاستعماري الجديد نشأت علاقات وطيدة بين المستعمِر الجديد والاقطاعي . فانتقل الاقطاعي الى المدينة ليكون على مقربة من السلطة ، وليستفيد ما استطاع من الامكانيات التي تفتحها أمامه . وهكذا اصبح ابنه وزيرا او وكيل وزارة او ضابطا في الجيش واصبح هو وكيلا لشركة اجنبية او مدير شركة اهلية ، او مصرف . الخ . ومن هنا تعددت اوجه الاستغلال ، فهو يستغل الفلاحين في القرية ويستغل الجماهير في المدينة . يستغل الفلاحين اقطاعيا ، ويستغل ابناء المدينة تاجرا ، الا ان مشاركته في سياسة البلد جعلته قادرا على ان يعطي استغلاله معنى اوسع . كان في البدء يستغل مقاطعة ، قرية ، مجموعة من القرى ، اما اليوم فهو يستغل بمساندة «الاستعمار» ومشاركة عدد من زملائه ، كل البلاد .

وحين تحقق الاستقلال ، قفز الاقطاعي محل السلطة المستعمِرة وفي المكان الذي هيأته له ، ليزيد استغلاله في القرية ، وليطبق ما اكتسبه من تقاليد الاستغلال والاستعباد على جماهير الشعب كلها . لقد وجد في الحكم فرصة لزيادة غلته ، وتوسيع تجارته ، وتوكيد سلطته . كان الفلاح يراه حاملا سوطه يجول في اقطاعته ، وها هو اليوم يراه وقد تربع على كرسي الحكم ليطلق الرصاص على الجماهير التي تقاوم استعباده وتآمره وجشعه .

وظلت العلاقة الاستغلالية قائمة بين الطرفين ، فالفلاح لا يملك من حطام الدنيا شيئا ، وهو بحاجة الى السيد لتوفير البذار ، بحاجة اليه لسد حاجته في سنوات

---

١ ــ ابراهيم عامر ــ الارض والفلاح ، ص ١٤١ .

القحط ، وبحاجة اليه ليخرج ابنه من السجن او ليدخله الجيش او ليعينه بوابا في الوزارة . وتختلط هذه الفئة بفئة اخرى مؤلفة من التجار والمحامين والاطباء وابناء العائلات الذين استوعبتهم المدينة فاصبحوا قوامها، كل همهم ان يزيدوا مالا وجاها، ان يكونوا السلطة السياسية والسلطة المالية او احداهما . فاذا ما انتظموا في احزاب اصبحوا دعاة الديمقراطية الغربية والحرية الفردية ، وحكموا باسم هذين الشعارين ، الا انهم يدركون حقيقة التناقض بين ما يدعون اليه وما تصل اليه الامور احيانا ، فيستعملون السلاح لاسيما اذا احسوا بخطر على نفوذهم ومصالحهم . وهذه الفئة مفتوحة قابلة للازدياد عددا بمقدار ما يلتصق بها من ابناء المدينة «البين بين». وخطرها ينجم من كونها «العنصر الحي في الرجعية الحاكمة» فمن صفوفها يخرج «أساطين الحكم البورجوازي الرجعي» .

وتقف خلف هذه الفئة فئة المدرسين والطلاب والموظفين الصغار وصغار التجار .. الخ. وهي تتبنى فلسفة الفئة السابقة ، الفئة الحاكمة الا انها تصطدم معها عندما تحاول ان تكتسب لنفسها حقوقا ، تضعف من نفوذ الاولى .

الفئة الاولى ترفع شعار البرلمان والحياة النيابية ، الا انها لا تسمح منه الا بما يضمن استمرارها ، اما الثانية فترفعه لتحقق مكاسب على حساب الاولى . وعندما تجد الفئة الثانية ان الفئة الاولى غير مستعدة للتنازل عن شيء تطرح الموضوع على جماهير الشعب ، على العمال والفلاحين والمعدمين . وكل خطوة تخطوها هذه الفئة تخطوها بحثا عن مكسب . وينجم خطرها في انها تعمم «الاخلاقية البرجوازية» على الجماهير . على هؤلاء الذين تقودهم تحت شعار : «حياة برلمانية سليمة» وحياة ديمقراطية ، ولكن هذه الفئة في «صراعها الداخلي» الذي يسببه دخول عناصر جديدة باستمرار من اصل فلاحي او عمالي فيها وشعور جزء كبير منها بتسلط الرجعية الحاكمة شعورا مرا ، تنقسم الى ثلاثة اقسام :

١ ــ قسم يطفو على السطح ويلتصق بالرجعية المستغِلة الحاكمة .

٢ ــ قسم يظل في الوسط ، مركز الصعود الى السطح والالتقاط من الريف والازقة من الاسفل .

٣ ــ قسم «المتجمعين» في القاعدة الذين يشكلون الدرك الاجتماعي لهذه الفئة.

ويلعب القسم الثاني دورا هاما في الحركة الوطنية الديمقراطية البرجوازية ، ولكن دوره اصلاحي ، بينما يشكل القسم الثالث التربة الخصبة لانتشار الافكار الثورية وقيام التنظيمات الثورية ، وهو الذي يلعب الدور الاساسي في الانتفاضات الوطنية ، واعمال المقاومة الجماهيرية مثل المظاهرة والاضراب والاعمال الثورية . من هذا الخليط تتكون المدينة، ولكنها مركز اساسي يجتذب السائح الاجنبي والتاجر والسياسي والمغامر . ويحمل هؤلاء معهم ازياءهم وعاداتهم ورقصهم وموسيقاهم ، وافكارهم . وتبدأ المدينة في استقبال العدوى التي تنتشر انتشار الطاعون ، لتصيب المستعدين وغير المستعدين لاستضافتها .

هذه هي المدينة التي «تحكم» في البلاد العربية ، مدينة مفككة ، تبدو في

شوارعها اروع مظاهر الترف وابشع مظاهر الفاقة ، وتكـــون سياستها امتدادا لسياسة دولة اجنبية وتنفيذا لرغبات شخصية ، وتعيش القوى العاملـــة فيها ، القوى المنتجة ، المتألمة الذليلة ، بعيدا عن الموجهين والقادة ومحترفي السياسة ، ولا تجمعها معهم جامعة غير الاستسلام والعبودية . وعلى بعد منها تنتشر القرى العديدة الغارقة في الظلام ، والصحاري الشاسعة الآهلة بعدد من الرعاة والمتجولين ، ولكن الهوة التي تفصل المدينة عن تجمعات الاكواخ اعمق من الهوة التي تفصل بين قصر الاقطاعي وكوخ الفلاح . فالمدينة هي مركز الاقطاعية المالية المستغِلة الحديثة ، اما القرية فهي تجمع المحرومين المساكين .

كان الفلاح فيما مضى يعمل للاقطاعي . اما ابن المدينة فهو يعمل لحســـاب الاقطاعية الحديثة ، فاذا كان جنديا في الجيش فهو يدافع عن مصالحها ، واذا كان موظفا في الدولة فهو اجير لها ، واذا كان موظفا في شركة فهو يعمل لحسابها ، انه يتعب كثيرا ويأخذ القليل ، اما السادة فيتعبون قليلا ويأخذون الكثير .

ولكن ما المدينة بالنسبة للقرية ؟ انها الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف ، وبطاناتهم وجنودهم وموظفوهم وخدمهم ، انها مركز الاستغلال الجديد ، الذي كان في الماضي قصرا وحيدا بين آلاف الاكواخ ، والقرية التي قبلت في الماضي استغلال القصر باستسلام ، تقبل اليوم استغلال المدينة باستسلام ايضا ...

في جو مثل هذا تكون المدينة حلما ، وتكون في الوقت ذاته رعبا ، انها حلم هؤلاء المحرومين الذين يبحثون عن ترف الحياة في المدينة ، ورعب هؤلاء المساكين من حياة لم يألفوها ، وانحلال لم ينسجم مع تقاليدهم . ولكنهم اذا ما عاشوا في أزقتها اخذوا يتمثلونها شيئا فشيئا ، حتى لَبستهم في طعامهم وشرابهم بمقدار ما يستطيعون ، وعاشت في احلامهم حتى اصبحت كل احلامهم . اما هؤلاء الرابضون في القرية الذين لا يأتون للمدينة الا لحاجة ، ولا يمرون في شوارعها الا متفرجين، فهم يكرهون المدينة ، يحقدون على «تفرّبها» وعنجهيتها واحتقارها لهم . الا انهم يعتبرونها ارقى من القرية . ومن هذه الثغرة تنفذ المدينة الى نفوسهم ، تنفذ اغاني المغنين ، وتنفذ شخصيات الافلام وشخصيات الممثلات والراقصات ومعها كل سموم الحضارة المنحلة وكل مظاهر انحطاطها .

وما الذي تفعله مدينتنا اليوم ؟ انها الوسيط في نقل العدوى ، فـــي تيسير الانحلال . تقذف اوربا كل يوم احدث سمومها ، احدث الازياء ، والاسطوانـــات ووسائل الغيبوبة والخدر ، وتتسلم المدينة الدفعات الواردة لتوزعها على حاناتهـــا وملاهيها وأسواقها وبيوتها ، ولتنفثها بألف وسيلة في الازقة والدهاليز وفي كل ناحية ؛ ولتتسرب من هنا وهناك ، ولالف سبب وسبب الى القرى ... الى الريف العاكف على تأخره يرعاه ويحميه .

المدينة تعمم تفكيرها السياسي

المدينة لا تعمم اخلاقها وتقاليدها وأزياءها فحسب ، فهي الى جانب ذلك تعمم

تفكيرها السياسي . وتفكيرها السياسي محصور في الدعوة للاستقلال «الاستقلال الناجز» ، فاذا ما تحقق انحصر في الدعوة لاقامة حياة برلمانية ، وفي خضم النضال من اجل الاستقلال ، وخضم النضال من اجل الحياة البرلمانية ، يكاد الشعب ينسى اهدافه . وتضل جماهير الشعب عندما يتصدر الاقطاعي والتاجر ومحترف السياسة النضال المساوم من اجل الاستقلال . وباسم اتباع سياسة مرحلية متزنة ، وباسم الوحدة الوطنية ، يرفع شعار الاستقلال فقط . ويتحقق الاستقلال ناقصا او كاملا، وغالبا ما يكون ناقصا مشوها .. فيلتصق الاقطاعي والتاجر ومحترف السياسة بالكراسي، ومن هناك يعلنون ضرورة المحافظة على الوحدة الوطنية ومقاومة المحاولات التخريبية التي تحول دون إقامة حياة نيابية سليمة ، وتستهوي التسمية : «حياة نيابية ، تمثيل شعبي» الجماهير ولاسيما «الفئة المثقفة الواعية» فتبدأ نضالها من اجل : «انتخابات نزيهة ، حرية الانتخابات» الخ . وتزوّر الانتخابات مرة ومرة ومرة ، وتكون نزيهة مرة واحدة ، الا ان النتيجة لا تتغير : برلمان لا يمثل ارادة الشعب ، الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف يطالبون بالاستقلال لتتاح لهم فرصة أفضل للاستغلال واقامة علاقة اكثر مشروعية بالاستعمار . وهم يطالبون بالحياة البرلمانية ليقيموا حكما مستغلا له صفة المشروعية .

فلماذا تطالب الجماهير بالاستقلال فقط ؟

ولماذا تطالب بالحياة البرلمانية السليمة ...؟

أليتمتع باستعباد اشد من الاول ، واستغلال أقسى من الاول ؟ ام لتحظى باستقلال مزيّف ؟

الحقيقة هي ان الرجعية الحاكمة الممثلة للاستعمار ، المتشربة لروحه ، تطرح هذه الشعارات فيتبناها «المثقفون الوطنيون» والعمال والفلاحون السائرون وراءهم، دون ان يشعروا انها تجزئة للقضية ، وانها خدمة للاستعمار نفسه وللرجعية حليفته.

تشعر الجماهير ان الاستقلال اولى درجات السلم ، وتشعر ان الحياة البرلمانية وسيلة لتحقيق «حكم شعبي» . ولهذا تتعلق بأبطال الاستقلال . وتعلقت بسعد زغلول مثلا ، وتعلقت بالوفد من بعده ، ولكن سعد زغلول والوفد من بعده ، لم يفعلا لهذه الجماهير شيئا ، حتى انهما لم يحررا الفلاح من سيده الاقطاعي . وكيف يحرراه ، وهما يمثلانه ، اقطاعيا او تاجرا او محترفا للسياسة ؟...

وتفجع الجماهير بالاستقلال ، ولكنها عندما تعطى لها الفرصة في الانتخابات للتعبير عن رأيها ، تنتخب الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف . وهكذا يظل الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف حكاما ... يروجون لحياة برلمانية ، لحكم شعبي ، لتحرر من الاستعمار ، لحرية فردية ، في الوقت الذي يقيمون فيه حكما مستغلا ظالما .

ب ـ حول وعي قضية الجماهير واختيار اكثر الاساليب فعالية لحلها .

نستطيع بعد هذا العرض الموجز ان نعي قضية الجماهير . انها بالطبع ليست

قضية الاستقلال فقط ، ولا قضية الحياة النيابية، لقد تحررت سورية من الاستعمار سنة ١٩٤٥ ، وتحررت مصر والعراق قبل ذلك ، وتحررت مراكش وتونس بعد ذلك ، اما اليمن فلم يدخلها الاستعمار الاوربي الحديث ، الا ان الوضع واحد ، تتغير وجوه المستغِلين ولكن الاستغلال يبقى ، الاستغلال واحد ذو رؤوس ووجوه وايدٍ .

وتغيرت دول ، وجاءت دول ، فلم تتطور الفعاليات الاجتماعية ولم تصبح الاوساط الاجتماعية المشلولة اوساطا منتجة ، الا بمقدار ما تريد الاقطاعية المالية الحديثة ان تزيد ارباحها .

وتجددت المدينة ولكن ازقتها ظلت كما كانت ، اما رجالها فأصبحوا مسوخ شخصيات حضارية منحلة ، وأما نساؤها فقد تركن بيوتهن ليصبحن «ممثلات وعارضات ازياء» .

وجرت الانتخابات بعد الانتخابات ، ولكن الاستقلال لم يتم والحياة البرلمانية لم تكتمل ...!

من هنا تبدأ قضية الجماهير ... من الجوع والعري والغربة والشلل ، التي تسيطر على اوسع القطاعات الشعبية ... ومن الانحلال والغيبوبة والاستسلام ، التي تسيطر على «مدن» الامة ، وتتدفق من هناك على قراها الغارقة في الظلام .

تبدأ القضية من اننا يجب ان نتدارك أمة كاملة مهددة بالاندثار ، اكثرها يعيش حالة شلل خطيرة والباقي يعيش حالة هستيريا حضارية ، تفاهة غريبة ، وقلق مجدب ، واستسلام حالم .

الحالتان هاتان لهما مظاهر قومية وسياسية واجتماعية معينة ، فهما على المستوى القومي اقليمية وتجزئة ، وهما على المستوى السياسي ، حكم مستغِل يمثل اقلية ويعمل لمصلحة اقلية ، وهما على المستوى الاجتماعي شلل اوسع القطاعات الشعبية في الريف ، وانحلال العلاقات الاجتماعية في المدينة . الا ان هذا التقسيم لا يقدم الحقيقة كلها بشكل مباشر وبصورة واضحة ، الحقيقة هي ان هنالك أمة كاملة ترزح تحت نير الاستعمار ، وتعمل لمصلحة الاقطاعية المالية المستغِلة وتعيش في ظروف اقتصادية واجتماعية ، نعتُها بكلمة سيئة يكون ثناء عليها . وهناك اقلية من الاقطاعيين والتجار ومحترفي السياسة ، يحكمون لينموا مصالحهم ، ويحافظوا على مصالح الاستعمار ، وهناك مصالح اجنبية تحميها بوارج في البحر ، وجيوش في البر ... بوارج في البحر الابيض وبحر العرب والخليج العربي والبحر الاحمر وقواعد حربية وجيوش استعمارية في الجزائر وتونس وليبيا وعدن وعمان والبحرين (١) .

فما هي الطريقة التي :

١ ـ تعيد وحدة الامة الحية اليها .

٢ ـ وتقضي قضاء مبرما على حكم الاقلية المستغِلة .

---

١ ـ خرجت الجيوش الاجنبية من الجزائر وتونس وليبيا وعدن ، و«استقلت» عمان والبحرين !

٣ ـ وتنهي شلل الريف وانحلال المدينة ؟

وما هي الطريقة التي تجعل الامة المستعمَرة المستغلة أمة حرة متحررة وتجعل الامة المجزأة المنحلة أمة حية متطورة ..؟

وكيف نستطيع ان نشرك اوسع القطاعات الشعبية في عملية التوحيد والتحرير والانعتاق ؟

ما من طريقة هنالك غير الثورة ، الثورة المفجرة لقوى الجماهير الكامنة ، قوى الفلاحين والعمال والمثقفين ، الموحدة لها توحيدا صميما حقيقيا ، المحررة لارادتها تحريرا كاملا ، الصانعة افضل الشروط لقيام حكم شعبي اشتراكي ، يوفر الكفاية والطمانينة .

الثورة العربية
مبرراتها وخصائصها

١ ـ المبررات :

ذكرت فيما مضى الاسباب السلبية للثورة ، واعود الآن فاجملها بما يلي :

اولا : ادراك عجز الوسائل الاصلاحية عن تحقيق تطور حقيقي يبدل اوضاع الشعب السياسية والاجتماعية .

ثانيا : انخفاض المستوى المعاشي والصحي لجماهير الشعب انخفاضا شديدا .

ثالثا : تحكم الاقلية بالجماهير الشعبية واستغلالها لمصلحتها ومصلحة الاستعمار والصهيونية .

رابعا : هيمنة الاستعمار والنفوذ الاستعماري على الارض العربية ، واستعداده للدفاع عن مصالحه ونفوذه بالسلاح .

اما الاسباب الايجابية فهي تتعلق بالوجود العربي نفسه ، ومدى مساهمة العرب في دفع الحضارة الانسانية الى الامام ، اكثر مما تتعلق بالاسباب العارضة. هذه الاسباب العارضة ، عوامل تأخر سلبية ، تدل على هزال في كيان الامة ، اما الاسباب الايجابية فهي عوامل قوة ، ليست من مستوى ردود الفعل ، ولا من مستوى محاولات التخلص ، وليس الهدف منها القضاء على عوامل التأخر فحسب، بل الهدف منها رفع الامة الى مستوى فعالية انسانية دائمة ؛ القضاء على عوامل التأخر جزء من مهمة الثورة ، وليس كل مهمتها ، الا ان القضية تصبح واحدة عندما يجعل الثوريون مهمتهم شاملة . وعلى هذا تكون اسباب الثورة ايجابية :

اولا : شعور حاد بالازمة ، ووعي تام بأسبابها ونتائجها .

ثانيا : محاولة جدية لتحقيق ظروف اكثر ملاءمة لتفتح الانسان وعطائه ، نابعة من نظرة خاصة الى العلاقات الانسانية .

هذه الاسباب قد تدخل كلها في نطاق المبررات وقد لا تدخل ، الا ان هناك مبررين لهما اهمية خاصة بالنسبة للثورة :

الاول : ان للثورة قدرة عجيبة على توحيد الجماهير الممزقة ، وتفجير قوى

الجماهير الجائعة المستسلمة المشلولة .

والثاني : ان الثورة مرحلة حاسمة تتجاوز الجماهير فيها بسهولة ماضيها ، وتصبح اكثر تفتحا وصفاء وانطلاقا . خلال الثورة تصدر أحكام عديدة تاريخية . كل حكم اعدام ، وكل حكم بناء ، اوامر بسيطة تقضي على رجال كانوا يحكمون ويظلمون ، وتوجيهات سريعة تهدم مؤسسات ، وتلغي تقاليد ، وتفعل اكثر من المعجزات .

الثورة مرحلة الحسم ... والحزم ، والثورة مرحلة الفعالية الزائدة ، وهذا ، كما يبدو من العرض السابق كله ، ما نحتاج له نحن ... العرب ، وما تحتاج له كل الشعوب المتاخرة .

٢ ـ الخصائص :

تنبع خصائص الثورة من طبيعة المشكلة ومن طبيعة وعينا لها . وهي تبدو في الاسباب والمبررات بارزة واضحة . الا اننا نستطيع ان نجملها فيما يلي :

أ ـ انقلابية تنبثق من وعي الجماهير وتعتمد على تنظيمها .

ب ـ جماهيرية شعبية لا تعمل لمصلحة فئة ولا تعتمد على فئة ، بل تسعى لتحرير الجماهير كلها . بتفجير قوى الجماهير كلها .

ج ـ قومية اشتراكية ، ترتبط فيها مسألة كرامة الامة ووحدتها ، بمسألة توفير الخبز والحرية لابنائها .

د ـ عقائدية ، تحمل عنف «العقائدية» ومقدرتها على البناء .

هـ ـ تحررية تهدف لتحرير الامة العربية من الاستغلال ، استغلال الاستعمار والرجعية ، وتعي مدى الترابط بين الرأسمالية والاستعمار والرجعية ، والاشتراكية والتحرر والتقدم .

لهذا كله فقد فشلت النزعات الدينية في ان تطبعها بطابعها ، وفشلت البرجوازية في ان تطبعها بطابعها ، وفشلت الشيوعية في ان تطبعها بطابعها ؛ فالنزعات الدينية كانت تبرر وجودها بمبررات : منها ، انها تنسجم مع العلم والفلسفة والسياسة الحديثة ، بينما لم تكن الثورة دينية ، ولم تكن تحتاج الى مثل هذه المبررات . ووقعت البرجوازية في الخطأ نفسه فحاولت ان تجعل المسألة نظرية تتعلق بشكل الحكم اكثر مما تتعلق بصلة الجماهير به . اما « الشيوعية العربية» فقد وقعت في تناقض عميق عندما اعتمدت التنظيم الثوري اساسا ولجأت الى اساليب العمل السياسي التقليدية ، اساليب البرجوازية نفسها .

كانت الاتجاهات الثلاثة تتلاقى عند باب البرلمان ، وكان البرلمان يبعدها عن الجماهير ، ويلقي بها الى دوامة الانتخابات والخطابات والعبث ، بينما كانت تقوم الثورة تلو الثورة ، لتعبر عن ضحالة هذه الاتجاهات ولتعطي صورة غامضة عن طريقة العمل الجدي .

ولقد كانت ثورة ٢٣ تموز سنة ١٩٥٢ افضل مثل على ذلك .

ولقد كانت ثورة الاول من تشرين الثاني سنة ١٩٥٤ في الجزائر أوضح مثل

على ذلك .

فهل نستطيع ان نعي مغزى الثورتين ؟ وهل نستطيع ان نجد فيهما منطـــق الثورة العربية وطريقتها وعقيدتها ؟

ج ـ حول : مشاكل التحرر في آسيا وافريقيا

آسيا قارة الجوع والفقر والجهل والمرض والظلم . اما افريقيا فقارة البدائية والتاخر . وفي هاتين القارتين تتفجر اليوم أغزر القوى الثورية في العالم . الا ان انقسام العالم الى معسكرين غربي وشرقي ، الاول يمثل رأس المال ، والثاني يمثل الفلاحين والعمال في صراعهما الابدي : جعل هذه القوى تعيش في دائرة تيارين متناقضين متعاديين هما : الشيوعية والراسمالية . وهكذا تجاذب هذه القـــوى «تياران» يغلب احدهما تارة ويغلب الآخر طورا ، او يتوزعان القوى بينهما في كثير من الاحيان فتحكم الاقلية المستغِلة والاستعمار .

ومن هذا الصراع ولدت نماذج ثلاثة للتحرر :

الاول : النموذج الاشتراكي الثوري ، وأبرز مثل له الصين حيث تحركت كل قوى الشعب الثورية تحت راية الحزب الشيوعي الصيني ، فقضت على المؤسسات الرجعية والعميلة . واقامت (ديمقراطية دكتاتورية البروليتاريا) . ولقد كشفت معركة الصين ارتباط الرجعية مع الاستعمار ، كما كشفت عن استعداد «البرجوازية» حاملة لواء الدعوة البرلمانية والتمثيل الشعبي ، لاستعمال السلاح ضـــد جماهير الشعب اذا ما طالبت جماهير الشعب بتحرر حقيقي . لم تعتمد هذه الثورة أسلوب «النضال البرلماني» ، ولا كانت اهدافها تنحصر في اقامة «حياة برلمانية مثلى» ، بل كانت تعتمد أسلوب (النضال الجماهيري) الموحد لقوى الشعب المفجر لها ، والهادف الى اقامة حكم شعبي بعيد عن الحاجة ، بعيد عن الاستغلال ، بعيد عن دروشـــة محترفي السياسة .

الثاني : النموذج البرلماني ، وأبرز مثل له الهند . ويقوم على اساس تركيـــز أسس حياة برلمانية سليمة بينما تحكم «البرجوازية» ليبقى الاستغلال وليبقى الجهل والجوع والمرض .

واذا كانت الهند تشكل مثالا فريدا من نوعه في هذه الناحية ، فان مصر قبل ثورة ١٩٥٢ وسورية والاردن وباكستان الخ أمثلة سيئة تدل دلالة حقيقية على فساد مثل هذه الانظمة . ولقد اعطى هذا النموذج الدليل الحاسم على فساده وانحلاله فقامت حركات عسكرية في مصر وسورية وباكستان و... والسودان . لقد قامت الحركات العسكرية اما لتحمي مصالح عجز الحكم البرلماني المهلهل عن حمايتها ، او لتضع بداية جديدة لحكم جديد .

الثالث : النموذج القومي ، وأبرز امثاله اندونيسيا والجمهورية العربية المتحدة وغانا وغينيا على الرغم من الاختلاف الشديد فيما بينها ، وقد جمعت الدول الآخذة

به عوامل :

اولها : انها تناضل بشكل من الاشكال ضد الاستعمار والاستغلال .

ثانيها : انها قيادات ثورية تسلمت الحكم عن طريق النضال .

ثالثها : انها غير ملتزمة او مرتبطة باتجاه من الاتجاهات العالمية ، الراسمالية او الشيوعية ، ولذلك فهي تدخل التجربة فتنجح او تتعثر او تسقط ، الا انها تسير .

ولقد جربت اكثر هذه القيادات «النظام البرلماني» ولكنها اضطرت الى الغائه ، او وضع حدود له ، لا لشيء الا لان النظام البرلماني ، لا ينسجم مع طبيعة الحكم الثورية ، ولا مع متطلبات «المرحلة الثورية» .

ومشكلة هذه القيادات الاساسية انها ترفض الشيوعية ، وفي الوقت ذاته ترفض النظام الراسمالي ، الا انها ولدت وكبرت ، و«حلم» اقامة نظام برلماني تتمثل فيه ارادة الشعب يملأ جوانح العاملين فيها .

فكان من الصعب عليها ان تتعلم بغير التجربة ، لاسيما وأنها ــ نتيجة لسيطرة هذا الحلم عليها ــ وقفت من الشيوعية موقفا معاديا فلم تفهم تجاربها .

ولقد كانت تجربة الجمهورية العربية المتحدة الاخيرة ، بداية تحرر حقيقي من هذا الحلم الذي سيطر على الفئات الوطنية في البلاد العربية قرنا من الزمن .

ويبدو ان هذا النموذج الاخير الذي ينمو في بلاد لم تثمر فيها الافكار الماركسية اللينينية ، آخذ في الانتشار والتبلور ، الا انه ، ولعدم اكتمال نظريته وتنظيمه ، يظل معرضا للنكسة ، كما انه يتعرض احيانا للشلل لانه يقف في «الوسط» لا يتقدم للامام فيفجر قوى الشعب ويدمر قوى اعدائه ، ولا يتأخر للوراء فتكتمل لعبة «النظام البرلماني» . وجمود من هذا النوع يجعل النكسة اكثر احتمالا .

وتنبع مشاكل التحرر كلها من عاملين :

الاول : وينقسم الى ثلاثة فروع :

أ ــ عدم اكتمال التنظيم الثوري وعدم توافر النظرية الثورية .

ب ــ اعتماد الحركة الوطنية على العفوية والاندفاع الشخصي ، والولاء الفردي والبطولة الفردية .

ج ــ تنوع الاتجاهات الوطنية وتصارعها .

الثاني : انخفاض مستوى وعي الجماهير .

لهذا كله فقد كان مثلا قطر عربي «يتحرر» من الاستعمار ليحكمه عملاء الاستعمار ...!

لقد فشلت الشيوعية في ان توجد لها قواعد في هذه المنطقة . ولقد فشل «النظام البرلماني» في ان يثبت صلاحه وفعاليته (١) .

---

١ ــ في كتاب الدول (الافرو ــ آسيوية ومشاكلها) للسيد ك.م. بانيكار ، بحث عن فشل النظام البرلماني في الدول الافرو ــ آسيوية وهو يثبت ما ذهبت اليه وان كان ذلك دفاعا عن الديمقراطية الغربية والنظام البرلماني صفحة ١٥ ــ ٣٠ .

فهل تستطيع تجربة الحكم القومي الثوري ان تنجح ؟.
وكيـف ؟
ولماذا يجب ان تنجح ؟ (١)

١ ـ سقطت تجارب الحكم القومي : في اندونيسيا ، في غانا ، في مالي ، ثم في مصر .

تجربة حزب البعث العربي الاشتراكي

حزب البعث العربي الاشتراكي اكبر منظمة قومية .
ما هي مبادئه ؟
ما هي اساليبه النضالية ؟
ان الجواب على هذين السؤالين يقتضي ان نجعل البحث قسمين :
الاول : يتعلق بالمبادىء والافكار القومية والسياسية والاجتماعية .
الثاني : يتعلق بالتنظيم ومبادئه .
ويشمل القسم الاول ثلاثة ابحاث :
١ ـ حزب البعث وفكرة الوحدة .
٢ ـ حزب البعث وفكرة الحرية .
٣ ـ حزب البعث وفكرة الاشتراكية .
اما القسم الثاني فيشمل :
١ ـ تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي .
٢ ـ «نظرية التنظيم» في حزب البعث العربي الاشتراكي .
ولكي نوضح جميع جوانب هذه التجربة ، فسنخصص بحثا لموقف البعثيين من الشيوعية عامة والاحزاب الشيوعية في البلاد العربية خاصة ، وبحثا عن موقف البعثيين من تجربة عبد الناصر الثورية .

القسم الاول : مبادىء وأفكار حزب البعث العربي الاشتراكي

أ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي وفكرة الوحدة

يرتبط موقف حزب البعث الاشتراكي من الوحدة العربية ، بموقف آخر من فكرة القومية نفسها . ولذلك فأي بحث عن مفهوم الوحدة العربية لدى حزب البعث يجب ان يسبقه بحث عن مفهوم القومية لدى حزب البعث .

وعندما نشأ حزب البعث العربي سنة ١٩٤٠ كان يدور في العالم صراع بين الرأسمالية والشيوعية من جهة ، وبين الديمقراطية والفاشية من جهة اخرى . ولقد شنت الاوساط الفكرية والثقافية والرأسمالية والاشتراكية الديمقراطيةوالاشتراكية

الثورية والشيوعية حربا شعواء على النازية والفاشية لما تمثلانه من اضطهاد ، ولما تعملان له من استعباد. وفي مثل هذا الجو الذي سبق ١٩٤٠ وتبعها، عاش المثقفون العرب عامة وقادة حزب البعث العربي الاشتراكي خاصة ، فانعكس هذا الصراع في تفكيرهم . ولذلك نجد في دعوة البعثيين القومية :

أ ـ ردا على الماركسية التي اعتبرت القومية مرحلة من مراحـــل التاريخ : «فالقومية ليست كما يمكن ان يوهم التفكير المنطقي السطحي درجة في سلم التطور والارتقاء ، وان بينها وبين الانسانية فاصلا اساسيا وتفاوتا في الدرجة والقيمة بل انها هي تربة الانسانية وهي المجال الحي لاخصابها ، وان الانسانية ليست وضعا اجتماعيا او سياسيا يمكن ان يتحقق تحققا ماديا في التاريخ ، بل هي روح واتجاه ومثل تنبث في تكوين الشعوب والامم وتلون حضارتها ، وتوجه سلوكها وأخلاقها، فالانسانية مرافقة للقومية وليست لاحقة لها» (١) .

ولقد تبنى البعثيون هذا المفهوم ردا على المفهوم الذي يجعل تحقق الانسانيـة الشاملة القائمة على انتفاء القوميات مرحلة من مراحل التطور (٢) .

ب ـ ردا على النازية والفاشية والتعصب والانكماش القوميين .

ج ـ ردا على محاولات الذين يريدون ان يلصقوا بالقومية العربية كل سيئات التطور القومي في اوربا .

فالقومية في نظر البعثيين تنبثق من واقع حي ، من وجود قائم . وهي تتأثر بالعوامل الاقتصادية والسياسية ولكنها لا تزول بزوال هذه العوامل ، كما ان هذه العوامل لا تستطيع ان تلغيها او تغير من طبيعتها . اما علاقتها بالانسانية فهـــي ليست علاقة تضاد وتنافر بل علاقة التحام وتعانق ، فالقومية الحقة هي الانسانية والبعثي لا يرفض الانسانية ، بل يرفض «الاممية» ، والفرق بينهما يكمن في ان «الانسانية هي حقا اتساع للفكرة القومية ونتيجة لنضجها» بينما «الاممية» ليست الا قتلا للفكرة القومية (٣) . «فالاطار القومي هو اطار التنفس الطبيعي للانسان وان الانسان لا يزكو الا في تربته القومية ولا يجد سبيلا للنضال ضد الآفات الاجتماعية والاخطار المختلفة الا ضمن جوه القومي ، وكل اطار آخر اطار خانق له ان كان ضيقا، تائه فيه ان كان فضفاضا واسعا» (٤) .

وهدف البعثيون الى «تحقيق تعاون حر بين شعوب اشتراكية حرة» (٥) ، ولكن

---

١ ـ ميشيل عفلق ـ معركة المصير الواحد ـ صفحة ٥٦ منشورات دار الآداب .

٢ ـ الدكتور عبد الله عبد الدائم ـ دروب القومية العربية ـ منشورات دار الآداب صفحة ٩١ـ١٠٦ انسانية لا أممية .

٣ ـ المصدر السابق ـ انسانية لا أممية صفحة ٩٦ .

٤ ـ المصدر السابق ـ انسانية لا أممية صفحة ٩٥ .

٥ ـ ميشيل عفلق ، معركة المصير الواحد ـ صفحة ٧٧ .

جاء في المبدأ الثالث من الدستور الذي صدر سنة ١٩٤٧ ، ان الامة العربية «ترمي الى تجديد

علاقة البعثيين مع الاحزاب الاشتراكية ظلت محدودة جدا ما عدا الحزب الشيوعي اليوغسلافي الذي انشأ حزب البعث معه علاقات ودية عادية . اما الشيوعيون فقد ظل موقف البعثيين منهم عدائيا ، على الرغم من انهم دعموا بشـــدة تعاون مصر وسورية مع الاتحاد السوفياتي ، والدول الاشتراكية . انهم كانـــوا يحاولون أن يفرقوا بين الشيوعيين والاتحاد السوفياتي ، كما كانوا يحاولون ان يظهروا التعاون، وكأنه استغلال للصراع الدولي ، يستفيد منه العرب وعلى انه في مستوى المصالح المتبادلـــة .

ولم تكن الاحزاب الاشتراكية الاخرى اكثر حرصا على اقامة علاقات وثيقة مع الحزب . فالاحزاب الاشتراكية الاوربية عموما تقف موقفا مائعا من قضية الاستعمار، ولذلك فلم يكن ممكنا ان تقوم علاقات وثيقة معها .

وعلى الرغم من ذلك فقد كانت تجري اتصالات غير منتظمة بين الحزب وبعض الزعماء الاشتراكيين الاوربيين الذين يقفون موقفا جادا من قضية تحرر الشعوب مثل بترونني في ايطاليا ، وبعض جماعة اليسار الجديد في فرنسا . وازدادت هذه الاتصالات بعد سنة ١٩٥٦ . اما الاحزاب الاشتراكية الافرو ــ آسيوية فلم تكن علاقة الحزب معها اوثق كثيرا . ففي سنة ١٩٥٣ دعي الحزب في سورية لحضور المؤتمر الاشتراكي الآسيوي فلم يحضر ، وقد قطع اتصاله مع المؤتمر عندما استطاع الوفد الاسرائيلي الممثل لحزب الماباي ان يصبح عضوا فيه (١) . واشترك الحزب في مؤتمرات عديدة مثل مؤتمر اثينا لمكافحة الاستعمار سنة ١٩٥٧ (٢) ومؤتمـر كوناكري ١٩٥٩ ، وكل المؤتمرات الطلابية الافرو ــ آسيوية .

ب ــ فكرة الوحدة العربية

عندما يفتح القارىء دستور حزب البعث العربي الاشتراكي يقرأ في الصفحة الاولى :

امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة .

حـــزب

البعث العربي الاشتراكي

القيم الانسانية وحفز التقدم البشري وتنمية الانسجام والتعاون بين الامم» .

وعليه فالعرب يكافحون الاستعمار ويسعون : «لمساعدة جميع الشعوب المناضلة في سبيـــل حريتها» ، وهم : «يمدون يد الاخاء الى الامم الاخرى ويتعاونون معها على ايجاد نظم عادلة تضمن لجميع الشعوب الرفاهية والسلام ، والسمو في الخلق والروح» .

١ ــ سي. روز ــ الاشتراكية في آسيا صفحة ١ ــ ٢ .

٢ ــ البعث العدد ٧٩ ، تاريخ ١٦ــ١١ــ١٩٥٧ اقرأ خطاب ميشيل عفلق في المؤتمر . وما كتب حول هذا المؤتمر .

حركة قومية شعبية انقلابية تناضل في سبيل
الوحدة العربية والحرية والاشتراكية

وهكذا تتجسد الدعوة القومية في شعار الحزب واسمه وصفته وأهدافه . ويبدو من ترتيب شعاراته الثلاثة : الوحدة ، الحرية ، الاشتراكية ، ان للوحدة اهمية خاصة تجعلها في المرتبة الاولى من بين اهداف الحزب .

فاذا انتقلنا الى الصفحة الثالثة وجدنا ان المبدأ الاول من مبادىء الحزب الاساسية هو :

«وحدة الامة العربية وحريتها» . ويقرر الدستور في المبدأ الاول :

«العرب امة واحدة لها حقها الطبيعي في ان تحيا في دولة واحدة وان تكون حرة في توجيه مقدراتها . لهذا فان حزب البعث العربي الاشتراكي يعتبر :

١ ــ الوطن العربي وحدة سياسية اقتصادية لا تتجزأ ، ولا يمكن لاي قطر من الاقطار العربية ان يستكمل شروط حياته منعزلا عن الآخر .

٢ ــ الامة العربية وحدة ثقافية ، وجميع الفوارق القائمة بين ابنائها عرضية زائفة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي .

٣ ــ الوطن العربي للعرب ، ولهم وحدهم حق التصرف بشؤونه وثرواته وتوجيه مقدراتــه .

وفي المبادىء العامة تقرر المادة (١) ــ ان «حزب البعث الاشتراكي حزب عربي شامل ، تؤسس له فروع في سائر الاقطار العربية ، وهو لا يعالج السياسة القطرية الا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا» .

وتقرر المادة (٣) : «حزب (البعث العربي الاشتراكي) قومي يؤمن بأن القومية حقيقة حية خالدة ، وبأن الشعور القومي الواعي الذي يربط الفرد بأمته ربطا وثيقا هو شعور مقدس ، حافل بالقوى الخالقة ، حافز على التضحية ، باعث على الشعور بالمسؤولية ، عامل على توجيه انسانية الفرد توجيها عمليا مجديا .

والفكرة القومية التي يدعو اليها الحزب هي ارادة الشعب العربي ان يتحــرر ويتوحد ، وان تعطى له فرصة تحقيق الشخصية العربية في التاريخ ، وان يتعاون مع سائر الامم على كل ما يضمن للانسانية سيرها القويم الى الخير والرفاهية» .

هذه هي ملخص مبادىء الحزب القومية التي ظلت محور خطب قادة الحزب وكلماتهم . ولم يصدر عن الحزب اي بحث علمي مطول او اية دراسة كاملة حول هذا الموضوع .

ونستطيع ان نستخلص من هذه «المبادىء» ثلاث اوليات :

الاولى : ان العرب امة واحدة ، وان الحدود الاقليمية الموجودة زائفة ، وان كونهم امة واحدة يعني قيام دولة واحدة لهم .

الثانية : ان فكرة الحزب القومية هي ارادة الشعب العربي في التحرر والوحدة والانعتاق .

الثالثة : ان الحزب ، انطلاقا من هاتين البديهيتين ، عربي شامل ، له فروع

في كل الاقطار العربية .

ج ـ محاولات للتعريف

ولكن القومية التي اعتبرنا العرب على اساسها امة واحدة ، والتي طالبنا للعرب على اساسها بدولة واحدة ، ما هي :

نجد الجواب على هذا السؤال في كلمات قديمة ترجع الى سنة ١٩٤٠ لميشيل عفلـق .

انه يستبعد فكرة سجن القومية العربية في تعريف لان ذلك «يحكم عليها بالهزال والضعف والعقم» . ويرفض ان تكون نظرية لان ذلك يجعلها قابلـــة للاعتناق او الرفض ، لانها هي «مبعث النظريات» . وهي ليست علما بل «تذكر ، تذكر حي» يعيد للعرب صلتهم المباشرة بطبعهم الصافي الاصيل . انها «حب قبل كل شيء» . وهي «التربة التي تنمو فيها مواهب امة ما» .

يقول ميشيل عفلق : «هي نفس العاطفة التي تربط الفرد بأهل بيته لان الوطن بيت كبير والامة اسرة واسعة والقومية ككل حب ، تفعم القلب فرحا ، وتشيع الامل في جوانب النفس ، ويود من يشعر بها لو ان الناس يشاركونه في هذه الغبطة التي تسمو به فوق انانيته الضيقة ، وتقربه من افق الخير والكمال ، وهي لذلك غريبة عن ارادة البشر ، وابعد ما يكون عن البغضاء . اذ ان الذي يشعر بقدسيتها ينقاد في الوقت نفسه الى تقديسها عند سائر الشعوب فتكون هكذا خير طريـــق الى الانسانية الصحيحة . . . وكما ان الجد لا يوجد الا مقرونا بالتضحية فكذلك القومية والتضحية في سبيلها تقود الى البطولة ، اذ ان الذي يضحي من اجل امته دفاعا عن مجدها الغابر وسعادة مستقبلها لارفع نفسا واخصب حياة مـــن الذي يحصر تضحيته في شخص واحد» (١) .

لذلك كله يرفض ميشيل عفلق «بحث القومية على الاسلوب الاوربي» ، ويرفض التعريفات العامة الزائفة التي «يصح ان تقال عن فرنسا القرن الثامن عشر وعـن اليونان في عهد افلاطون وعن العروبة» .

يقول ميشيل عفلق : «ان القومية العربية ليست نظرية ولكنها مبعث النظريات، ولا هي وليدة الفكر بل مرضعته ، وليست مستعبدة الفن بل نبعه وروحه ، وليس بين الحرية وبينها تضاد ، لانها هي الحرية اذا ما انطلقت في سيرها الطبيعـــي وتحققت ملء قدرتها» (٢) .

وفي حديث له في سنة ١٩٥٧ يقول : «ان القومية العربية لدى البعث هي واقع

---

١ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ صفحة ٢٩ (دار الطليعة) .

٢ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ صفحة ٢٧ (دار الطليعة) .

بديهي يفرض نفسه دون حاجة الى نقاش او نضال ، اما مجال الاختلاف وضرورة النضال فهما في محتوى هذه القومية ، هذا المحتوى المتطور الذي يحتاج في كل مرحلة من مراحله الى نظرية قومية تلائمه» ... «ولذلك فرّق الحزب منذ تأسيسه بين «الفكرة العربية» وعنينا بها القومية العربية ، وبين «النظرية القومية» فقال ان الفكرة العربية هي بديهية خالدة ، وهي قدر محبب لانها حب قبل كل شيء ، اما النظرية القومية فهي التعبير المتطور عن هذه الفكرة الخالدة حسب الزمان والظروف، وان هذه النظرية تتمثل اليوم ـ حسب اعتقادنا ـ في الحرية والاشتراكية والوحدة».

ويقول : «ولذلك نقول ان القومية العربية هي قومية وعربية . قومية بمعنى ان الشروط الابتدائية لكل قومية ، وعربية بمعنى ان فيها التطور الخاص بالامة العربية عبر مختلف العناصر والحضارات والازمنة ، وان الصفة العربية المشتركة التي وجدت بين هذه العناصر جميعا هي التي استمرت دون انقطاع ، وكانت اللغة العربية ابرز عنوان لهذا الاستمرار بما تتضمنه اللغة عامة من وحدة في التفكير ، وفي المبادىء والمثل» . ويقول : «وليس المهم ان تكون شتى المعاني السلبية والايجابية كالجنس ، والدين والتراث التاريخي ، قد اسهمت ـ في الماضي ـ في صنع هذه القومية وتداخلت فيها . ولكن المهم هو المعنى الذي نستخرجه من كل ذلك في مرحلتنا الحاضرة ، مرحلة انبعاث وخلق المستقبل العربي . المهم ان نعرف ان هذه القومية ، التي وصفناها بالخلود ، وبأنها تفترق عن المضامين المختلفة التي تعبر بها عن نفسها خلال الزمن ، وبالتفاعل مع الحوادث والظروف ـ لا يعني الخلود فيها جمودا ، وانما يعني ثباتا واستمرارا للحد الادنى من المقومات تبنى معها وتنسج حولها التعبيرات متنوعة متجددة ، فهي خلق دائم ، ولكنها ليست خلقا مجردا ولا خلقا من العدم ، بل ثابتا من التجارب الحية» ... وان «التجربة الحاضرة للأمة العربية ... تترك في الصف الثاني اكثر المعاني السلبية او الايجابية التي تدخل عادة في بناء القومية ، وترفعنا فوق النظرة العنصرية وفوق النظرة الدينية وفوق النظرة التاريخية ، كما تجنبنا النظرة الاممية المجردة» (١) .

د ـ البعث والرسالة الخالدة ...

ارتبط شعار وحدة الامة العربية عند البعثيين بشعار الرسالة الخالدة ... ما هي هذه الرسالة ؟ وما كان الدافع لجعلها شعارا ؟ وهل كانت تعني تمييز الامة العربية عن الامم الاخرى ؟

يتساءل عفلق : «هل الرسالة شيء ينتهي في وقت ما ام انها تتجدد وتتكامل مع

---

١ ـ ميشيل عفلق : في سبيل البعث ـ القومية العربية والنظرية القومية ـ ص ٢١١ ـ ٢١٥ .

الحياة ؟ واذا افترضنا ان مضمونها واحد فما معنى خلود الرسالة ؟ هل هو جمودها، اي انها تحوي اشياء لا تزيد ولا تنقص ام يعني انها فوق الاشياء وانها نزوع ومهمة؟» ويجيب : «ان الرسالة يجب ان تفهم على انها نزوع واستعداد اكثر من كونها اهدافا معينة محدودة» (١) .

والامة العربية : «تنصرّ على انها لا تزال هي هي في جوهرها ، تلك الامة التي بلغت في أزمان متعددة مختلفة من التاريخ درجة تبليغ رسالتها ، فهي اذن بصلتها ببعضها وبماضيها لا تزال واحدة ، ولا تزال فيها الكفاءة لاسترجاع تلك المرتبة التي فقدتها مؤقتا» . ذلك : «ان هذه الامة التي افصحت عن نفسها وعن شعورها بالحياة افصاحا متعددا متنوعا في تشريع حمورابي وشعر الجاهلية ودين محمد وثقافة عصر المأمون ، فيها شعور واحد يهزها في مختلف الازمان ، ولها هدف واحد بالرغم من فترات الانقطاع والانحراف» (٢) .

هذا هو معنى رسالة الامة العربية ، من حيث هي استعداد ونزوع ، ومن حيث هي حلقات حضارية في التاريخ ، اما في الحاضر : «فان الرسالة العربية اليوم هي في ان يتطلع العرب الى بعث أمتهم . فهذا خير ما يقدمونه للانسان ، لان القيم الانسانية لا يمكن ان تخصب وتثمر الا في امة سليمة . فعلى العرب ان يحبوا حاضرهم حتى يستطيعوا ضمان حياة مستقبلهم لان المستقبل لن يأتي ما لم نتوصل الى ان نحيا حاضرنا بآلامه ومآسيه . ان الرسالة العربية الخالدة هي في هذا الحاضر وتلبية ندائه والاستجابة لضروراته » (٣) . وهذا الفهم للحاضر والتلبية لندائه والاستجابة لضروراته هي التي تجعل : «رسالة العرب الخالدة ليست للمستقبل وانما هي الآن في طور التحقيق . انها هذا الاقبال من العرب على معالجة مصيرهم وحاضرهم معالجة جدية جريئة ، وهذا القبول بأن تكون نهضتهم نتيجة التعب والالم ، هذا التحسس بالآفات والمفاسد التي انتابت حياتهم ومجتمعهم، هذه الصراحة في رؤية عيوبهم ، هذه الجراة بالاعتراف بها ، هذا التصميم الرجولي على ان ينقذوا انفسهم بقواهم الذاتية غير معتمدين على قوى اجنبية او على سحر ، هذه التجربة المرة المملوءة بالكوارث ، هذا الحاضر الذي يحياه العرب الآن هو بدء الرسالة الخالدة ، لانهم في هذه التجربة سيعرفون من جديد ما معنى الصدق ، ما معنى الحق ، ما معنى الاخلاص ، ما معنى العمل والتضحية ، ما معنى التفكير السليم المستقل الذي لا يخاف ضغط الغوغاء ، ما معنى الخلق الحر الذي لا يستسيغ التقليد . في هذا الحاضر الذي يبدو اسود قاتما بشعا فقيرا ، تكمن الكنوز الوفيرة، الكنوز الروحية والخلقية والفكرية للنوع السليم من العرب» (٤) .

---

١ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ حول الرسالة العربية . صفحة ٧٩ .
٢ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ حول الرسالة العربية . صفحة ٧٧ .
٣ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ حول الرسالة العربية . صفحة ٨٢ .
٤ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ معنى الرسالة الخالدة . صفحة ١٠٩ .

ولقد اعتبرت «الرسالة الخالدة» شعارا لسببين :

الاول : ينبع من اعتقاد جازم بأن الامة العربية ذات ماض كبير ، وأنها ذات مستقبل كبير كذلك .

الثاني : وينبع من ضرورة تثبيت هذه الحقيقة في اذهان الجماهير المنقطعة عن ماضيها ، المستسلمة في حاضرها .

ولم يكن هذا «الاعتقاد» يعني عنصرية معادية للامم الاخرى ، فلقد ساد الحزب اعتقادا بأن الرسالة العربية انسانية بروحها . ولكن هذا لم يحل دون اعتبار الامة العربية مهيأة اكثر من غيرها لحمل هذه الرسالة. وقد بني هذا الاعتبار على اساسين:

١ ــ مقدرة الامة العربية على التجدد والخلق .

٢ ــ عمق التجربة العربية المعاصرة والآلام التي صحبتها . ويعتقد ميشيل عفلق ان «آلام العرب لم تمر على احد من البشر او امة من الامم» (١) .

وكان ميشيل عفلق يرى : «ان الامم ليست كلها على السواء ذات رسالات . او ليست رسالاتها متساوية في درجة النضج وفي مدى التحقيق والشمول» (٢) .

ولقد ذهب مرة الى : «ان الامة العربية ليست كأي أمة صغيرة ثانوية يمكنها ان تتبنى رسالة غير رسالتها الخاصة ، وأن تسير في ركاب امة اخرى وتعيش في فضلاتها ، قد يكون ممكنا ومفيدا لشعوب صغيرة وضئيلة لم تحتل مكانا في التاريخ ذا شأن ولم تبدع اية حضارة ، ان تجد في الشيوعية ما ينهض بها ويرفع من شأنها ، لانها في الواقع لا تملك شيئا حتى تخشى ضياعه والتضحية به . ولكن الامة العربية ليست شبيهة بشعوب اوزبكستان وأذربيجان والقرغيز ، بل هي امة شغلت ثلث التاريخ البشري ، وأبدعت احدى حضارات العالم الرئيسية الثلاث ، وحملت الى الانسانية جمعاء رسالة الهية لا تستطيع ان تستبدل بها رسالة «ماركس» ، او تلحق بحضارة الروس والافرنسيين» (٣) .

يبدو ان ميشيل عفلق هنا لم يوفق في التعبير عن فكرته ، حتى بدا متناقضا مع نفسه ومع مبادىء حزبه . صحيح ان ماضي الامة العربية حافل ، ولكن القضية الآن هي ليست قضية الماضي فقط . فالعقيدة التي تحول دون تفتح امكانيات الامة العربية تحول دون تفتح امكانيات الامم الاخرى ، ولن تكون العبودية ، عبودية في بلد وحرية في أخرى ، اما امكانيات الابداع فليست ارثا مثل الغنى والفقر ، انها امكانية ، ويجب ان يبحث الناس جميعا عن النظم التي تسمح بتحققها .

ان ما يجعلنا لا نرى في هذه «الفكرة» خطورة عاملان :

١ ــ معرفتنا باتجاه حزب البعث «القومي ــ الانساني» عامة ، وباتجاه ميشيل

---

١ ــ ميشيل عفلق ــ في سبيل البعث ــ الرسالة الخالدة ــ صفحة ١٥٩ .

٢ ــ ميشيل عفلق ــ في سبيل البعث ــ صفحة ٧٦ ــ حول الرسالة العربية .

٣ ــ ميشيل عفلق ــ في سبيل البعث ــ صفحة ٧٢ ــ (موقفنا من النظرية الشيوعية) كتبت١٩٤٦ .

عفلق غير المنفصل عنه .

٢ ــ ادراكنا للظروف الموضوعية التي «ارتجلت» فيها مثل هذه الاقوال . فلقد ارتبطت بمحاولة ايقاظ الوجدان القومي ، ودفع «المبادىء» الغريبة عنه ، عندما كانت تحاول ان تجره الى اقليمية ضيقة او «انسانية» وهمية ..

هـ ــ الفكرة القومية والدين ...

حاول الفكر السياسي الحديث ، والتقدمي منه خاصة ، ان يحصر الدين في شعائر محدودة ، لا تتعدى المواعظ في المساجد والكنائس ومراسم العماد والزواج والدفن عند النصارى والاخيرين عند المسلمين : اما البعثيون طليعة النضال العربي، فلم يكن لهم موقف واضح منه . فالدستور لم يشر ولو اشارة عابرة لهذه القضية. والحزبيون كانوا انواعا فمنهم المؤمن الشديد الايمان ، ومنهم اللامبالي الشديد اللامبالاة ، ومنهم الملحد المسرف في الالحاد ، الا ان الاكثرية الساحقة كانت من اللامبالين . غير ان الذي يقرأ كتابات ميشيل عفلق وخطاباته يجد بأنه اعطى لتجربة حزب البعث الاشتراكي معنى روحيا ينبثق من مصادر ثلاث :

الاول : ربط اندفاعة العروبة الثورية بمثل الخير والحق والدين ربطا وثيقا . فالحركة العربية الحديثة تعبير عن ارادة الخير والحق ، والحق هو الله .

الثاني : ربط الاسلام بتجربة العرب ربطا وثيقا، على اساس ان حركة الاسلام.. «لعمقها وعنفها واتساعها ترتبط ارتباطا مباشرا بحياة العرب المطلقة ، اي انها صورة صادقة ورمز كامل خالد لطبيعة النفس العربية وممكناتها الغنية واتجاهها الاصيل، فيصح لذلك اعتبارها ممكنة التجدد دوما في روحها لا في شكلها وحروفها ... فالعرب عرفوا بواسطة هذه التجربة الاخلاقية العصيبة كيف يتمردون على واقعهم وينقسمون على انفسهم ، في سبيل تجاوزها الى مرحلة يحققون بها وحدة عليا ، وبلوا فيها انفسهم ليستكشفوا ممكناتها ويعززوا فضائلها ... هذه التجربة ليست حادثا تاريخيا يذكر للعبرة والفخر ، بل هي استعداد دائم في الامة العربية...»(١)

وعلى هذا يكون الاسلام انطلاقة من انطلاقات العرب الكبرى وجزءا من تاريخهم القومي ، وثقافتهم القومية . «وعلاقة الاسلام بالعروبة ليست اذن كعلاقة اي دين بأية قومية» «فما الاسلام الا وليد الآلام . آلام العروبة وسوف يعرف المسيحيون العرب عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظتها التامة ويسترجعون طبعهم الاصيل ، ان الاسلام ثقافة قومية يجب ان يتشبعوا بها حتى يفهموها ويحبوها ، فيحرصوا على الاسلام حرصهم على اثمن شيء في عروبتهم ، واذا كان الواقع لا يزال بعيدا عن

---

١ ــ ميشيل عفلق ــ في سبيل البعث ــ صفحة ٤٣ ــ ٤٤ «ذكرى الرسول العربي» وهو خطاب القاه ميشيل عفلق سنة ١٩٤٣ وطبع عدة مرات .

هذه الامنية فان على الجيل الجديد من المسيحيين العرب مهمة تحقيقها بجـــراة وتجرد ، مضحين في سبيل ذلك بالكبرياء والمنافع اذ لا شيء يعدل العروبة وشرف الانتساب اليها» (١) .

الثالث : ربط الاسلام بالثورة «الاسلام عند ظهوره هو حركة ثورية ثائرة على اشياء موجودة : اعتقادات وتقاليد ... ومصالح» واذن «فالاسلام ثورة ... لا يفهمها الا الثوريون» . ولذلك من الطبيعي جدا ان يكون «اقرب الناس الى الاسلام فهما وتحسسا وتجاوبا هو الجيل الثوري» (٢) . ونجد هنا ان ميشيل عفلق مزج بين اثر الدين في التاريخ العربي ، واثره في الحركة الثورية الحديثة . وكأنمـــا الحركة الثورية العربية الحديثة تجديد للعروبة والاسلام معا .

وقد فرق ميشيل عفلق بين الدين في جوهره والدين في مظهره . واعتبـــر الالحاد ردا على فساد مظهر الدين ، وقال : «ليس قدرا على الدين ان يبقى متحجرا دوما . الدين شيء اساسي ، وسيرجع الى جوهره متغلبا على النقمة ...» (٣) وقال ايضا «الدين تعبير صادق عن انسانية الانسان ، وانه يمكن ان يتطور ويتبدل في اشكاله ، وان يتقدم او يتأخر ، ولكنه لا يمكن ان يزول» (٤) .

وعلى الرغم من هذا كله فقد كان البعثيون ضد الطائفية وضد تزمت رجـــال الدين ، ونزّاعين الى حصر نفوذ رجال الدين في مراسيم الزواج والدفن . وكانوا مؤمنين بضرورة فصل الدين عن الدولة ، التي يجب ان تكون علمانية ، وان كانوا، على ما يظهر ، لم يناقشوا مثل هذه المسألة في مؤتمرات حزبية او دراسات حزبية.

و ـ فكرة الوحدة « والنظرية »

دعا البعثيون خلال نضالهم وصراعهم مع «النظريات» العاملة في الوطن العربي، الى ضرورة تعميق تجربتهم القومية . وكان هذا التفكير ينبثق من :

أ ـ رفض كل النظريات والقيادات العاملة على الصعيد العربي ، وفي العالم ، لانها غريبة عن العرب وغير منسجمة مع رسالتهم ...

ب ـ محاولة التركيز على ان للعرب رسالة خاصة وانهم قادرون على الابداع والعطـــاء .

فلا غرو بعد ذلك ان نجد ميشيل عفلق يتحدث عن هذه «النظرية» في مقدمة

---

١ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ صفحة ٤٦ ـ ٥٠ ، ذكرى الرسول العربي .

٢ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ صفحة ٢٠١ ـ نظرتنا للدين ، حديث ألقي على لفيف من الشباب سنة ١٩٥٦ .

٣ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ صفحة ٢٠٥ ـ نظرتنا للدين .

٤ ـ من حديث ألقي على الاعضاء والانصار في طرابلس سنة ١٩٥٦ .

بحث له بعنوان : «موقفنا من النظرية الشيوعية» (١) كتب سنة ١٩٤٤ . ولكن الحديث عن النظرية ظل حديث مناسبات ، ولم ينل بعض الاهتمام الا بعد سنة ١٩٥٤ . وفي اواخر سنة ١٩٥٦ كتب الدكتور عبد الله عبد الدايم مقالا في مجلة الآداب بعنوان (انسانية لا أممية) تعرض فيه للفكرة ذاتها . يقول الدكتور : «ذلك ان الفكرة العربية قد جاوزت منذ زمن بعيد مرحلة العاطفة وغادرت ذلك الطور الذي كانت فيه ثورة ضد استعمار عثماني او غربي ، وأصبحت مدعوة منذ سنوات الى ان تحدد خطوطها وترسم معالمها رسما واضحا . لقد اصبحت مطالبة بتكوين مذهب عربي واضح العناصر يقابل المذاهب الاخرى السائدة في العصر الحديث وعلى رأسها المذهب الشيوعي» (٢) . وعاد الدكتور عبد الله عبد الدايم للموضوع مرة ثانية في كتاب عنوانه «التربية القومية» صدر سنة ١٩٦٠ فكانت عودته عابرة .

نجد في كتاب الدكتور عبد الله عبد الدايم هذا تعريفا للنظرية القومية ، فهي «محاولة لربط الشعور الحي القائم بأصوله الواقعية بالمشاهدات العلمية التي تغذيه» (٣) ومع هذا فالفكرة القومية ليست بناء ايديولوجيا «وانما هي تصوير لواقع الامة » (٤) .

اما ما هو واقع الامة ...؟

ما هي مقومات النظرية ...؟

وما معنى النظرية ...؟ وهل هي مجرد رد على التحديات ...؟

فهذه اسئلة لم يعطنا البعثيون الجواب عليها وليست محاولات عبد الله عبد الدايم الا خواطر عابرة اشبه بالتعريفات المترجمة ترجمة سيئة منها «بالوقفات» الثورية .

ز ـ النضال في سبيل الوحدة

منذ نشأ الحزب وهو يناضل في سبيل الوحدة وكان نضاله يتخذ مظهرين متلازمين :

الاول ـ الدعوة .

الثاني ـ العمل السياسي .

وكانت الدعوة تنطلق من ضرورة العمل من اجل ايقاظ الوجدان القومي ، ونشر روحية الوحدة ، اما العمل السياسي فكان يعتمد على تنظيمات الحزب التي اخذت تنتشر في سورية ولبنان والعراق والاردن حتى اصبحت في أواخر سنة ١٩٥٦ قوى

---

١ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ صفحة ٧١ .

٢ ـ الدكتور عبد الله عبد الدايم ـ دروب القومية العربية ـ صفحة ٩٢ .

٣ ـ الدكتور عبد الله عبد الدايم ـ التربية القومية ـ صفحة ١٤ .

٤ ـ الدكتور عبد الله عبد الدايم ـ التربية القومية ـ صفحة ١٢ .

فعالة ضاربة . وبانتشارها ودخولها المعترك السياسي اخذت الفكرة القومية تعمق وتمتد حتى اصبحت بقيام الوحدة بين مصر وسورية قضية الجماهير العربية .

ومنذ البدء اعتبر البعثيون ان الوحدة صفة مميزة للبعث العربي (١) ، وانها «اعلى في مراتب القيم من شعارات الحزب الاخرى» . وامتاز تفكير البعثيين الوحدوي منذ البدء بثلاث مميزات :

الاولى ـ انهم جعلوا الوحدة عملا ثوريا نضاليا ، يحتاج الى انقلاب روحي ، ويقظة وجدان ، يعمقان روح الوحدة ومنطقها ومحتواها .

الثانية ـ انهم جعلوا الوحدة تقدمية بمنطقها ومحتواها ، وعلى هذا فهي تبدأ من عدم الاعتراف بشرعية المصالح الاقليمية القائمة وفضح المنتفعين بها .

الثالثة ـ انهم ربطوا بين شعارات الحزب الثلاثة، الوحدة والحرية والاشتراكية، وجعلوا النضال في سبيلها واحدا ، لا لانهم يريدون ان يحققوا الانتصارات القومية والسياسية والاجتماعية معا ، بل لانهم يدركون عمق الصلة بين قيام الوحدة وتحقيق المجتمع المتحرر الاشتراكي .

صحيح ان تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي لم تدخل نصف الاقطار العربية قبل سنة ١٩٥٨ . وصحيح ان قواعدهم لم تكن واسعة الانتشار ولا عميقة الجذور ، الا انها كانت من القوة في مستوى جعلها قادرة على استثارة الروح القومية في الوطن العربي . وما الصرخات العربية التي تتردد الآن الا اصداء لصرختهم الاولى .

ان حزب البعث هو حزب الوحدة الاول .

ح ـ حزب البعث العربي الاشتراكي وفكرة الحرية

اتخذت فكرة الحرية في حزب البعث العربي الاشتراكي طابعا خاصا وهاما ، ولكنه عام ارتبط بثلاث مسائل موضوعية :

الاولى : مسألة الاستعمار وتحكمه برقاب المواطنين العرب ، وبثروات الوطن العربي .

الثانية : مسألة انظمة الحكم المهترئة ، وفساد الاجهزة الحاكمة ، وتمثيلها لفئة من المنتفعين والعملاء .

الثالثة : مسألة الجوع والجهل والمرض ، مسألة التخلف الشنيع الذي يربض على صدور المواطنين .

---

١ ـ نشرة حزبية ـ الاستاذ ميشيل عفلق ، (الوحدة العربية هي الصفة المميزة للبعث العربي) .

فهي اذن حرية المواطن العربي من استعمار خارجي ، واستغـــلال داخلي ، وتخلف يتعاون الاستعمار الخارجي والاستغلال الداخلي علـــى الاستنفاع به . وسأتحدث الآن عن المسألتين اما الثالثة فسأتحدث عنها فيما بعد .

١ ـ مسألة التحرر من الاستعمار

لم يكن الاستعمار بالنسبة للبعثيين مجرد قوة خارجية غازية، فالقوى الخارجية الغازية لا تستطيع ان تحكم أمة متماسكة حية مستعدة بكل الوسائل ان تدافع عن استقلالها وكرامتها . فهناك اذن الاستعمار ، وهناك الانحلال والتفكك والاستسلام التي تشكل القاعدة «لقبول الاستعمار» . فالتحرر من الاستعمار عملية نضاليـــة شاقة ترتبط بتحرر الفرد ذاته من عقدة الضعف امام القوى الخارجية ، وتمنحه قوى خارقة على البناء والابداع .

لهذا كله فقد وحّد البعثيون النظرة الى القضية العربية فهي ليست قضيـــة قومية فقط ، ولا سياسية فقط ، ولا اجتماعية فقط . انها قضية قومية سياسية اجتماعية تعني تحررا «جذريا شاملا» .

وقد حدد دستور الحزب الموقف من الاستعمار على اعتبار انه قوة خارجيـــة غازية ، جاء في الدستور : «الوطن العربي للعرب ولهم وحدهم حـــق التصرف بشؤونه وثرواته وتوجيه مقدراته» . (المبدأ الاول مادة ٣) .

وجاء فيه : «ان الاستعمار وكل ما يمت اليه اجرامي يكافحه العرب بجميـــع الوسائل الممكنة ، وهم يسعون ضمن امكانياتهم المادية والمعنوية لمساعدة جميـــع الشعوب المناضلة في سبيل حريتها» (المبدأ الثالث مادة ١) .

وجاء فيه ايضا : «النضال ضد الاستعمار الاجنبي لتحرير الوطن العربي تحريرا مطلقا كاملا» (مبادىء عامة المادة ٦ فقرة ١) .

وناضل البعثيون اينما كانوا ضد الاستعمار وعملائه ، وخاضوا معارك كبيرة في العراق والاردن وسورية ولبنان من اجل تحرير الوطن العربي ووحدته ، وتحقيق استقلال كامل سليم لهذه الاقطار ، وللاقطار العربية العاملة من اجل استقلالها ، وهذه ناحية اشرنا اليها اشارات موجزة فيما مضى ، وكانوا يؤمنون ان التحرر والوحدة متلازمان معا وان الرجعية عدو للتحرر والوحدة معا .

٢ ـ البعث والانقلاب

كان البعث بالنسبة للبعثيين يعني : «الانقلاب على الواقع الفاسد انقلابا يشمل جميع مناحي الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية» (المبادىء العامة ـ مادة ٦ ـ فقرة ٣ الدستور) . وانقلاب من هذا النوع يحتاج الى اداته السياسية، التي تكون منظمة حزبية ، ثم منظمة حزبية حاكمة . فما هو المعنى السياسي للحرية

عند البعثيين . وما هو نظام الحكم الذي اقترحوه ؟..

«حزب البعث العربي الاشتراكي انقلابي يؤمن بأن اهدافه الرئيسية في بعث القومية العربية وبناء الاشتراكية لا يمكن ان تتم الا عن طريق الانقلاب والنضال ، وان الاعتماد على التطور البطيء والاكتفاء بالاصلاح الجزئي السطحي يهددان هذه الاهداف بالفشل والضياع » . (الدستور المبادىء العامة ــ المادة ٦) .

وهذه الفكرة الانقلابية تتطلب تنظيما ثوريا ، يستطيع ان يتحمل اعباءها ، فهل كان تنظيم البعثيين كذلك ؟ الواقع ان فكرة الانقلاب كانت فكرة غير محددة داخل الحزب ، وقد اتخذت طابع الانقلاب الفردي الذي يعني التكيف الفردي مع متطلبات الانقلاب ، دون ان يكون للانقلاب بهذا المعنى في داخل الحزب اي اهمية . طرحت الفكرة غائمة وظلت غائمة . ولهذا كان الانقلاب يتحول الى نضال وطني ، الى منشور ومظاهرة ومحاولة لكسب انتخابات نقابة او اتحاد طلبة او كسب مقاعد في برلمان . وبينما كان التنظيم يزداد اتساعا لم يتعمق ، ولم يتحول النضال بشكل كاف ، الى نضال جماهيري ثوري يطرح شعارات الثورة ، ويعمل من اجل اقامة حكم ثـــوري شعبي ، بواسطة ثورة شعبية .

واننا لنستطيع من مثل هذه الوقائع ان نستخلص نظام الحكم الذي اقترحـه البعثيـون .

٣ ــ نظام الحكم

يقوم نظام الحكم الذي اقترحه البعثيون على دعامتين :

الاولى : تقديس الحرية الفردية (حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة لا يمكن لاية سلطة ان تنتقصها) (الدستور ــ المبدأ الثاني ــ الفقرة ١) .

الثانية : ان السيادة ملك الشعب وان قيمة الدولة ناجمة عن انبثاقها عن ارادة الجماهير ، كما ان قدسيتها متوقفة على مدى حريتهم في اختيارها (الدستور ــ مبادىء عامة ــ مادة ٥) .

ومن الطبيعي ان تنبثق عن مثل هذا التفكير دعوة لاقامة نظام نيابي دستوري ، السلطة التنفيذية فيه مسؤولة امام السلطة التشريعية ، التي ينتخبهـــا الشعب مباشرة (الدستور ــ سياسة الحزب الداخلية المادة ١٤) ، «والسلطة القضائيـــة مصونة ومستقلة عن اية سلطة اخرى وتتمتع بحصانة مطلقة» (الدستور ــ سياسة الحزب الداخلية ــ المادة ١٩) . وتعزيزا لهذه المبادىء : «يسعى البعثيون الى وضع دستور للدولة يكفل للمواطنين العرب المساواة المطلقة امام القانون ، والتعبير بملء الحرية عن ارادتهم واختيار ممثليهم اختيارا صادقا ، ويهيىء لهم بذلك حياة حرة ضمن نطاق القوانين» (الدستور ــ سياسة الحزب الداخلية ــ المادة ١٧) . وهكذا تكتمل صورة نظام الحكم . انه نظام نيابي دستوري يقوم على الفصل بين السلطات

وينبثق من تقديس الحرية الفردية والتعبير الحر عن ارادة الشعب ، وليس هذا الا النظام الغربي التقليدي (البريطاني ـ الامريكي خاصة) .

فنظام الحكم الذي اقترحه البعثيون غير ثوري . وكان اقتراحه يطبع نضالهم بطابع العفوية والارتجال . ويجعله ضربا من الطفرات والانتفاضات .

وسنرى فيما بعد كيف يتناقض هذا النظام مع تفكيرهم الانقلابي الاشتراكي .

حزب البعث العربي الاشتراكي وفكرته الاشتراكية

طرح الحزب الاشتراكية شعارا له ، فجعلها احد شعاراته الثلاثة ، وطرحها قضية، عندما جعلها وجها من وجوه قضيته التحريريةالقومية السياسية الاجتماعية.

وسنقدم فيما يلي بحثين :

الاول : الاشتراكية في دستور حزب البعث .

الثاني : تناقضات التفكير الاشتراكي عند البعثيين .

الاشتراكية في دستور حزب البعث

يلاحظ قارىء دستور حزب البعث ملاحظتين :

الاولى : ان الحزب جعل الاشتراكية ضرورة منبعثة من صميم القومية العربية، واعتبرها النظام الامثل الذي يسمح للشعب العربي بتحقيق امكانياته . وتفتح عبقريته على اكمل وجه . (الدستور ـ المبادىء العامة ـ المادة ٤) .

الثانية : ان مبادىء الحزب الاشتراكية قد جمعت في باب سياسة الحزب الاقتصادية ، (المواد من ٢٦ ـ ٣٨) . الا بعض المسائل الاجتماعية ، التي ذكرت في باب «سياسة الحزب الاجتماعية» .

ويتلخص تفكير الحزب الاشتراكي فيما يلي :

١ ـ الثروات الاقتصادية ملك للأمة (المادة ٢٦) .

٢ ـ يمنع استثمار جهد الآخرين (المادة ٢٨) .

٣ ـ يعاد توزيع الثروات توزيعا عادلا (المادة ٢٧) .

٤ ـ تدير الدولة المؤسسات ذات النفع العام . وتتملك وسائل الانتاج الكبرى. ومصادر الثروة . وتشرف على التجارتين الداخلية والخارجية اشرافا مباشرا . (المادة ٢٩ والمادة ٣٦) .

٥ ـ تحدد الملكية الزراعية بمقدرة المالك على الاستهلاك ، وتباح ملكية العقارات على الا تستثمر (المادة ٣٠ و ٣٣) .

٦ ـ يشترك العمال في ادارة المعمل . ويمنحون نصيبا في الارباح عدا أجورهم (المادة ٣٢) .

٧ ــ يوضع برنامج شامل للتصنيع على ضوء احدث النظريات (المادة ٣٧) .
٨ ــ يؤمن الطب للجميع (المادة ٣٩) .
٩ ــ العمل الزامي للجميع وتضمن الدولة معيشة العاجزين (المادة ٤٠) .
١٠ ــ يلغى التفاوت الطبقي والتمايز الطبقي (المادة ٤٢) .
وتطبق هذ المبادىء بالنضال والانقلاب لا بالتطور البطيء (المادة ٧) .
وقد سمى البعثيون اشتراكيتهم : الاشتراكية العربية ، توضيحا لاهدافها ، وتمييزا لها عن الشيوعية والاشتراكية الوطنية .

١ ــ الاشتراكية نظام اقتصادي

ذكرت ان (مبادىء الحزب الاشتراكية) قد ذكرت في باب « سياسة الحزب الاقتصادية» ولم يكن هذا ، كما يبدو ، عبثا ، بل كان نوعا من التقسيم الذي ارادوه ، والتفكير الذي التزموه ، ففي محاولتهم للتفريق ، بين الشيوعية والاشتراكية العربية ، كان ابرز الاسباب ان الاشتراكية العربية مجرد نظام اقتصادي وقد تكرر هذا التعبير مرات كثيرة (١) ، مع ان الكثيرين من الحزبيين اعتبروا ان تجربة البعث حياتية متفتحة .
وفي سنة ١٩٥٦ القى الدكتور منيف الرزاز محاضرته (لماذا الاشتراكية الآن) . وقد حاول فيها ان يبرهن خطأ هذه النظرة ، وأن يجعل من الاشتراكية مذهبا للحياة والفهم والكفاح . ولاقت محاضرة الدكتور الرزاز استحسانا كبيرا ، وطبعها الحزب في الاردن ، ثم طبعت مع مجموعة دراسات في الاشتراكية سنة ١٩٦٠ . والمجموعة لكتاب حزبيين ، والمحاضرة في الواقع اعمق نظرة حزبية للاشتراكية (٢).
ويبدو ان القصد من جعل الاشتراكية نظاما اقتصاديا ، هو فصل النظام السياسي عن النظام الاقتصادي .

٢ ــ الاشتراكية العربية والطبقات

يعتبر ميشيل عفلق «ان للبعث العربي دعامتين لا يستطيع ان يمشي الا بهما معا ، وهما الجناحان اللذان بهما ينهض ويحلق ، هما الطبقة العاملة والطبقة المثقفة. ولا يحقق البعث العربي شيئا مذكورا ، الا بتعاون هاتين الطبقتين تعاونا مخلصا

---

١ ــ ميشيل عفلق ــ في سبيل البعث ــ الصفحات ٧٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٦ . وكتاب دراسات في الاشتراكية لمجموعة من المفكرين صفحة ٢٠١ .
٢ ــ دراسات في الاشتراكية ــ لمجموعة من المفكرين ــ (لماذا الاشتراكية الآن) صفحة ١١٧ ــ ١٣٧ .

وثيقا» (١) . وهذا التفكير وان كان ليس طبقيا ، بمعنى الكلمة الاصطلاحي ، فهو يدل على ان ميشيل عفلق ادرك بشكل جزئي انقسام المجتمع الى فئتين : مستغِلة، ومستغَلة ؛ وان اداة حزب البعث العربي الاشتراكي هي من الفئة الثانية .

ويقول في حديث آخر (١٩٥٦) : «مما لا شك فيه ان هناك ضمن الامة الواحدة صراعا بين الطبقة المالكة لوسائل الانتاج والطبقة المحرومة منها ، الا انه حتى في نطاق الامة الواحدة لا يمكن ان ينظر الى هذا الصراع بالشكل الحرفي المتعسف الذي صورته الماركسية» ... «اما في داخل الوطن العربي فنحن طرحنا المشكلة على شكل مختلف عن الشكل الذي طرحته الماركسية بها : طرحنا المشكلة القومية كوحدة لا تتجزأ ولم ناخذ منها جزءا فقط كما فعلت الماركسية حين اخذت الناحيـــة الاقتصادية ، ناحية الصراع بين المالكين والمحرومين . مشكلتنا أوسع من ذلك وأعمق بكثير . مشكلة وطن مجزا مستعمَر في بعض اجزائه ... وهي مشكلة وطن متخلف في شتى النواحي : في الفكر والاقتصاد والسياسة وفي كل شيء ويحتاج الى ان نبني فيه كل شيء من جديد . لذلك جعلنا الشعب العربي في صف ، والذين يعادون ويعرقلون القضية القومية ويقفون في سبيلها ، جعلناهم في صف آخر . فليس فقط الرأسماليون والاقطاعيون هم اعداء الشعب العربي ، بل ايضا هم السياسيون الذين يتمسكون بالتجزئة... وأولئك الذين يسايرون الاستعمار بشكل من الاشكال، وأولئك الذين يعادون الفكر والعلم والتطور والتفتح والتسامح والذيـــن يبشرون بالتعصب والتفرقة ... فنحن اذن لا نستطيع ان نقول اننا قسمنا أمتنا الى طبقات او طبقتين على الشكل الماركسي . ان رجل دين مثلا يبذر بذور التعصب وهو فقير لا يملك ثروة يسيء الى الشعب بقدر ما يسيء الرأسمالي المستغِل للعمال والاقطاعي للفلاحين » .

ولكن عفلق يحذر في نفس الحديث من «ان تضيع الفكرة القومية وتتبس مع المصالح الطبقية المجرمة حين يتغنى اصحاب هذه المصالح كذبا وبهتانا بالمصلحـــة القومية لينقذوا جلودهم ...» ، كما ينبه الى ان الطرح القومي لقضيتنا «يجب ان لا ينسينا ان المشكلة الاقتصادية هي في اللب والصميم ، واننـــا اذا تساهلنا اي تساهل بحجة القومية مع طبقة المستغِلين والرجعيين نكون قد أفقدنا نضالنا العصب الفعال ، فهذا الصراع بين جمهور الشعب المحروم وبين الطبقة المستغِلة والمتعصبة على كل تطور وكل استجابة الى المصلحة القومية ليس فيه الا الخير ...» (دراسات في الاشتراكية : ص ٢٤ ــ ٢٨) .

٣ ــ الاشتراكية العربية والعنف

كنا نسمع في داخل حزب البعث العربي الاشتراكي ، ان مـــن الفروق بين

---

١ ــ دراسات في الاشتراكية ــ مجموعة من المفكرين ــ صفحة ١٩ .

الاشتراكية العربية والشيوعية رفض الاولى لمبدأ العنف ، وزادنا قناعة بهـــذه الحقيقة فرحة البعثيين التي صحبت اعلان خروشيف في المؤتمر الشيوعي العشرين بامكان تحقق الاشتراكية بواسطة النضال البرلماني .

وعلى الرغم من ذلك فاننا نجد هنا وهناك تأكيدات على ضرورة استعمال العنف لتحقيق الانقلاب العربي المنشود . اما مبرر العنف فنابع من نوعية القضية التـــي يناضل الثوريون من اجلها ، ومن تعنت الحكومات والفئات الرجعية الحاكمة (١) . «فالمسألة الآن هي احياء عشرات الملايين من افراد الشعب العربي ، ولو اقتضى الامر موت عشرات او مئات الاقطاعيين العرب» (٢) .

وما دامت الاشتراكية العربية لن تكون الا انقلابيةفي فكرتها، ثورية في أسلوبها، كما يقول ميشيل عفلق ، فانها لن تكون الا اشتراكية العنف ، اشتراكية الثورة .

٤ ـ الاشتراكية العربية والحرية

بينت فيما مضى ، ان البعثيين اعتبروا الاشتراكية الوجه الاقتصادي الاجتماعي للحرية ، فكيف جمع البعثيون بين الاشتراكية التي اعتبروها مذهبا اقتصاديـــا والحرية التي اعتبروها هدف الثورة الاول والاخير ؟...

لقد حاولوا ذلك عن طريقين :

الاول : هو فصل النظام السياسي عن النظام الاقتصادي ، واختيار النظام البرلماني الديمقراطي مذهبا في الحكم .

والثاني : هو محاولة الغاء الاستغلال ، وتحديد الملكية مع اعتبار « الحريـــة الفردية » مقدسة .

ولقد تحدثنا ، فيما مضى ، عن موقفهم السياسي من الحرية ، وتحدثنا عن نظرتهم الاشتراكية . اما محاولة التوفيق هذه فسنوجز الحديث عنها فيما يلي :

اولا : لقد رفض البعثيون الرأسمالية ، ورفضوا الشيوعية ، على اساس انهم ما رفضوا صنم الرأسمالية ليقيموا صنم المجتمع مكانه (٣) .

ثانيا : لقد نقم البعثيون على النظام الرأسمالي لاستغلاله ، ونقموا على الشيوعية لقضائها على «الحرية الفردية» ، ولكنهم لم يقدموا بديلا شاملا ، وقد وجدت في كتابات ميشيل عفلق محاولة لايضاح هذه الناحية اقدّمها القراء :

---

١ ـ دراسات في الاشتراكية ـ لمجموعة من المفكرين ـ المقدمة صفحة ١٣ .

٢ ـ ميشيل عفلق ـ دراسات في الاشتراكية ـ لمجموعة من المفكرين ـ صفحة ٣٥ : الاشتراكية العربية تحدد بالنسبة الى اهداف النهضة العربية .

٣ ـ دراسات في الاشتراكية ـ لمجموعة من المفكرين ـ صفحة ٢٤ .

يقول ميشيل عفلق : «ليست الرأسمالية فلسفة انما هي واقع : انها تنازل الانسان وتراجعه امام الاشياء التي خلقها ، والتي ابدعها وأنتجها . واذا فهم من الرأسمالية التسليم بالحرية التي لا حد لها للتملك الفردي ، ولما ينتج عنه من نتائج ، وان هذه الحرية بهذا الشكل مقدسة ، لا يجوز للانسان او للمجتمع او للدولة ان تمسها او تعرقل سير نظامها ، فهذه نظرة لا يوجد اليوم من يدافع عنها ، حتى في الدول الرأسمالية ذاتها ، اذ ان هذه الدول او المجتمعات الرأسمالية نفسها اخذت تعترف اخيرا بأن التملك الفردي المطلق من كل قيد ، ليس مقدسا ، ولا يعطي دوما النتائج الصحيحة ، ولا ينسجم دوما مع المصالح العامة ، وانه لا بد من تدخل الدولة ومن ان يحسب لمصلحة المجتمع . اما اذا فهم من الرأسمالية ما يريد البعض ان يفهمه ، بانها هي النقيض لنظام لا يعترف بحرية الافراد المطلقة ، عندها يظهر في هذه النظرة شيء من الايجابية .

والواقع ان هذه ليست الرأسمالية بل الاشتراكية التي ننادي بها نحن ، والتي تنادي بها شعوب كثيرة ، اشتراكية حية واقعية غير مصطنعة ، لا تريد ان تبدل مرضا بمرض ، ولا تريد ان تقضي على صنم الرأسمالية لتقيم مقابله صنم المجتمع الذي يستعبد الافراد ، ويقتل فيهم الاندفاعات الخيرة ، فهذه هي الاشتراكية ، الاشتراكية التي تعتبر الانسان ، كما قلنا ، القيمة العليا ، وانه يبقى دائما مسيطرا على الاشياء التي خلقها ، وانه بالتالي يجب ان توجد تلك الصفة الحقيقية الحية الحكيمة التي تقضي على الاستغلال بكل أشكاله دون ان تقتل حرية الافراد» (١) .

اما الدكتور وهيب الغانم ، فقد كان اكثر وضوحا عندما عالج هذه الناحية . يقول الدكتور وهيب : «ان اشتراكيتنا تحرير للاغنياء من التخمة ، وتحرير للفقراء من العوز ، وخلق انسجام بين حرية الفرد ونمو المجتمع . انها حررت الفرد من ان يكون موظفا لدى رأس المال ، وحررته من ان يكون موظفا لدى الدولة ، وخلقت منه كائنا حرا مبدعا ، ولم تقيد حريته ، وانما جعلت منه شيئا منسجما مع حرية بلاده ومع الحرية الانسانية كلها .. الخ» .

ثم يقول : «ان النظام الديمقراطي البرلماني ، هو الصورة المثالية ، التي تحقق حرية الفرد في تنظيم شئون بلاده العامة ومن البديهي ان نظام الجمهورية شيء لا ينفصل عن الديمقراطية ، لان حرية تبديل الرئيس امر اساسي في استكمال الحرية السياسية لدى الشعب والضمان على التطور والتقدم» (٢) .

ولكن هل هنالك امكانية الجمع بين الاشتراكية والديمقراطية البرلمانية ؟ وكيف استطاع البعثيون ان يجمعوا بينهما ؟ هذا ما لم يجبنا عليه البعثيون .

---

١ ــ دراسات في الاشتراكية ــ لمجموعة من المفكرين .

٢ ــ دراسات في الاشتراكية ــ لمجموعة من المفكرين ــ الاشتراكية والحرية الانسانية، ص١٥٧ــ١٥٨ .

٥ ـ الاشتراكية العربية والملك والارث

تقول المادة (٣٤) من دستور حزب البعث العربي الاشتراكي : «التملك والارث حقان طبيعيان ومصونان في حدود المصلحة القومية » . وهذه المادة على وضوحها غامضة ، اذ ان التملك والارث حقان طبيعيان في حدود المصلحة القومية ، كما نراها ، اي دون تحديد ، وهذا قد يجعل الارث حقا . وقد يلغيه حسب تقدير المصلحة القومية . غير ان هناك احاديث لميشيل عفلق ، توضح لنا موقف البعثيين من الملك والارث . ففي محاولة تحديد الفروق العملية بين الشيوعية والاشتراكية العربية ، كان الفرق الاول هو : «الاشتراكية الشيوعية ذهبت الى حد بعيد من التجريد فقضت على حق الملك وبذلك قضت على الدوافع الذاتية الغريزية في الفرد ، اما اشتراكية البعث فتعتبر ان اغزر قوة في الامة ، تكمن في الدوافع الذاتية للافراد . لذلك ابقت على حق الملك لكنها حددته بقيود ثقيلة تزيل المحاذير التي تنشأ عنه » (١) .

وقد قرر مثل هذا الكلام سنة ١٩٥٧ في رد على سؤال عن «موقف البعث من حق التملك والارث» (٢) . ويتبين ايضا ان الموقف الاساسي من هاتين القضيتين ينبثق من المبدأ الاشتراكي العام الذي ينص على «منع استغلال جهد الآخرين» وايضا «عدم السماح للفرد باساءة استعمال ثروة الوطن» (٣) . ولذلك فالملكية المسموحة هي تلك التي يستطيع صاحبها استثمارها بجهده الشخصي وجهد عائلته ، وذلك واضح من مواد الدستور الاقتصادية . وكذلك بالنسبة للأرث فهو مسموح بالنسبة لتلك الملكيات الفردية المسموح بها ـ كأن يرث الابن نفس بيت السكن الذي كان يملكه والده «حتى يبقي على الجو النفساني الذي الفه الانسان ، وعلى روابطه العاطفية » (٤) .

ي ـ تناقضات التفكير الاشتراكي عند البعثيين

وقع البعثيون في تناقضات ثلاثة ، ولكنها اساسية هامة :

الاول : اعتبر البعثيون انفسهم «اشتراكيين انقلابيين» وان طريقهم طريق النضال والانقلاب ، وليس طريق التطور البطيء والاصلاح الجزئي ، ولكنهم في الوقت ذاته طرحوا (منهجا سياسيا) ، من ميزاته الاساسية التطور البطيء والاصلاح

---

١ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ صفحة ٩٨ ـ كتب المقال سنة ١٩٥٠ .
٢ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ صفحة ٢٣٤ .
٣ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ ص ٩٨ .
٤ ـ ميشيل عفلق ـ في سبيل البعث ـ ص ٢٣٥ .

الجزئي . فاذا كان النظام الاقتصادي المطروح اشتراكيا ، واذا كان سبيل تحقيقه ثوريا ، فان نظام الحكم السياسي اصلاحي ، انه النظام البرلماني التقليدي ، مؤسسة التطور البطيء والاصلاح الجزئي .

وقد جعل مثل هذا الازدواج ، حزب البعث العربي الاشتراكي بعيدا عن الديمقراطية التي بحث عنها ، بعيدا عن الاشتراكية التي التزم بها ، ذلك ان التزام النظام البرلماني يعطل البرنامج الاشتراكي ، والتزام التفكير الاشتراكي يعطل النظام البرلماني . قد تستطيع اغلبية ثورية عن طريق البرلمان اجراء تغييرات كبيرة في المجتمع ، ولكنها تغييرات لن تكون جذرية وتحتاج الى وقت طويل ونضال شاق وتماسك وطيد وهذا الاسلوب ليس انقلابيا اشتراكيا . ان الاسلوب الانقلابي الاشتراكي هو طريق الثورة الشعبية الاشتراكية التي تحقق بواسطة المنظمات الثورية ما لا يستطيع البرلمان تحقيقه بواسطة اعضائه مهما كانت نوعياتهم .

الثاني : جعل البعثيون «الحرية مقدسة» (١) كما بينت ، وهذا بالطبع يتناقض مع دعوة ثورية اشتراكية تلتزم الدعوة لتغيير جذري في المجتمع . ان البعثيين يطرحون شكلا من التنظيم الاشتراكي ويطالبون بتحقيقه ولو بالعنف . وبما ان التنظيم الاشتراكي ، لا يتم فجأة ، ولا عندما يقضي على عدد من الاقطاعيين ، فان طرح شعار الحرية الفردية ، واعتبارها مقدسة ، لا يدل على خطأ في فهم معنى التنظيم الاشتراكي ، بل يدل على جهل بما تعنيه الاشتراكية من تطور جذري وحاسم ، يحتاج الى مدى من الزمن ، وقساوة وتفان ، و«اعتداء» على «الحريات التقليدية» . ان عقلية مئات الاجيال ، لا يمكن ان تتلاشى في ايام ، كما ان هذه «العقلية الفردية» لا يمكن ان تتاح لها الفرصة لكي تنشط لان السماح لها بالنشاط يعني القضاء على «الاشتراكية» .

ثم ان البعثيين لم يثيروا مشكلة مرحلة الانتقال ، التي لا بد ان يسودها نوع من الحذر والارهاب ، ولم يثيروا مسألة «الحرية» في المرحلة التي تليها . وطبيعي ان تكون الحرية بعد مرحلة الانتقال في المجتمع الاشتراكي غير الحرية في المجتمع الرأسمالي ، فهي في الاول حرية ابداع وتكاتف ، وهي في الثاني حرية صراع وتنافس .

الثالث : قرن البعثيون الاشتراكيون الملكية «بالحافز الذاتي» مع ان الاشتراكية ضمنيا تفصل بينهما . الرأسمالية هي التي تقرن الملكية بالحافز الذاتي ، لانها تريد ان تبرر وجودها ، اما الاشتراكية فانها وهذا المفهوم على طرفي نقيض . الاشتراكية تفصل بينهما ، وتجعل الملكية وسيلة قد تلغى نهائيا لمصلحة المجتمع وقد يبقى القليل منها لمصلحة المجتمع ولكن ذهابها وبقاءها لا يعنيان شيئا بالنسبة للمجتمع غير

---

١ ــ وان كان المبدأ الثاني في الدستور يورد ما يلي : «ويتناسب انبعاثها (الامة العربية) دوما مع نمو حرية الفرد ومدى الانسجام بين تطوره وبين المصلحة القومية» .

حريته وازدهاره .

وقد وقع البعثيون هنا في خطأ شنيع ، فالملاك هم أقل الناس فعالية ، ففي المجتمع الرأسمالي المتقدم ـ لنأخذ بريطانيا مثلا ـ يكون الفلاح صاحب فعالية محدودة ، وفي المجتمع الرأسمالي المتأخر ـ كما هي الحال في البلاد العربية ـ يكون ايضا صاحب فعالية محدودة جدا . ان اصحاب الفعاليات الاجتماعية النشيطة أناس لا يملكون ، علماء ، أدباء ، طلاب ، عمال ، مهندسون وموظفون ... الخ . الحافز الذاتي شيء ، والملكية شيء آخر . الاول طاقة انسانية تتوافر اولا حسب شروط نفسية معينة ، اما الملكية فمن بقايا همجية عصر الزراعة الاول . وفي الماضي كانت الملكية عزيزة ، لانها وسيلة الحياة والكرامة ، وما زال المثل الشعبي يقول : «الانسان يسوى قد ما عنده» (اي ان الانسان يساوي مقدار ما عنده) . ويصح هذا في مجتمع لا يأكل الانسان فيه اذا لم يملك ، فالذين لا يملكون لا يضمنون عملا يسد حاجتهم . اما في المجتمع الاشتراكي فالطمأنينة والحياة يضمنهما المجتمع للانسان.

المجتمع الاشتراكي هو الذي يوفر للانسان الكرامة ، ويقيه شر الصدفة ، ويفتح امامه كل مجالات الخلق والابداع . ان يملك الانسان في المجتمع الرأسمالي ضمانة، ولكن المجتمع الاشتراكي يحرر الانسان من صك الخوف هذا .

القضية ليست في ان أملك ، فان يملك الانسان ليس شيئا ، القضية هي ان لا أجوع ، ان اجد الطمأنينة والكرامة ، ان يتاح أمامي مجال العمل لاعطي ما عندي، وكل نظرة غير هذه ، ليست اشتراكية .

القسم الثاني : التنظيم في حزب البعث العربي الاشتراكي

١ ـ تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي

تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي قومية ، وتقول المادة الاولى من المبادىء العامة في الدستور :

« (حزب البعث العربي الاشتراكي) حزب عربي شامل ، تؤسس له فروع في سائر الاقطار العربية ، وهو لا يعالج السياسة القطرية الا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا» . وقد اعتبرت دمشق مركز الحزب (المبادىء العامة ـ المادة ٢) على ان ينتقل الى اية «مدينة اخرى اذا اقتضت ذلك المصلحة القومية» . وهذا ما تحقق فعلا منذ سنة ١٩٥٩ عندما انتقلت قيادة الحزب القومية الى بيروت، وما زالت هناك.

اذا بدأنا من الاعلى نجد على رأس الحزب قيادة قومية ، وتمثل هذه القيادة اقطار الحزب وفروعه وشعبه وفرقه ، وتنتخب في مؤتمر قومي يمثل الحزب كله ، تأتي بعد القيادة القومية القيادات القطرية ، وهي قيادات الحزب في البلاد العربية

التي نما فيها الحزب نموا كبيرا ، كالاردن والعراق ولبنان وسورية قبل الوحدة ، وتلي هذه قيادات الفروع فالشعب فالفرق . فاذا اخذنا بمبادىء النظام الداخلي، كانت الفرقة اصغر وحدة في الحزب وتنقسم الى عدد من الحلقات ، يرأس كل منها امين سر .

ينتخب امين سر الحلقة اما عن طريق انتخاب قيادة للفرقة او عن طريق انتخاب مباشر ، تنتخب فيه الحلقة امينها . وقد اتبعت هذه الطريقة في سنوات الضغط والارهاب حيث كان يتعذر جمع عدد كبير من الحزبيين خشية انفضاح سرهم . وتنتخب قيادة الشعبة ، من مجلس الشعبة الممثل لقيادات الفرق ، وتنتخب قيادة الفرع من مجلس الفرع الممثل لقيادات الشعب ؛ وتنتخب القيادة القطرية من المجلس القطري الممثل لقيادات الفروع . ترأس القيادة القومية جميع القيادات القطرية ، وقيادات الفروع ، والشعب والفرق في البلاد التي لم يصل فيها الحزب اعلى من مستوى الفرع والشعبة والفرقة .

وحدد النظام الداخلي لكل قيادة من هذه القيادات صلاحياتها تحديدا واضحا وافيا .

٢ ـ فكرة التنظيم في حزب البعث العربي الاشتراكي

تنبثق فكرة التنظيم في حزب البعث العربي الاشتراكي من معطيين :

الاول : ويتلخص في ان «الحزبيين» هم الادوات الحية «للانقلاب الاشتراكي الثوري » .

الثاني : ويتلخص في ان الحزب هو منظمة الثورة القومية الاشتراكية . ولذلك فلقد كان هنالك تركيز على :

١ ـ ضرورة اعداد الحزبي المناضل الواعي .

٢ ـ ضرورة خلق المنظمة الثورية الفاعلة . ولما كان الهدفان مترابطين ، فسنتحدث عنهما معا .

تفحص البعثيون الاوضاع العربية فوجدوا ان لا سبيل الى النهضة غير الانقلاب الجذري الشامل . والانقلاب الجذري الشامل لا يمكن ان يتحقق بغير « حزب الانقلاب» . وعلى حزب الانقلاب هذا ان يكون «أمة صغيرة للأمة الصافية السليمة» وان «يتحقق فيه ، في اخلاق اعضائه ، كل الفضائل التي يبغون خلقها في المجتمع المقبل» . ولما كان النضال هو التعبير العملي للانقلاب فان النضال يصبح غاية لا وسيلة لاننا به فقط «نستحق سمونا استحقاقا كريما» ومثل هذا «النضال هو المصنع للادوات الانقلابية الامينة الوفية التي ينظمها ويقودها ويضمها الحزب» . وهذا الحزب لا يستطيع ان يقوم بمهمته ، «الا باتباع اسلوب صارم شديد ، يضمن له وحدة الاتجاه وتماسك العمل وقوته» .

وتتلخص صفات جيل الانقلاب في ثلاث :

١ ــ الوعي للشروط التاريخية ، والاجتماعية ، ولماذا كان هذا التحـــول ضروريا للأمة .

٢ ــ الاخلاق ، ان عليه ان يكون في الطليعة وأن يخرج من العدد المنفعـــل المستسلم للاوضاع .

٣ ــ الايمان ، اي لا يكفي ان يكون فاهما لضرورة التحول ومقدرا لمسئوليته ، بل يؤمن بأن القدر والتاريخ وكل الظروف مهيأة لنجاح هذا الانقلاب (١) .

هذا موجز لفكرة التنظيم في حزب البعث ، وهي فكرة واضحة ، ولكن انسجامها عمليا مع متطلبات الانقلاب كان دون المستوى المطلوب .

أوجد حزب البعث هذا تيارا نفسيا يجب الا تغفل قيمته فهو :

اولا : ربط بين قضايا الوحدة والتحرر والاشتراكية فجعلها قضية واحدة .

ثانيا : طرح هذه القضايا وتبناها في صحفه ونشراته ، وناضل من اجلها نضالا لا ينسى .

ثالثا : طرح الفكرة القائلة بضرورة وجود «نظرية ثورية» للنضال القومي العربي.

رابعا : أوجد قاعدة حزبية ملتزمة بأهداف الامة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية .

خامسا : رفض طرق النضال التقليدية ، وطرح شعار الانقلاب الجذري .

وما زالت في عناصر قاعدته قوى هائلة ، ستلعب دورا هاما في وحدة الوطن العربي وتحريره واقامة المجتمع العربي الاشتراكي .

حزب البعث العربي الاشتراكي
وموقفه مـن الشيوعية

منذ نشوء حزب البعث العربي الاشتراكي ، وهو في صراع مع الاحـــزاب الشيوعية في البلاد العربية . ويرجع هذا لسببين متلازمين :

الاول : رفض البعثيين للنظرية الماركسية ، ولنظام الحكم في الاتحاد السوفياتي.

الثاني : موقفهم المعادي للاحزاب الشيوعية في الوطن العربي ، والناتج عن اقليميتها ، وارتباطها بسياسة الاتحاد السوفياتي . وقد حدد البعثيون موقفهم من الشيوعية على اساس ما يلي :

---

١ ــ ميشيل عفلق ــ في سبيل البعث : حزب الانقلاب ، ص ٩١ ، البعث العربي هو الانقلاب١٠١، علاقة التنظيم بالعمل الانقلابي ١١٦ ، التنظيم الانقلابي ١٢٦ ، من معاني الانقلاب ١٤٥ ، حول الانقلاب والقدر والحرية ١٥١ .

١ ــ الشيوعية غربية وغريبة عن كل ما هو عربي .
٢ ــ الشيوعية رسالة تنفي الرسالة العربية الخالدة .
٣ ــ الشيوعية تربط العرب بالعالم ربطا حزبيا خطرا .
٤ ــ الشيوعية معاكسة للنهضة العربية الحديثة (١) .

ولذلك اعتبر البعثيون ان بين الشيوعية وبينهم فروقا نظرية ، وفروقا عملية. اما الفروق النظرية فهي :

١ ــ ان الاشتراكية العربية مجرد تنظيم اقتصادي ، بينما الاشتراكية في النظام الشيوعي تخضع لاغراض واهداف مستمدة من النظام الشيوعي ، ومن النظرية المادية التاريخية .

٢ ــ الاشتراكية الشيوعية وليدة مجتمع معين له حاجاته وصفاته وظروفه الخاصة ، اما الاشتراكية العربية فنابعة من حاجات الوطن العربي وأوضاعه الخاصة.

٣ ــ تقوم الفلسفة الشيوعية على اساس من الايمان بالمادة ، وتفسر تطور التاريخ والمجتمعات بالعامل الاقتصادي ، اما فلسفة البعث العربي فلا تقر هذه النظرية المادية . بل تعتبر ان للعامل الفكري والروحي ايضا اثرا عظيما في تطور التاريخ وتقدم الانسانية .

٤ ــ الفلسفة الشيوعية لا تقيم كبير وزن للفرد ، فلا تحترمه بل تجيز قتل حريته لكونها مادية . ولأن المجموع في نظرها هو الاصل . وهذه النظرة تؤدي الى الدكتاتورية ، والى مجتمع آلي مادي فاقد للروح ، كما تؤدي الى اختلال التوازن بين الفرد والمجتمع وبين المجتمع العربي والمجتمعات الاخرى .

اما اشتراكيتنا فتعتمد على الفرد ، وتحرر شخصيته ، فلا تجيز قتل الحرية الشخصية ، وهي تعتبر الافراد كلهم متساوين ، وانه لا مجال لقيام دكتاتورية مستبدة . اما الفروق العملية فهي :

١ ــ الشيوعية تلغي الملك ولكن الاشتراكية العربية تبقيه في حدود ضيقة تزيل محاذيره .

٢ ــ الشيوعية لا تعترف بحق الارث بينما تعترف به الاشتراكية العربية ، وان كانت تضع عليه قيودا تبقيه رمزيا او شبه نظري .

وينبع هذا التفريق من ربط الملك بالدوافع الذاتية واعتبار ان في «الدوافع الذاتية للافراد اغزر قوى الامة» (٢) هذا الموقف النظري الذي التزمه البعثيون من الشيوعية وهو لا يختلف عن مواقف كل الاشتراكيين الديمقراطيين ويلتقي في بعض

---

١ ــ ميشيل عفلق ــ في سبيل البعث ــ صفحة ٧١ ــ ٧٥ . مقال موقفنا من النظرية الشيوعية كتب سنة ١٩٤٤ وطبع في كراس .

٢ ــ ميشيل عفلق ــ في سبيل البعث ــ بين اشتراكيتنا والشيوعية والاشتراكية الوطنية ، صفحة ٩٦ ــ ١٠٠ كتب سنة ١٩٥٠ وطبع في كراس .

نقاطه مع «الدعاية البرجوازية». وتجلى هذا الموقف النظري اكثر وضوحا في مآخذ البعثيين على الشيوعية ، فهي تتمة للنقد الذي واجهوا به الماركسية اللينينية ، والمآخذ ثلاثة :

١ ــ الفلسفة الماركسية تقوم على قوانين اقتصادية «اصبحت اليوم غير قادرة على الصمود بوجه النقد العلمي الصحيح» .

٢ ــ قد تخلت روسيا عن النهج النظري للثورة العالمية واصبحت دولة ذات اطماح.

٣ ــ الحزب الشيوعي هدام لسببين :

أ ــ لانه يسعى لربط العرب بروسيا .

ب ــ لان دعوته أممية لا قومية (١) .

* * *

صحب هذا النقد موقف عدائي محموم متبادل . كما بينت ، ولم يكن هذا العداء يسمح بمناقشة جدية ، ولذلك فقد انصب تفكير البعثيين على هدفين :

الاول : كشف اخطاء النظرية الشيوعية ، والاتحاد السوفياتي ، على اساس ان الشيوعية تلغي القومية ، والحرية والدين ، وان البعثيين المدافعون الحقيقيون عنهـا .

الثاني : كشف اخطاء الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية ، وكانت هنالك مادة غزيرة للحديث عن اخطائهم . وخلال السنوات الثلاث التي تلت سنة ١٩٥٥ ، حدثت تغييرات هامة في موقف الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية من الفكرة القومية العربية ومن النضال في سبيل الوحدة ، كما حدثت تغييرات في السياسة العربية للاتحاد السوفياتي . وقد حدث تعاون بين البعثيين والشيوعيين في سورية والاردن خلال الحكم القومي في سورية والوطني في الاردن ، ولكنه كان تعاونا شكليا ، لم يغير من نظرة البعثيين للشيوعيين او الشيوعيين للبعثيين . وظل العداء ، وظل التناحر ، يسودان علاقاتهما .

اما الاتحاد السوفياتي فقد نظر البعثيون الى سياسته من مستويين :

الاول : ان سياسة العرب التحررية ، سياسة عبد الناصر ، وجماهير الشعب العربي ، هي التي املت على الاتحاد السوفياتي مواقفه تجاه العرب .

والثاني : ان مواقف الاتحاد السوفياتي المشرفة من القضايا العربية كانت مجرد « عمل مصلحي » .

وكان المستوى الثاني هو الغالب على قاعدة الحزب ، لان القاعدة خشيت ان تكسب الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية نفوذا شعبيا نتيجة لهذه المواقف ،

---

١ ــ ميشيل عفلق ــ في سبيل البعث ــ صفحة ٩٨ ــ ٩٩ ــ مآخذ على الشيوعية .

فحاولت ان تجعل العلاقة مصلحية بحتة ، ليظهر الاتحاد السوفياتي امام جماهير الشعب بمظهر الدولة ذات المصالح والاطماع بالمعنى التقليدي ، ولما كان هذا لا يكفي، فان البعثيين حاولوا التفريق بين التعامل مع الاتحاد السوفياتي كدولة ، وبين الشيوعية العالمية والشيوعية المحلية . الا ان هذه المحاولة كانت تفشل عندما يناصر الاتحاد السوفياتي وتناصر الدول الاشتراكية الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية، وكثيرا ما حدث هذا .

وفي أواخر سنة ١٩٥٨ وأوائل سنة ١٩٥٩ حدث أعنف اصطدام بين البعثيين والشيوعيين في العراق ، حين حاول الشيوعيون ضرب الفئات القومية لمنع وحدة العراق والجمهورية ، ولتمهيد الطريق للحكم . وقد تحولت هذه المعركة المحلية الى معركة دعائية بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفياتي .

وترجع الخلافات كلها الى سببين :

الاول : خلاف في النظرة ، فالبعثيون يتبنون فكرة الارادة الشعبية والتمثيل الشعبي الحر بمعناهما «الديمقراطي الغربي» . ونظرة من هذا النوع تجعل النظام في الاتحاد السوفياتي عبودية . وتجعل العلاقة بين الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية استعمارا ، كالعلاقة بيننا وبين بريطانيا .

والثاني : اخطاء الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية وهي اخطـــاء كثيرة ، ذكرتها فيما مضى . هذه الاخطاء التي جعلت البعثيين ينظرون الى الشيوعية على انها معاكسة للحركة القومية العربية ، ومعادية للتاريخ العربي وأنها حركة شعوبية هدامـــة .

حزب البعث العربي الاشتراكي
وتجربة عبد الناصر الثورية

بينت ــ فيما مضى ــ المراحل التي مرت بها ثورة مصر ، وسأحاول ان أبين مواقف البعثيين من هذه الثورة خلال أعوامها العشرة .

١ ــ المرحلة الاولى : من سنة ١٩٥٢ ــ ١٩٥٤ وقد قاوم البعثيون الثـــورة معتبرين انها انقلاب عسكري كالانقلابات العسكرية في سورية ، وهذا ما ذكرناه خلال حديثنا عن الثورة في الفصول السابقة من الكتاب .

٢ ــ المرحلة الثانية : من أواخر سنة ١٩٥٤ الى أواخر ١٩٥٦ ، وكان موقف البعثيين المبدئي منها يتلخص في انها ثورة تقدمية وليست انقلابية مبرر وجودها عدم وجود حزب ثوري في مصر . يقول ميشيل عفلق :

«ولو كان حزبنا منتشرا في مصر بنسبة انتشاره في سورية او في الاردن ، لكنا حتما من أشد مقاومي الحكم العسكري القائم هناك ، لاننا نعتبر ان هـــذا الحكم بالرغم مما يقوم به من خطوات تقدمية ، وما يؤديه للشعب من خدمات يزيف

الانقلاب الشعبي المنتظر ...» (١) .

انها ثورة شعبية قام بها ضباط من ابناء الشعب الذين احسوا احساسا حادا بآلامه ، ولكنها ثورة عسكرية ، وهي لهذا السبب لا تستطيع ان تحقق الانقلاب ، فالانقلاب لا يتحقق بغير نضال الشعب . وهي ثورة تقدم انجازات تقدمية ، ولكنها تظل غير قادرة على الخروج من نطاق الاوضاع الاقليمية ، وان كانت قد اعلنت عروبة مصر . هذا بالاضافة الى انها لم تقضِ على الاقطاعية تماما ، ولم «تمس الرأسمالية باذى » .

شهدت هذه المرحلة احداثا هامة جعلت الجماهير العربية تشرئب بأعناقها نحو مصر ونحو عبد الناصر . وكان الحزبيون من جملة المهللين المصفقين ، بل اكثرهم اندفاعا وأشدهم حماسة .

٣ ــ المرحلة الثالثة : من نهاية ١٩٥٥ الى بداية ١٩٥٩ ، اكسب العدوان الاستعماري على مصر سنة ١٩٥٦ جمال عبد الناصر صفة القائد العربي الذي لا ينازع ، واصبح البعثيون ــ مثل جميع فئات الشعب الاخرى حتى الشيوعيين ــ مناصريه ودعاته . وعندما تحققت الوحدة بين سورية ومصر وقف ميشيل عفلق امام مجلس الحزب القطري في سورية ليقرر ان الحزب والثورة في مصر قد التقيا على الرغم من اختلاف البدايات على صعيد الوعي والفكرة والعقيدة .

٤ ــ المرحلة الرابعة : بعد سنة ١٩٥٩ ، بدأت العلاقات تفتر نتيجة لمواقف الجمهورية من الحزب . وقد تحدثنا عن هذا فيما مضى .

ويؤخذ على البعثيين في هذا المجال ايضا ما يؤخذ عليهم عادة ، وهو انهم لم يدعموا مواقفهم هذه بدراسات نظرية تجعلها عقائدية .

* * *

حركة البعث حركة عربية ثورية أصيلة ، حاولت ان تعيد للأمة وحدتها وثقتها بنفسها ، وان تفجر في الجماهير العربية كل طاقاتها الثورية ، ولكنها طرحت الشعارات دون ان تقدم المحتوى كاملا ..

---

١ ــ من حديث للاستاذ ميشيل عفلق بشعبة بيروت حول الوضع في مصر القي في شباط سنة ١٩٥٦ ووزع على حلقات الحزب .

تجربة الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية

مرت الحركة الشيوعية بالظروف التي مرت بها الحركة القومية ، ذلك انها حركة مثقفين تلقت التأثيرات الفكرية من اوروبا كما تلقاها القوميون ، فتحولت الى حركة «برلمانية» . لم يكن الشيوعي العربي يأخذ قدوته من الاتحاد السوفياتي او الصين . بل كان يأخذها من اوروبا ومن فرنسا بالذات . والشيوعي الاوروبي عامة. والفرنسي خاصة شيوعي «مدجن» ، استطاعت البرجوازية ان تقنعه بأن يدور في حلقة البرلمان المفرغة . لهذا لم يكن الشيوعي ثوريا ، ولهذا كان الفرق بينه وبين البعثي ليس في نوع الثورية بل في الشعارات . ولهذا ايضا كانت الحركة الشيوعية بعيدة عن جو الثورة العربية . ومعاكسة لها باتجاهها .

ويرجع ذلك الى ما يلي :

اولا : تبنت الحركة الشيوعية الحدود الاقليمية المصطنعة . وحاولت ان تجعل منها حدود قوميات وامم . وكانت تفسر ذلك تفسيرا عشوائيا ، تعود به احيانا الى نظرية ستالين في القومية . ولم تستطع ان تفهم معنى الحركة القومية العربية .

ثانيا : وقعت الحركة الشيوعية الناشئة تحت تاثير تيارات سياسية مختلفة . من الشرق والغرب وكانت هذه التيارات تدفعها الى مواقف مسرحية متناقضة .

ثالثا : اعتبر الشيوعيون انفسهم فصائل من جيوش معسكر السلم والاشتراكية «الاتحاد السوفياتي» وقاموا بواجبهم خير قيام ، فركزوا كل اهتمامهم على مقاومة الاستعمار والاحلاف الاستعمارية . ولم يكن هذا متعارضا مع اهداف العرب القومية ، فهو من صميم نضالهم . ولكن هذه المقاومة كانت اشبه ما تكون بعمل الفصائل التخريبي . وتبدو سلبية هذا العمل ، على المستوى القومي العربي ، اذا عرفنا نوع الشعارات التي طرحها الشيوعيون خلال تاريخهم الطويل في وطننا ، انها شعارات لا يمكن ان توصف «بالثورية» . وقد تحدثنا عنها فيما مضى فلن نعود اليها .

رابعا : تحولت الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية الى حلقات للدفاع الفج

عن الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، والترويج لانتصاراتها ، والتستر على اخطائها ، ولم تكن تقبل النقد أو تعمل من اجل ثقافة ثورية اشتراكية .

خامسا : تحولت الشيوعية في البلاد العربية الى دعوة سياسية غير ثورية ، تقاوم الرجعية والاستعمار بالمنشور والمظاهرة ، وتناضل من اجل تحرير الشعب عن طريق البرلمان ، وعن طريق المطالبة بالحريات السياسية ، وحرية التنظيم النقابي وضمان حرية الصحافة ... الخ ، ولهذا لم تقم خلاياها بدور يستحق الذكر في الثورات الوطنية ، ولهذا استنكر الشيوعيون في الجزائر ثورة الجزائر بادىء ذي بدء ...

سادسا : تعمد الشيوعيون ان يثيروا ضجة مصطنعة حولهم ، وكانت الضجة وسيلة لستر العجز الذي ابتلوا به ، نتيجة انحصارهم في اوساط المثقفين، وتقربهم الى الاوساط البرجوازية دون ان يعملوا من اجل اقامة قواعد في الاوساط الفلاحية (١) .

لقد ظلت الحركة الشيوعية بلا جذور ، قاومت الاستعمار وقدم اعضاؤها تضحيات كبيرة ، ولكنها تضحيات كانت محدودة الاثر ، لان مهمتها كانت محددة: «مقاومة مشاريع الاستعمار» ضمن مخطط سياسي مرتبط بالشيوعية الدولية.

وتعتبر الحركة الشيوعية مسؤولة عن عزلتها ، مسؤولة عن انكماش القوميين عن الماركسية اللينينية ، ذلك ان اساليبها في العمل السياسي ومواقفها المعادية من الحركة القومية العربية اوجدت في الحركة القومية عقدة الخوف من الماركسية اللينينية والتنكر لها . وزادت من هذه العزلة ، وهذا التنكر ، احداث العراق في عهد قاسم والوحشية التي اظهرها الشيوعيون .

فهل يفكر الشيوعيون في الطريقة التي تعيدهم الى مجرى الثورة العربية ؟...

---

١ ـ خالد بكداش ـ انتفاضة الشعب العراقي ـ سنة ١٩٤٨ ، وحزب العمال والفلاحين ـ خالد بكداش .

عبد الناصر في تجربته الثورية

السباق مع الزمن

« اننا نريدكم ايضا ان تعرفوا ان هناك سباقا بيننا وبين الزمن ، ويتعين علينا ان نسبق الزمن ، ولا وقت لدينا نضيعه ، ولا فرصة امامنا نبعثرها .

يجب ان نبني ، ونبني ، ونبني .

نبني لنعوض الماضي ، ونبني لنواجه الحاضر ، ونبني لا لنلحق بالمستقبل فحسب ، وانما لكي نسبق هذا المستقبل » .

«جمال عبد الناصر»

من بين جميع الانقلابات العسكرية التي وقعت بعد الحرب العالمية الاولى ، وفي جميع انحاء العالم ، يقف انقلاب الثالث والعشرين من تموز سنة ١٩٥٢ وحيدا فريدا .

ذلك انه الانقلاب الوحيد الذي اصبح ثورة . لقد تفتح ضمن اشد الساعات عسرا ، واعطى مبادئه الستة معانيها ، ولكنه كثيرا ما انكمش ، وكثيرا ما تعثر على صخور الطريق ، فالعقبات صعبة وكثيرة .. الاقطاع ، الاحزاب ، راس المال ، الاستعمار ، الانتهازية .

وكان على «الانقلاب» في مصر ان يقابل الرجعية والاستعمار ، وان يقضي على الانتهازية المستشرية ، كان عليه ان يقاتل الحزبية التي تمزق الجماهير ، وكان عليه ان يحارب الحزبية التي تبعثر قواه .. صراع في الخارج مع قوى متعددة..وصراع في الداخل ، ضمن دائرة الانقلاب ، بين الانقلاب والقوى ذاتها .

وخلال لحظات الصراع هذه ، كان يقف متأملا وكأنه قد تعب ، او رضي بما وصل اليه ، ولكنه لا يلبث ان يندفع اندفاعة هائلة . وخلال لحظات الصراع هذه، كان يقف حائرا وكأنما قد ضل طريقه ، او يتمتم خلال لهاثه ، فلا تعرف منه نبرة مبادئه وصدقها ..

ولقد استطاع ان يتغلب على الاقطاع ، واستطاع ان يتغلب على الحزبية

المنحرفة . واستطاع ان يتغلب على الاستعمار ، واستطاع مع ذلك ان يجمد الصراع في داخله . وعندما وجد نفسه اخيرا وجها لوجه مع رأس المال لم يجد صعوبة في القضاء عليه . كان بعيدا عن الجماهير ، فأصبح قائدها ومفجر قواها .

ان الانقلاب الذي بدأ من مصر . وبستة شعارات لا تتعداها، اصبح ثورة عربية، تزداد كل يوم قوة ، وتزداد كل يوم عمقا وشمولا ووضوحا .

١ ـ عبد الناصر والثورة

في صبيحة الثالث والعشرين من تموز ، استولى نفر من العسكريين الشباب على مقاليد الحكم ، فانتقلت السلطة السياسية من ايدي الملك والرجعية ورأس المال الى ايد شابة .

ولكن من الذي سيحكم ..؟ كان العسكريون لا يؤمنون بقدرة الاحزاب على القيام بهذه المهمة ، اذ ان الاحزاب هي جزء من مشكلة مصر . مشكلة الذل والحرمان والانقسام . كما انهم كانوا لا يؤمنون بأن عليهم أن يحكموا . فهم طليعة كان واجبها ان تقتحم السور فقط ، ان تسحق السلطة السياسية القائمة ، لكي تتيح لجماهير الشعب الفرصة الكفيلة باقامة نظام ديمقراطي سليم .

ولهذا بحث رجال الثورة عن سياسي نظيف ، ليتحمل اعباء الحكم . فوجدوه، وكان علي ماهر الذي عرفوه عدوا للانكليز وعدوا للقصر .. وتسلم علي ماهر السلطة .. ولكن تفكيره لم يخرج من نطاق العرش والدستور والاحزاب .

وخلال المدة ذاتها قابل نفر من رجال الثورة فؤاد سراج الدين ، ليعرفوا موقف الاحزاب من مسالة تطهير صفوفها . وكانت نتيجة المقابلة أنهم احسوا بان الاحزاب «لن تبدل ولن تغير» . وزاد من هذه القناعة ان الاحزاب ، اخذت تسعى لتفرض على الثورة عودة الحياة الحزبية .

واستقالت حكومة علي ماهر احتجاجا على اعتقال عدد من السياسيين المحترفين، وكان يبدو في صفوف الثورة اتجاهان :

الاول : يقوده محمد نجيب على المستوى الشعبي وخالد محيي الدين . وعبد المنعم امين على مستوى الجيش ، ويريد ان يعود الجيش الى ثكناته ، وان تعود الحياة الديمقراطية التقليدية ، برلمان واحزاب ..

الثاني : يقوده جمال عبد الناصر ، ويسعى لان يقيم حكما قويا متماسكا يضمن بواسطته تحقيق الاصلاح السياسي والاجتماعي المنشود ، الذي يشكل ضمانة للديمقراطية السليمة .

وشق الاتجاه الثاني طريقه بصعوبة .. حتى ان اعماله احيانا كانت تبدو تعويقا للمسيرة الديمقراطية ، التي يقودها محمد نجيب . لقد ابعد اولا عبد المنعم امين

ورشاد مهنا من الجيش وبهذا لم تبق للاخوان المسلمين قوة ضاربة فيه.. واسقطت رتبة الصاغ احمد شوقي لانه طالب بعودة الجيش الى ثكناتـه . فكانت صفعـة للشيوعيين .. واعتقل عدد من الساسة المحترفين وحوكموا .

وقبل ان تمر على الثورة ستة اشهر ، الغي دستور سنة (١٩٢٣) الذي اعلـن محمد نجيب بان الثورة ستحافظ عليه .. وتوالت بعد ذلك الخطوات ، فحلـت الاحزاب في ١٦ كانون الثاني سنة (١٩٥٣) واعلنت مرحلة انتقـال لمـدة ثـلاث سنوات . وبعد اسبوع من صدور القرار السابق وبمناسبة مرور ستة اشهر على الثورة تكونت هيئة التحرير .. هذه الهيئة التي قامت لتقود قوى الشعب في اتجاه واحد نحو مستقبل افضل . وكان عبد الناصر رئيسا لها . وتبدو هيئة التحريـر الآن محاولة هدفت :

اولا : لتحرير جماهير الشعب من الزعامات التقليدية والساسة المحترفين ، والنزوع الحزبي .

ثانيا : لتوحيد جماهير الشعب وتنظيمها وقيادتها قيادة سليمة .

لقد كانت حكما باعدام كل المنظمات والاحزاب الاخرى ، ولـم يكن عبد الناصر يخفي ذلك فهو يقول في اجتماع لهيئة التحرير بشبرا الخيمة في ٢٠ كانون الاول سنة ١٩٥٣ : «استطيع ان أؤكد لكم اننا لم نثر لنتسلم الحكم ، بل كنا نبغي وفقـا لمخططنا في حال نجاح الثورة ان نعمل على اعادة الحياة البرلمانية . وذلك ليعـود رجال الدولة القادرون على حماية مصالح البلد الى الحكم .

ذلك كان مخططنا وقد نجحت الثورة ، وبدأنا تنفيذ القسم الاول من منهجنـا، اي عودة البرلمان المنحل . عندئذ اتصلنا بهؤلاء الرجال ، ولكن المساومات أثارتنـا، لقد طلبوا الينا التخلي عن مشروع الاصلاح الزراعي ، فتأكدنا عندئذ باننا اذا وافقنا مثل هؤلاء الساسة على مطالبهم ، فاننا نكون قد خرجنا على الاهداف التي وضعناها نصب اعيننا . لقد حاولنا العثور على رجل قادر على ان يحكم . واستدعينا علـي ماهر ، ولكننا فوجئنا بجمعية الملاكين العقاريين تطلب بصفاقة الابقاء على العبوديـة في المزارع ، والغاء مشروع الاصلاح الزراعي وبدأت الطلبات تتزايد .

لقد ثبت لدينا ان الشعب لا يستطيع ان يضع ثقته في مثل هؤلاء الاشخـاص، وان العهد الجديد ليس من الممكن اقامته بواسطة هؤلاء الساسة والحكام المحترفين.»

وعلى الرغم من ان هيئة من خمسين عضوا تألفت برئاسة علي ماهر لوضـع دستور .. وعلى الرغم من ان مجلس قيادة الثورة قد اعلن في شهر آذار (١٩٥٤) عن ان عمله سينتهي في ٢٣ تموز من السنة ذاتها .. وعلى الرغـم من كل ذلك .. فـان مهمة لجنة الدستور انتهت ، ومجلس قيادة الثورة عـاد لاعمالـه .. والاخوان المسلمين سعوا الـى حتفهم بظلفهم ، وخالد محيي الدين قام بمغامراته الاخيرة في الرابع والعشرين من تموز سنة ١٩٥٤ عندما حاول ان يستعمل سـلاح الخيالة لفرض عودة الحياة الديمقراطية ..

وفي السادس عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٤ غادر محمـد نجيب

قصر الرئاسة مستقيلا .. وهكذا صفت الثورة نفسها .

وكان عليها الآن ان تواجه قوى الاستعمار الذي قبل ان يرحل بعد ان قيد مصر باتفاقية ، وكان عليها ان تواجه احقاد الاحزاب وبقايا الحزبية ، وكان عليها ان تبدأ عملها البنائي ، في ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد .

لقد استمرت الثورة .. واستمر البناء ..

والجدير بالذكر ان المدة الواقعة بين الثالث والعشرين من تموز سنة ١٩٥٢ والسادس عشر من تشرين الثاني ١٩٥٤ لم تكن فترة تصفية فحسب .. لقد كان طابعها العام النزاع بين دعاة الديمقراطية التقليدية ودعاة العمل الثوري ، ولكنها في الحقيقة كانت فترة عمل ..

كان اول واكبر اعمال الثورة فيها قانون الاصلاح الزراعي ، وكان من اعمالها الكبار فيها انها انتصرت على نفسها ، وانتصرت على اعدائها .. وانها بالاضافة الى نشاطها السياسي ونشاطها الاجتماعي ، استطاعت ان تصل الى اتفاق مع القوات المحتلة للخروج من ارض مصر .

ولقد كنت في كل خطوة من هذه الخطى ، تكسب اعداء ، وتتعرف على اصدقاء .

فالغاء الاقطاع اكسبها عداء الكثيرين . والغاء الحزبية اكسبها عداء الكثيرين، والاتفاق البريطاني ـ المصري اكسبها عداء الكثيرين ..

اما الاتفاق فلقد اعتبر اهانة وذلا .. واذكر ان الجميع قابلوه بالسخط والاستنكار .. ولكن الساخطين والمستنكرين لم يفكروا لحظة في ان القبول بالاتفاق كان ضروريا لبدء عمل كبير ، وان الاتفاق لم يكن وثيقة ذل تربط مصر بالاستعمار، بل وثيقة تحرر ، كتب فيها ما لا نقبله ، ولكن ما ينفذ منها شيء واحد ، هو خروج قوات الاحتلال . انها خديعة حرب ، قبلها المحاربون واستنكرها الحزبيون وحملة الشعارات ..

وكان على الثورة ان تعمل في مثل هذا الجو المحموم ، ان تبني وتبني وتبني . الا انها وجدت نفسها امام قوة غازية لم تكن في الحسبان ، انها اسرائيل.. اسرائيل التي اكتشف جيش مصر ضعفه امامها من قبل ، والتي يكتشف ضعفه امامها للمرة الثانية بعد سنوات .

صحيح ان قيادته قد تغيرت ، ولكن اسلحته لم تكن كافية .

كانت الثورة تعمل من اجل ايجاد نظام سياسي سليم .

وكانت الثورة تعمل من اجل ايجاد نظام اجتماعي عادل .

اما اليوم فكان عليها لتحمي البناء السياسي والبناء الاجتماعي ، ولتدافع عن كرامة شعب تبني له ، كان عليها ان تعمل من اجل بناء جيش قوي .

وبدأت قصة الجيش ، حتى وكأنها قصة الثورة الوحيدة . ففي مثل هذا العصر لا كرامة لشعب لا يستطيع الدفاع عن نفسه . ولما كان الاستعمار لا يريد للثورة ان تبني وتبني وتبني ، وكان يخشى مما تحققه من القوة ، فلقد اضمر لها امرا ..

وعندما طرقت الثورة ابواب الغرب في طلب السلاح ، لم تجد جوابا يشفي الغليل . وانفتح باب الشرق ، باب واسع فسيح ، وكانت الثورة في هذا الوقت، قد كونت لنفسها شخصية دولية ، وخرجت على سياسة مناطق النفوذ ، فطبقتها لاول مرة في تجاوز سور «احتكار السلاح» عندما انتهت معركة الاستقلال كما يقول جمال عبد الناصر بدأت معركة تثبيت الاستقلال. وهي معركة واحدة بالطبع ، ليس الغاء الحزبية ، والاقطاع واخراج القوات الغازية ومحاولة زيادة الانتاج ، والتخطيط لبناء السد العالي ، والخروج من مناطق النفوذ ، وبناء الجيش القوي ، ليس كل هذه والملابسات التي رافقتها غير حلقات متشابكة من رواية طويلة ، هي رواية تحرير الشعب .

وبقدر ما كانت عجلة التحرير تزداد سرعة ، كانت الجماهير تزداد التفافا حولها، وكان الاستعمار وعملاؤه يجهرون لها بالنكير . وبدأت المساومات ، فالتهديد عن طريق اسرائيل ، فالضغط عن طريق احتكار السلاح ، فالحصار الاقتصادي .. فالعدوان .

لقد وضع العدوان الثورة امام نفسها ، وضعها امام جماهيرها وجنودها ، ووضعها امام اعدائها ومحاربيها ..

ولقد وحد العدوان جماهير الشعب في الوطن العربي ، ووحد الحكام الرجعيين فيه فاكتشفت ثورة مصر وجهها العربي المبين ، وتخطى ابناء مصر ، كما تخطى اخوتهم في كل قطر من اقطارهم ، الحدود الزائفة المصطنعة التي اقامها الاستعمار، وثبتها اعوانه ، فكان لقاء الدم والكفاح .

وزاد انتصار الجماهير العربية على العدوان ثقتها بنفسها ، وبقدرتها على مجابهة الاخطار ، ونمت بذرة الثقة التي زرعت يوم خرج عبد الناصر على احتكار السلاح، فاصبحت شجيرة باسقة تطاول السماء .

وعملت ثورة مصر على ان تتحقق الوحدة الوطنية داخل مصر ، في اطار اتحاد قومي يجمع كل «المواطنين» . ولم تقتصر هذه الكلمة على فئة دون فئة ، ولا على جماعة دون اخرى .

وعملت في النطاق العربي على ان تحقق وحدة وطنية ، لا تقتصر على جماهير الشعب بل تضم حكوماتها ، الرجعية منها والتقدمية . ولقد تحقق شكل من اشكال هذه الوحدة باتفاقات التعاون الثقافية والاقتصادية والعسكرية ، التي عقدت قبل وبعد العدوان بين مصر وسورية والاردن والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية . الا ان التناقضات داخل مصر وخارج مصر ، كانت اكثر واكبر من ان تجمع ، فانفرطت حلقة من حلقات السلسلة في الداخل ، عندما انتهز بعض السياسيين المحترفين والرجعية من ورائهم ، فرصة العدوان سنة (١٩٥٦) وطلبوا من عبد العناصر ان يتنازل ، والغرض من ذلك بالطبع ان تنتهي الثورة، لتعود الحياة السياسية التقليدية . وانفرطت حلقات العقد في الخارج عندما خرجت الاردن

وتبعتها السعودية عن مخطط السياسة العربية التحررية ، وانضمتا الى معسكر الامبريالية .

وعلى الرغم من ذلك فقد شعرت الثورة بان جماهير مصر التي واجهت العدوان موحدة . يجب ان تحافظ على وحدتها، وان تتاح لها في حدود هذه الوحدة الفرصة للمساهمة في عملية البناء ، فكان الاتحاد القومي، وكان برلمان سنة ١٩٥٧ الممثل له.

واعتقدت الثورة ان هذا «البرلمان» تعبير حر عن ارادة الشعب الحرة . ذلك انه جاء بعد ان قضي على الاقطاع ، وألغيت الحزبية . ورحل الاستعمار الى غير رجعة .. مدحورا مهزوما . ولكن الذي لا شك فيه هو ان الجماهير لم تكن قد تحررت نهائيا بعد .. فالاقطاعية كانت دائبة التحريض ضد الثورة . والرأسمالية التي كانت تشعر بانها مقيدة ، كانت دائبة التحريض ضد الثورة ..

فلو اضفنا الى ذلك كله «المحافظة» التي تحكم الريف . والانحلال الذي يحكم المدينة . عرفنا مقدار خطورة الوضع ، واكتشفنا صعوبة استمرار الثورة عن طريق برلمان تنتجه انتخابات حرة او غير حرة . الا ان البرلمان لم يكن غير فترة تدريبية، انتهت عندما تحققت الوحدة بين مصر وسورية في شباط سنة (١٩٥٨) .

ابتدأت بالوحدة مسؤوليات جسام ومشاكل عديدة ، فهي وان تكن قد تحققت بشكل سلمي ، عملية ثورية كبيرة جعلت الدعوة لوحدة وطنية مع «حراس التجزئة» غير منطقية ، لانها ثورة على التجزئة والعقلية التي تمثلها . والمصالح التي تختبىء وراءها .

ورافق الاتحاد القومي ميلاد هذه التجربة ، فكان «هيئة امم» كما يقول عبد الناصر ، انما هيئة لا تتعايش فئاتها كما اراد ، بل تضمر كل فئة منها ما وطنت نفسها عليه ، فالفئة المستغِلة حاولت ان تحافظ على استغلالها ، والانتهازية ان تزيد مكاسبها ، والرجعية ان تحفظ مراكزها وتدرك ثاراتها . ووجد الشعب نفسه مرة ثانية امام مستغليه وهم يلبسون اقنعة الوطنية ، فاحجم احجام الذي لا يرى في الاتحاد القومي ما توقع من الثورة .

زاد من حدة هذه التناقضات :

اولا : ان اجراءات الثورة الاقتصادية كانت تهدف دوما الى زيادة نطاق القطاع العام ، فقد تم تأميم بنك مصر وشركاته ، ثم اصبحت الصحف ملكا للاتحاد القومي، وتطور الامر في النهاية حتى شمل التأميم قطاعات اقتصادية واسعة. وكان هذا كله يرعب الاقطاعية المالية في داخل الجمهورية ويرعبها خارجها .

ثانيا : ان سياسة الجمهورية العربية المتحدة التحررية كانت تضع الرجعية والاستعمار امام خطر مؤكد ، اذ ان انتصار هذه السياسة التي كثيرا ما استثارت الجماهير العربية ، يعني القضاء على الرجعية والاستعمار في وقت معا ، ولذلك حرص الاستعمار على تحريض الرجعية، وحرصت الرجعية على الاستعانة بالاستعمار، فشجعها تساندها على محاولة التطويح دائما بالثورة ومكاسبها .

وعندما فشلت الحرب الدعائية المكشوفة ، استطاع الاستعمار ان يقنع حكام

المنطقة بطلب وقف الحرب الدعاوية ، واستجابت الثورة لذلك ، وتحت ستار الصمت تحركت القوى الرجعية في الشام ، التي اصابت الاجراءات الاشتراكية الاخيرة فيها مقتلا ، وضربة ضربة قاصمة .

وافاقت الثورة لتجد نفسها على طريق الثورة من جديد ، تعتقل ، تعزل، تضع اموالا تحت الحراسة . عادت تبحث عن قاعدتها وعن جماهيرها .

٢ ـ عبد الناصر والوحدة العربية

تحدث الرئيس جمال عبد الناصر في كتابه «فلسفة الثورة» الذي ألفه سنة ١٩٥٣ ونشره سنة ١٩٥٤ عن العرب وقوتهم . وقد حدد قوتهم بثلاث :

اولا : الروابط المادية والمعنوية التي تجمعهم قال : «اول هذه المصادر اننا مجموعة من الشعوب المتجاورة المترابطة بكل رباط مادي ومعنوي يمكن ان يربط مجموعة من الشعوب .. الخ .

ثانيا : موقع البلاد العربية الاستراتيجي .

ثالثا : البترول عصب الحضارة .

ويختم الرئيس جمال عبد الناصر حديثه قائلا : «واذن فنحن اقوياء ، اقوياء، ليس في علو صوتنا حين نولول ، ولا حين نصرخ ، ولا حين نستغيث ، انما اقوياء حين نهدأ ، او حين نحسب بالارقام مدى قدرتنا على العمل ، وفهمنا الحقيقي لقوة الرابطة بيننا ، هذه الرابطة التي تجعل من ارضنا منطقة واحدة لا يمكن عزل جزء منها عن كلها ، ولا يمكن حماية مكان منها بوصفه جزيرة لا تربطها بغيرها رابطة» ..

غير ان الثورة في السنتين الاوليين ، ظلت معزولة عن جماهير الشعب لاسباب اهمها انها لم تبد مستقرة واضحة الاهداف ، وانها بدت عسكرية الطابع ، محلية الاتجاه . يضاف الى هذا عاملان :

١ ـ فشل الانقلابات العسكرية في سورية ، وتركيز الاحزاب التقدمية والرجعية ، على رفع «شعارات ديمقراطية» .

٢ ـ ظلت علاقات مصر الثورة ، ودية مع الحكام العرب كما كانت في عهد فاروق .

وبدأت هذه العلاقات تتغير مع مولد فكرة حلف بغداد ، فالحلف بالطبع مشروع استعماري ، يهدف لجعل المنطقة منطقة نفوذ غربي ، بما يعنيه ذلك من قضاء على فكرة التحرر والوحدة واسترجاع فلسطين ، وتحويل انظار العرب عن اسرائيل، وعن مشاكلهم الداخلية ، الى الاتحاد السوفياتي . وقد حاربت الجماهير العربية الحلف بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي والاحزاب التقدمية الاخرى . وحاربته ثورة مصر ، منطلقة من مبدأ ينسجم مع ثوريتها ، وهو ان الاحلاف بين الدول الصغيرة والكبيرة يجعل الاولى مستعمرات للثانية . وفهمت ثورة مصر طبيعة الفكرة

فهما ينطلق من الايمان بمبادىء الحرية والوحدة . فالحلف يجعل العرب منطقة نفوذ للغرب ويربطهم بسياسته اولا ، ثم انه يحولهم عن فكرة العمل على نطاق عربي، فهو يربط الدول العربية بدول غير عربية ثانيا ، وهو يحول انظارهم عن اسرائيل الى الاتحاد السوفياتي ثالثا . لذلك اقترحت قيادة الثورة في اجتماع الرؤساء ، الذي عقد في القاهرة لبحث مسألة حلف بغداد مشروعا دفاعيا عربيا .

ولقد استطاعت ثورة مصر ، ان تحتل مكانها في نفوس الجماهير العربية عندما قادت المعركة ضد الاحلاف . وصادف ان عقد مؤتمر باندونج والمعركة على اشدها فاكتسبت سياسة الثورة المعادية للاحلاف قوة ووضوحا . وازداد تأييد الجماهير لها .

وحدث اللقاء الثاني بين الجماهير العربية وعبد الناصر . في السنة ذاتها ، سنة ١٩٥٥ عندما تحدى عبد الناصر الغرب بالخروج على سياسة احتكار السلاح وشراء الاسلحة من المعسكر الاشتراكي .. لقد هز هذا العمل اوتار القلوب وبعث الثقة في نفوس كادت تفقد الثقة . الم يكن كبيرا ان يتحدى الغرب عربي بمثل هذه الثقة وهذه الجراة ..؟

وكانت «معركة التأميم» لقاء دمويا حارا . وفي كل لقاء من هذه ، كانت الثورة تزداد ثقة بمدى «العلاقات المادية والمعنوية» التي تربط الجماهير العربية وتزداد اقتناعا ، بان هذه الشعوب المترابطة امة واحدة حية ، معركتها واحدة ، واهدافها واحدة . وزاد من وعي الثورة لهذه العلاقات المؤامرات الاستعمارية التي استهدفت ــ وما زالت ــ عزل مصر . وكثيرا ما تحدث عبد الناصر عن هذه السياسة ، فلقد اشار لها في خطابه امام برلمان بسنة ١٩٥٧ ، واشار لها في خطابه الذي القاه في بور سعيد بمناسبة مرور عام على جلاء القوات الغازية (٢٣ ديسمبر ١٩٥٧) .

وادت محاولات العزل المستمرة الى نتيجة باهرة فهي اولا كشفت الحكام العرب الذين ارتبطوا مع مصر الثورة باتفاقيات اقتصادية وسياسية وعسكرية . وجذبتهم الى صف الاستعمار ، كما انها زادت من وحدة الجماهير العربية . ووضعت اساس الوحدة السياسية بين مصر وسورية ، البلدين العربيين المتحررين .

وكانت الوحدة . واتسع مع الوحدة وعي الثورة الوحدوي القومي وتعمق . وعندما كان عبد الناصر في ايام الوحدة الاولى يصرخ من على شرفة قصر الضيافة او من اي مكان «كلنا عرب .. كلنا شعب واحد» ، كانت قلوب الجماهير العربية تهتز لصرخته . ويستطيع قارىء خطب عبد الناصر ان يجد في هذه الخطب معالم فكرة قومية واضحة ، وايمان قومي راسخ . وتنطلق هذه الفكرة من بديهيات اهمها:

اولا : ان الوحدة العربية قائمة رغم اصطناع الحدود (١) .

---

١ ــ كتب سياسية ــ خطب الرئيس جمال عبد الناصر ــ في الاقليم الشمالي . الكتاب الثالث والخمسون صفحة ٢٥ سنة ١٩٥٨ .

ثانيا : ان الاستعمار قسم البلاد العربية ليضعفها ، ويبقيها مناطق لنفوذه واستغلاله (١) .

ثالثا : ان وحدة الوطن العربي وحريته متلازمتان ، وان التحرر يؤدي حتما الى الوحدة .. (٢)

واتضح لعبد الناصر منذ البدء،ان الامة العربية ما زالت في اول طريق تحررها، وان الطريق طويل وصعب، وان الدفاع عن الوحدة يقتضي «مساندة حركة التحرر» في البلاد العربية . ويبدو ان شكل العلاقة بين الدول العربية لم يعنه كثيرا ، لقد عناه فقط ان تخرج البلاد العربية من مناطق النفوذ ، وان تتحرر من نير الاستعمار، ولتكن العلاقة بعدئذ وحدة او اتحادا او تضامنا ، فالبلاد العربية اذا ما استقلت ليست بحاجة الى دساتير لتوحدها فهي لا تتعادى الا اذا سيطر الاجنبي عليها (٣). وصحب هذا كله دراسات للفكرة القومية العربية منها دراسة كتبها عبد القادر حاتم تناولت العوامل المكونة للوجود العربي (٤) . وهذه العوامل هي البيئة الجغرافية ، وحدة المصالح ، وحدة اللغة والتاريخ والتقاليد . وواضح ان عبد القادر حاتم قد استبعد عامل الدين وعامل الجنس او العنصر .

لقد كان اثر الوحدة في «الثورة عظيما» . ولقد كان اثر الوحدة في الجماهير العربية عظيما ، ولذلك فلقد كان الانفصال فجيعة .

وعندما وقف عبد الناصر يقول في اذاعة القاهرة صبيحة يوم الانفصال : «كل فرد من ابناء الجمهورية العربية المتحدة مسؤول عن حماية هذه الجمهورية واهداف هذه الجمهورية ، لان هذه الجمهورية هي طليعة الكفاح العربي .. وهي طليعة الوحدة العربية ، وهي قاعدة الكفاح العربي وهي قاعدة الوحدة العربية والقومية العربية» كانت ملايين القلوب تقطر فجيعة وأسى في ارجاء الوطن العربي الكبير .

الانفصال والتفكير الثوري ..

الانفصال حركة رجعية معادية للوحدة والتحرر والاشتراكية ..
هذا ما فهمته الثورة منه . وهذا ما فهمته جماهير الشعب العربي .
ولقد كان رد الثورة عليه ينسجم مع خطورته . فالثورة عملت في الداخل على

---

١ ـ المصدر السابق صفحة ١٣ .
٢ ـ المصدر السابق صفحة ٢٥ .
٣ ـ سياسة الجمهورية العربية المتحدة من خلال خطابات الرئيس جمال عبد الناصر في الاقليم الشمالي . صفحة ١٢٩ (هدية مجلة الجندي) .
٤ ـ جورج فوشيه ـ جمال عبد الناصر في طريق الوحدة والبناء ـ صفحة ٦٩ ـ ٧١ . منشورات المكتب التجاري .

تقليم اظافر رأس المال ، وتقليم اظافر الرجعية. وعملت في النطاق العربي على اعلان حرب شعواء ضد الرجعية العربية . والثورة بعملها هذا بلغت نقطة البداية . ومن هنا تبدأ الثورة العربية الاشتراكية ، حرب على التجزئة ، حرب على رأس المال المستغِل ، حرب على الرجعية المتآمرة .

٣ ـ الثورة
والسيادة القومية

لمشكلة السيادة وجهان ، الاول : خارجي ، ويتعلق بمدى ممارسة الشعب لاستقلاله ، والثاني : داخلي ويتعلق بمدى تمرس الشعب في حكم نفسه . والبلاد العربية بلاد مستعمرة منذ مئات السنين ، لا تمارس جماهيرها أي شكل من اشكال السيادة الحقة ، ولا فرق بين ولاة بني عثمان . وولاة الاستعمار الغربي .

وثورة مصر سنة (١٩٥٢) ليست غير محاولة لاسترداد سيادة قومية مفقودة . ولذلك فقد عملت على التخلص من الاستعمار وولاته وبطاناتهم وبيئاتهم الاجتماعية.

أ ـ مشكلة الاستقلال

كان واضحا لرجال الثورة منذ البدء ان الاستعمار يعتمد للاستمرار في تسلطه على :

١ ـ عملائه وزبانيته وعلى رأسهم الاسرة الحاكمة .

٢ ـ التفسخ الذي اوجدته الظروف الشاذة ، وضعاف النفوس صغارها، الذين ارتضوا لانفسهم المتاجرة بكرامات اخوانهم .

ولكي يحمل الاستعمار عصاه ويرحل ، كان لا بد من ان ترحل العائلة المالكة ويقضى على الحزبية التي مزقت الشعب شيعا ، ويقضى على الاقطاع . وسيجد الاستعمار عندئذ نفسه وجها لوجه امام شعب موحد ، تحرر من الملكية والاقطاع والانتهازية السياسية . ولقد سلكت الثورة هذا السبيل ، فحررت الشعب من العائلة المالكة والاقطاع والحزبية ، ثم من الاستعمار . الا انها آثرت حلا سياسيا مضمونا على مغامرة ثورية قد تكون مضمونة ، ولكنها لا بد ان تستهلك الكثير من قوى الشعب .

ولكن الاتفاقية التي قاومها التقدميون ، واستغلها الرجعيون ضد الثورة كانت نصرا .. وكان عبد الناصر محقا عندما قال عشية التوقيع عليها : «ان مرحلة من كفاحنا قد انتهت ، ومرحلة جديدة توشك ان تبدأ» .

وقادت مصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء ، معركة مقاومة الاحلاف الاستعمارية، واستمرت مع الاحزاب التقدمية خارج مصر في مقاومتها للاستعمار وقواعده

وعملائه . وكان نتيجة لهذه المقاومة ان فشل حلف بغداد . ولم تمض مدة حتى شعر رجال الثورة بان الاستعمار مضى بجنوده ، الا انه باق باستغلاله . ولما كانت قناة السويس خير مثل للاستغلال ، فقد استغل عبد الناصر الحرب الاقتصادية التي شنتها الدول الاستعمارية على الثورة فأصدر قرارا بتأميمها . وعندئذ كانت حرب السويس ، وحرب السويس ليست كما يبدو لاول وهلة دفاعا عن اسهم يملكها رأسماليون غربيون .. انها حرب ضد روح التحرر العربي . وقد تحدث ايدن في مذكراته عن هذا حديثا واضحا (١) .

واذا كانت حرب السويس قد انتجت مرابح مادية كبيرة ، فان المكاسب القومية التي انتجتها كانت اكبر كثيرا . فهي وحدت معركة التحرير في الوطن العربي كله اولا . وجعلت مصر اكبر دولة عربية . قائدة للقوى العربية المقاومة للاستعمار ثانيا . ولهذا كان من السهل ان يفشل مشروع ايزنهاور . ولهذا ايضا كان من السهل ان ينتصر الشعب العربي في العراق على نوري السعيد .

وخاضت مصر الثورة معركة التحرر في ميدانين :

الاول : داخلي ، هدفت فيه الى تحرير مصر من الاستعمار واستغلاله .

الثاني : خارجي هدفت فيه الى مقاومة فكرة التكتلات والاحلاف العسكرية .

ولم تكن المعركة في ميدان ، الا امتدادا لها في الميدان الآخر . فلقد كان تأييد «الثورة» للحركات التحررية ، يتناسب تناسبا طرديا مع مقاومتها للاستعمار . وكانت مقاومة الثورة للاستغلال تتناسب طرديا ايضا ، مع مقاومة الاستعمار .

ولقد كان النضال من اجل الوحدة ، يتناسب طرديا مع النضال في كل هذه الميادين ، فاذا فتر النضال في ميدان فتر فيها جميعا .

ولعل المقارنة ما بين الوضع في الجمهورية العربية المتحدة قبل صدور القرارات الاشتراكية ، والوضع بعد صدورها ، خير دليل على ما نقول . فالجمهورية العربية المتحدة قبل صدور القرارات الاشتراكية ومنذ افتتاح برلمان سنة (١٩٥٧) ، كانت تعمل على توجيه رأس المال ، ولكنها لا تطرح قضية الغاء صفته الفردية . وتعمل من اجل الوحدة العربية ، ولكنها لا تطرح زوال الكيانات الهزيلة بطرح شعار الثورة . وتعمل من اجل جلاء الاستعمار عن الارض العربية ، وتساند الحركات التحررية في كل مكان ، دون ان تعبىء نفسها لمعركة تبدأ كلاما وتنتهي ضراما . وجاءت القرارات الاشتراكية فهزت جذور رأس المال المستغِل . وهنا اتسعت المعركة ، واتضحت جميع حدودها ، فهي حرب ثورية على التجزئة والرجعية والاستعمار .

ويوم استطاعت الرجعية ورأس المال ، ان يربحا معركة التجزئة في الشام ، اتجهت الثورة الى اجراءات الحراسة ، ووقتها عدنا نسمع اذاعة القاهرة تتحدث عن الاستعمار البريطاني في عدن والمحميات .. الخ .

---

١ ــ مذكرات انتوني ايدن ــ القسم الثاني ــ ترجمة خيري حماد صفحة ٢٢٧ ــ ٣٢١ .

والجمهورية اليوم قلعة النضال العربي وقاعدته ، كما لم تكن من قبل . في الماضي كانت تحاول ان تجد سبيلا للتعاون مع امام اليمن ، اما اليوم فهي ترفض ان تتعاون معه . ويرتبط بهذا ، موقف عنيد صلب من الاستعمار وقواعده وعملائه .

ان معارك التحرر التي خاضتها الجمهورية العربية ، قادتها الى ادراك الترابط بين الرجعية ، وراس المال والاستعمار . وهي بالقرارات الاشتراكية الاخيرة قد اعلنت الحرب الشعواء ضدها جميعا . اعلنت خوض معركة الوحدة والحرية والاشتراكية ، التي كان حزب البعث العربي الاشتراكي قد اعلن عن بدئها منذ سنوات طويلة .

ب ـ مشكلة الديمقراطية

جاءت الثورة رفضا لنظام الحكم القائم ، وما يرتبط به من استغلال وعبودية واستعمار ، ولهذا كان عليها ان تبحث عن طريقة جديدة للحكم . ولما كان يبدو ان الملكية والاقطاع والاستعمار ، هي اسباب فساد الحكم ، فقد لجأت الثورة الى التخلص منها الواحد بعد الآخر ، فالغت الملكية والاقطاع وحاولت ان تمنع راس المال من السيطرة على الحكم . وحاولت مع هذا كله ان تطبق نظام الحكم ذاته . وجاء علي ماهر السياسي النظيف فلم يستطع ان يعيش مع الثورة . وبعد ان تخلصت الثورة من تناقضاتها الداخلية ، بتخلصها من دعاة «الحل البرلماني» اعلنت فترة انتقالية مدتها سنوات ثلاث . انجزت الثورة خلال هذه المدة انجازات كبيرة ، وانتصرت على عدوان مسلح مدمر . وعندما مرت السنوات الثلاث طرحت قضية الدستور وقضية البرلمان من جديد . فكان دستور سنة (١٩٥٦) ، وبرلمان سنة (١٩٥٧) ووقف جمال عبد الناصر ليخاطب البرلمان الجديد ، قائلا : «لقد كان موعدنا معكم منذ خمس سنوات ، فقد كنا نتصور وقتئذ انه في استطاعتنا ان نلتقي بالممثلين الحقيقيين للشعب ، في نفس صباح ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ يوم ثورتنا» .

«وكان بيننا وبينكم يأس مخيف سيطر على القلوب والعقول ، نتيجة لكل ما ذكرنا ، فاذا الاحداث تترى على هذا البلد ، والغالبية من شعبه تكتفي بموقف المتفرج ، حتى وان كانت هذه الاحداث تتعلق بالبلد وشعبه ، وتقرير مصيرهما معا لمستقبل السنين» .

ولم يعش هذا البرلمان مدة طويلة ، فقد ادركته الوحدة قبل ان يتم سنته الاولى . الا ان عبد الناصر اشار الى هذه التجربة ونجاحها في الخطاب الذي القاه يوم ٥ شباط سنة (١٩٥٨) في البرلمان المذكور ، عندما طرح عليه قضية الوحدة مع سورية ، مكررا ما قاله مرة من انه يعتبر اعضاء مجلس الامة « مجلس الثورة الجديد» .

وبدأت بعد الوحدة انتخابات الاتحاد القومي ، بعد ان حل مجلس النواب

السوري ، ومجلس الامة المصري ، وكانت انتخابات الاتحاد القومي صورة مكبرة لانتخابات المجالس البرلمانية،ولا يبدو ان انتخاباته وتكوين لجانه الفرعية والتنفيذية، قد احدثت أي أثر في بناء الجمهورية العربية المتحدة او في القضية العربية.ولذلك فقد مات في يوم الانفصال .

نستطيع ان نلاحظ من هذا كله ملاحظتين :

الاولى : ان «الثورة» كانت تؤمن بفكرة الديمقراطية التقليدية ، والتمثيل الشعبي الحر .

الثانية : ان «الثورة» الغت المؤسسات الحزبية لفسادها فقط . وانها كانت تعتقد بان حواجز معينة (هي الاقطاع والحزبية والاستعمار) كانت تحول بين الشعب والتعبير عن ارادته تعبيرا حرا .

ولذلك فان الرئيس عبد الناصر لم يجد حرجا مرة في ان يصرح ، بانه يعتقد بان النظام في الجمهورية سيتطور الى نظام حكم ذي حزبين . الا ان سرعة تطور الاحداث قد ادت الى تغيير في هذه النظرة . فاستئناف الثورة في يوم الانفصال، جلب معه نظرة جديدة ، ترفض الحزبية وفكرة الحزبين بالذات ، وتسعى لتكتيل جماهير الشعب وتنظيمها تنظيما جامعا ، يستثنى منه اعداء الشعب .

ان الثورة واجهت في هذا الميدان ما واجهته في الميادين الاخرى ، فقسوتها على اعداء الشعب كانت تتناسب مع نضالها ضد الاستعمار ، وعملها الدائب من اجل القضاء على الاستغلال . ولقد حاولت باستمرار ان تبحث عن النظريات في الواقع لا العكس ، ولهذا تكررت المحاولات ، وكثرت التجارب .

٤ ـ الثورة ...
والتفكير الاشتراكي

لعل قانون الاصلاح الزراعي ، الذي صدر في ايلول من سنة (١٩٥٢) ، كان اول واكبر اعمال الثورة ، فهو لم يحدد معالم تفكير رجال الثورة منذ البدء فحسب بل اجبرهم على ان يحددوا موقفهم النهائي من الاحزاب ومن انظف السياسيين . ولكن قانون الاصلاح الزراعي ، لا يمكن اعتباره اشتراكيا لعدة اسباب اولها انه لم يكن جزءا من خطة عامة لاعادة توزيع الثروة ، وثانيها ان القانون اباح للاقطاعي الاحتفاظ بثلاثمائة فدان،وثلاثمائة فدان كافية لان تجعل اقطاعيا يعيش على حساب عدد من الفلاحين المستأجرين ، حتى لو حدد الايجار . وثالثها ان الانضمام للتعاونيات كان اختياريا ، ومحصورا فيمن ملكيتهم لا تزيد على خمسة افدنة .

ولم تمس الثورة بادىء ذي بدء راس المال ، على الرغم من انها كانت ترفع شعار العدالة الاجتماعية . وعندما حدث العدوان ، صدر قرار بوضع اموال العدو تحت الحراسة .

تبع ذلك خطوات هامة ، ففي ١٣ كانون الثاني سنة (١٩٥٧)، صدر قرار بانشاء المؤسسة الاقتصادية ، وبعد يومين من هذا التاريخ ، صدر قرار بتمصير البنوك ، وامتدت يد التمصير الى بورصة الاوراق المالية في تموز من السنة ذاتها .

وبعد ان تحققت الوحدة ، طبق قانون الاصلاح الزراعي في «الاقليم السوري»، واستمرت العمليات الاقتصادية الهادفة ، فصدر قرار بتأميم بنك مصر وشركاته، وما ان حلت الذكرى التاسعة للثورة حتى صدرت «القرارات الاشتراكية» ، التي خفضت ملكية الارض الى مائة فدان فقط . وحددت ملكية الاسهم بما لا يزيد عن عشرة آلاف جنيه ، واخضعت الايرادات لقانون الضريبة التصاعدية التي تصل الى ٩٠ ٪ على ما زاد على العشرة آلاف من الجنيهات .

وعندما حدث التمرد الرجعي في دمشق ، اعلن الرئيس جمال عبد الناصر استئناف الثورة وصدر قرار بوضع اموال كثير من الرأسماليين تحت الحراسة .

دوافع هذا التفكير الاشتراكي ومعالمه

اذا تابعنا تفكير الثورة الاشتراكي وجدنا انه ينبع من مصدرين :

الاول : شعور بالتخلف المزري ، وشعور بالحاجة الى «مسابقة الزمن» . فنحن يجب ان نعمل من اجل تعويض ما فاتنا في الماضي ، ونحن يجب ان نعمل حتى نسد حاجات المستقبل . ولقد اشار الرئيس جمال عبد الناصر الى هذه الناحية كثيرا .

الثاني : ان الثورة قامت لتحقيق العدالة سياسية واجتماعية ، وان العدالة لا تتحقق ، الا عندما يقضى على استغلال الانسان للانسان والفئة للفئة .

ولهذا كله اتجهت الثورة الى الغاء التمايز الاجتماعي ، والتفاوت الطبقي، فالغت الاقطاع وعملت على مراقبة الفعاليات الاقتصادية وتوجيهها ، محاولة التوفيق بين نشاط الدولة ونشاط الافراد . ولم تكن محاولة التوفيق هذه ، تستهدف الغاء رأس المال بل مراقبته لتلافي اخطائه واخطاره . فالثورة تعتبر «المحافظة على رأس المال ضرورية في هذا الوقت بالذات لتطوير الانتاج والاقتصاد القومي» ، لم تحارب الثورة رأس المال . انما حاربت الاستغلال . ولهذا فكان «رأس المال حرا ما دام يعمل لمصلحة الشعب» ، وما دام لا يسعى للسيطرة على الحكم .

ولم يمض وقت على «الثورة» بعد بلورة هذه الشعارات حتى اكتشفت ان رأس المال يرفض المراقبة والتوجيه ، وانه يعمل ضد مصلحة الشعب ويسعى دائما للاستغلال ، وهنا انطلقت صرخات جمال عبد الناصر في عيد الثورة التاسع : « لا حرية حقيقية الا بالقضاء على الاقطاع والاحتكار والاستغلال وسيطرة رأس المال». هذه الصيحات التي صحبت القرارات الاشتراكية ، والتي ارتفعت معها شعارات

ثورية جديدة اهمها : «ملكية فردية من غير استغلال ، وملكية عامة من غير مصادرة» .

الا ان راس المال لا يعيش الا بالاستغلال ، قاوم الاتجاه الجديد ، فحدث التمرد الرجعي في دمشق الذي اعتبرته الرجعية العربية نصرا كبيرا . وهنا وجدت «الثورة» نفسها من جديد ، امام تحدي رأس المال وتخريبه ، فعمدت الى تقليم اظافره في مصر بوضع اموال العديد من الرأسماليين تحت الحراسة . وبعد ان كانت الثورة تطرح شعار : «التقارب بين الطبقات» اصبحت اليوم تطرح شعار : «تذويب الطبقات» .

ان هذا التطور يمتاز بما يلي :

اولا : انه لا ينبثق من نظرية موضوعة معروفة ، بل من اتخاذ موقف «ثوري» ينسجم مع مصلحة الشعب : «فالاشتراكية هي التطور لصالح الشعب» ، كما يقول جمال عبد الناصر . وتحقيقها لا يعتمد على منهج ، بل على ادراك لمصلحة جماهير الشعب . يقول عبد الناصر : «وكما قلت لكم ، نتحرك من مرحلة الى مرحلة وفقا لمقتضيات الاحوال ، ووفقا لاحتياجات الشعب» .

ثانيا : ان الدعوة الاشتراكية لا تنطلق من حقد طبقي ولا تتلبس به ، فهي دعوة لتحقيق الكفاية والعدل ، لا تبغي الانتقام للماضي ، بل تبغي ان تجعل المستقبل سعيدا. ولهذا لم تتخذ ضد الذين وضعت اموالهم تحت الحراسة اجراءات قاسية، وحددت لهم مخصصات مالية لا تزيد عن الخمسة آلاف جنيها ، مثلهم مثل مديري الشركات . .

ثالثا : الثورة تعمل على حماية الملكية والارث شريطة الا ينتج عنهما استغلال، فتوزيع الارض على المستاجرين والاجراء الزراعيين زاد عدد الملاكين الصغار مثلا، الا انه جعل الملكية «فردية تعاونية» .

رابعا : كانت حركة الثورة تزداد كل يوم عمقا وشمولا ، ولا شك ان «القرارات الاشتراكية» هي اعمق واشمل ما قامت به ، وتنبع قيمتها من ان عبد الناصر جعلها استمرارا لطرد فاروق ، ولقد قال في هذه المناسبة : «اننا نحتفل بالميلاد الحقيقي للامل الذي كنا نريد ان نسعى اليه ونحققه بطرد فاروق ، فقد تحددت قسمات مجتمعنا الجديد في هذه الايام الحاسمة» .

وعلى اضطراد هذا العمق والشمول يتوقف انتصارها النهائي ..

* * *

الثورة
في لحظات التوقف والاندفاع

مرت الثورة كما بينت بمراحل اربع :

١ ـ من ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ ـ قيام الثورة وبدء معركة حلف بغداد .
٢ ـ ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ ـ بدء معركة حلف بغداد حتى قيام الوحدة .
٣ ـ ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ ـ قيام الوحدة حتى الانفصال .
٤ ـ ١٩٦١ ـ حتى الآن بعد الانفصال ..

وكانت الثورة تبدو في المرحلة الاولى اقليمية عسكرية ، ثم بدأت في المرحلة الثانية تتجه اتجاها عربيا ، الى ان بلغت ذروة اندفاعها فتحققت الوحدة . وهنا بدأت المرحلة الثالثة التي رفعت فيها الثورة شعار «الوحدة والاتحاد والتضامن» ، الا انها لم تطرح قضية زوال الكيانات الهزيلة طرحا ثوريا ، وكانت هذه السياسة نفسها تطرح شعار الوحدة الوطنية في الداخل . واستمرت هذه السياسة التي كان من ثمارها مهادنة الرجعية العربية وراس المال ، حتى حدث الانفصال الرجعي فرفع شعار استئناف الثورة .

شهدت هذه المراحل لحظات من التوقف القاسية الخانقة ، ولحظات الاندفاع الغزيرة الحارة ، وبين لحظات التوقف ولحظات الاندفاع كانت الجماهير العربية تقف صامتة . ولقد عقبت الوحدة فترة من الزمن احس فيها الشباب التقدمي ان مجرى النضال العربي قد تحول ، وان طريق الوحدة ستكون طريق البرجوازية وراس المال . وليس طريق الثورة الاشتراكية . وسأحاول هنا ان احدد تناقضات الثورة خلال توقفها واندفاعها .

أ ـ على الصعيد القومي العربي .
ب ـ على الصعيد السياسي .
ج ـ على الصعيد الاجتماعي .

أ ـ على الصعيد القومي العربي

كان اتجاه الثورة العربي اصيلا ، الا ان تفكيرها الوحدوي لم يكن ثوريا . ذلك ان الثورة ادركت ان العرب امة واحدة، وان التجزئة من صنع الرجعية والاستعمار، كما ادركت الثورة خطر التجزئة على بقاء الامة العربية وتقدمها ، الا انها ترددت عندما طرحت فكرة وحدة مصر وسورية على اساس ان الوحدة بحاجة الى تمهيد . وبعد ان تمت الوحدة رفع الشعار التالي : لا وحدة الا بالاجماع ، كما رفع شعار آخر : «وحدة ، اتحاد ، تضامن» . وكان الشعار الاول يعني الا يندمج اي قطر عربي بالجمهورية ان لم يوافق اهلوه قاطبة كما حدث في سورية ، وهذا لا يمكن ان يتم، لا لان الشعب يرفضه ، بل لان العائلات الحاكمة وبطاناتها ترفضه وتقاومه . واذا كان قد حدث في سورية فما ذلك الا لاسباب خاصة ، لا يمكن ان تتوافر في اي بلد عربي آخر . الوحدة ثورة ، والثورة لا تتم باستفتاء ولا اجماع . والوحدة قضية تتعلق ببقاء الامة العربية ، انها قضية الماضي والحاضر والمستقبل ، فلا يجوز ان

تطرح في استفتاء ، ولا يحق ان نسأل فيها عن اجماع لانها يجب ان تتم ، وليس لاحد الحق ان يقول «لا» . فالمسألة ليست مسألة انتخاب رئيس الجمهورية او نائب في مجلس امة ، انها مسألة البقاء . وكان الشعار الثاني : «وحدة ، اتحاد ، تضامن» يدعم هذا الاتجاه ، فهو يعطي الحق للحكام ، بأن يحددوا شكل العلاقة السياسية مع الجمهورية ، وفي هذا اعتراف بهم وبمصالحهم «وتجزئتهم». انها دعوة سياسية ولا شك ، قصد منها ان تلتقي الدول العربية حول شعارات معينـــة ، وان يزداد تقاربها وتعاونها ، ولكنها دعوة تتنافى مع الدعوة للوحدة ، لانها تربط الجمهورية بمواثيق وعهود تكرس التجزئة . ثم ان الجمهورية العربية كانت تعمـــل للتحرر والوحدة ، وطريق الرجعية العربية غير هذه الطريق .

ولقد استمر هذا الازدواج حتى بعد الانفصال . فبعد الانفصال طـرح جمال عبد الناصر شعار «الثورة العربية» ولكنه في الوقت ذاته ذكر ان الوحـــدة كانت بحاجة الى تمهيد «خمس سنوات على الاقل» .

ولكن هل تتوافر الظروف التي تسمح بذلك ؟ ان هناك نقطتين يجب توضيحهما عند الاجابة على هذا السؤال .

الاولى : ان الظروف في البلاد العربية لا تسمح ان تترك الامور للزمن ، ذلك ان الثورة سباق مع الزمن ، ولكي تتم الوحدة ، لا بد من ان ننتزع القيادة السياسية والجماهيرية من ايدي الرجعية . وانتزاع القيادة هو الذي يفسح امامنـــا مجال العمل . هكذا فعلت ثورة ٢٣ يوليو : انها في البدء انتزعت زمام القيادة من الرجعية، ثم عملت من اجل القضاء على التناقضات .

فليكن اذن «انتزاع القيادة من الرجعية» هو الشعار .

الثانية : ان التطور من الضروري ان يسير على منهج واحد ، وهذا لا يمكن ان يتم الا في ظل قيادة واحدة . اما التطور في ظل القيادات المختلفة ، فسيؤدي حتما الى مزيد من التناقضات ، ولو جرى تخطيط للقضاء على هذه التناقضات نفسها . والخطر الماثل الآن ، هو ان الرجعية تعمل على «أقلمة» التطور ، تعمل على ان تجعل العراق وحدة قائمة بذاتها ولبنان وحدة قائمة بذاتها الخ ..

وهنالك ناحية يجب ان يلقى ضوء عليها ، وهي ان التناقضات ليست اصيلة ولا قائمة بين جماهير الشعب ، بل بين جماعات المستغلين . وتناقضات من هذا النوع واجب القضاء عليها اصلا ، لانها تقف في سبيل الوحدة والتقدم ، ولا يجوز ان تؤخذ مثل هذه التناقضات بعين الاعتبار .

ان الفئات الرجعية الحاكمة ، والمصالح المحلية المتضاربة ، هي التي تمزق الامة العربية ، وانتزاع القيادة السياسية من هذه الفئات ، هو الواجب الاول من واجبات الثورة العربية ، والخطوة الاولى نحو الوحدة العربية . ولقد كان موقف «الثورة» بعد الانفصال من الرجعية العربية خير بداية . ونأمل ان تستمر المعركة، فاستمرارها ضروري لاستثارة المبادرة الشعبية في حركة عربية شاملة ، من اجل وحدة عربية شاملـــة .

ب ـ على الصعيد السياسي

قامت الثورة ضد الاقطاعي والراسمالي والسياسي المحترف ، وكان عليها كي تستمر ثورة ، ان تقضي على اساليب هؤلاء جميعا في التفكير والفهم والعمل ، ولكن الثورة جردت الاقطاعي من اقطاعه ، وحددت للراسمالي حدوده ، وعزلت السياسي المحترف نهائيا ، وعند ذلك ظن رجالها ان الشعب يستطيع ان يعبر عن ارادته تعبيرا حرا ، فعادت فكرة الانتخابات على مختلف انواعها ، وكاد التفكير السياسي ان ينتصر على الثورة فاعلن عبد الناصر ، امكانية قيام حزبين في المستقبل . الا ان التناقضات بين هذه الافكار والواقع ظلت قائمة نتيجة لما يلي :

اولا : ظلت قيادة الثورة في الميدان ، وظلت هذه القيادة تتصرف بدافع المحافظة على الثورة .

ثانيا : كانت كل الاطر «البرلمانية» من صنع الثورة ولغرض الدفاع عن اهدافها، ولما كانت أطرا برلمانية تقليدية حتى في اشخاصها احيانا ، فانها ظلت دون مستوى الثورة ، وغير ذات فعالية شعبية .

ثالثا : لقد نزعت القيادة من الاقطاعي والراسمالي والسياسي المحترف . ولكن هؤلاء جميعا بدأوا الحرب بكل ما لديهم من وسائل ، وكان يسهل نشاطهم انخفاض مستوى الوعي الشعبي ، وانحلال القيم الاجتماعية ، وفساد فئات من الشعب فسادا مطلقا ، كما ساعدهم على العمل «توقف الثورة» احيانا .

رابعا : كانت الثورة تطرح مشكلة الحكم قبل أوانها . فانتصار الثورة في معركة الاستقلال ، ومعركة تثبيت الاستقلال لم يكن نهاية ، لقد كان بداية ، بداية اندفاع الثورة ، واندفاع الثورة يجلب معه دائما أفضل الوسائل الثورية لتحريك الجماهير وتنظيمها وقيادتها . الثورة ليست بحاجة الى «برلمان» لان البرلمان يفقدها قدرتها على الاستمرار ، الثورة بحاجة الى قاعدة منظمة واعية ، تحرك جماهير الشعب ، تنظمها ، تقودها .

خامسا : كان ازدياد وعي الثورة العربي وادراكها لخطورة وجود اسرائيل يفرضان عليها ان تعبىء قوى الشعب بسرعة فائقة تعبئة ثورية ، الا ان الثورة كانت مع اتساع رقعة المعركة وشمولها ، تحاول ان تحافظ على « الوحدة الوطنية » و«التضامن العربي» ، ولم تكن الوحدة الوطنية شعارا ثوريا ، ولا التضامن العربي شعارا ثوريا ؛ الشعار الثوري هو وحدة القوى الثورية العربية . ولقد رفع هذا الشعار بعد الانفصال . ولقد اشتركت هذه الاسباب كلها ـ بنسب مختلفة ـ في عرقلة نمو القاعدة الثورية .

لقد مرت تسع سنوات ، دون ان تنظم الثورة قاعدتها في داخل الجمهورية ، وما زالت غير قادرة على تنظيم قاعدة لها في الاقطار العربية او على اقامة تعاون فعال مع الحركات الشعبية الموجودة . وما من وسيلة لاستمرار الثورة غير وجود القاعدة التي تنمو وتنمو ، لتجعل من جماهير الشعب قوى هائلة قادرة على احداث

انقلاب شامل .

ج ـ على الصعيد الاجتماعي

يحتاج بناء المجتمع الاشتراكي الى «نظرية ثورية» . و«منظمة ثورية» . الاولى تحدد المنهج الثوري أسلوبا وعملا ، والثانية تقدمه خلقا وسلوكا . ولقد حرمت الثورة من النظرية والمنظمة في وقت معا . ولذا كانت الدعوة الاشتراكية بحاجة الى كثير من الوضوح والعمق . وسنوجز فيما يلي اهم تناقضاتها :

اولا : ظلت الثورة بلا منظمة ولا نظرية ، وكان هذا يجرها الى التأرجح لتسرب الافكار الغريبة والعناصر الغريبة اليها . ذلك ان النظرية هي التي توفر المقياس الثوري ، كما ان المنظمة هي التي توفر الخلق الثوري والمناضل الثوري .

ثانيا : ظلت الثورة تطرح شعار المجتمع الديمقراطي الاشتراكي التعاوني ، دون ان تشرك جماهير الشعب مشاركة فعلية في الحكم وفي البناء ، ولم يستطع «الاتحاد القومي» ان يضمن مثل هذه المشاركة .

ثالثا : كان هنالك تناقض بين الشعار الذي ترفعه الثورة وبين الواقع . الثورة ترفع شعار : «مجتمع ديمقراطي اشتراكي تعاوني» ، بينما ظل الواقع غير «ديمقراطي ولا اشتراكي ولا تعاوني» . لقد ألغي الاقطاع وأبعدت سيطرة رأس المال عن الحكم وحجر السياسي المحترف في بيته . الا ان الاقطاعي ظل يعيش بأبهة الماضي ، ويملك ما يجعله قادرا على استمرار أبهته دون ان يعمل . اما صاحب رأس المال فقد وضعت له حدود عليه ان يسير ضمنها ، الا انه ظل مستغلا يثري على حساب الشعب . وكان السياسي المحترف قد عاد الى وكره ليدبر فتنة او مؤامرة ، الا ان جهاز الحكم الذي استعمله في الماضي ظل حيا في عهد الثورة ، يدفعها بيد ويلطمها بأخرى .

وقد ظل الامر كذلك حتى صدور القرارات الاشتراكية حين حدث تطور في الموقف الاقطاعي والرأسمالي والسياسي المحترف . وجاء التمرد الرجعي في دمشق فأدى الى موقف اكثر صلابة ووضوحا .

رابعا : حدث تطور رائع في ميادين التخطيط والتصنيع والانتاج ، الا ان مظاهر الحياة العامة ظلت كما كانت .. سعي وراء الفلس ... انحلال لا حدود له ، تسكع وخلاعة وكسل وتهرب وحذر . ولم يكن الذهن يستطيع ان يتصور كيف يقوم البناء الاشتراكي ما دامت الصحف بؤرة فساد وانحلال ، والسينما بؤرة فساد وانحلال ، والحياة الاجتماعية بؤرة فساد وانحلال . ففي القرية سيطرت ثقافة عصر الانحطاط ، اما في المدينة ، فقد استشرت نفسية منحلة ، هي نتيجة اللقاح بين مدنية عصر الانحطاط ، وسيئات مدنية الغرب اليوم .

لقد نقلت ملكية الصحف الى الاتحاد القومي ، ولكن اجهزتها لم تتغير . وحملت الدولة لواء الاشتراكية ، بينما ظلت المدينة مدينة المقهى والملهى ، مدينة الشهوة والغيبوبة . وقد اشار الرئيس عبد الناصر كثيرا الى هذه الناحية الا ان التغيير الذي حدث كان قليلا .

الخاتمة

لقد مرت الثورة بلحظات خانقة ...

ففي الداخل لم توفر السلطة الجو المشجع للتفكير الثوري الحر ، وعمدت الرجعية عن طريق اجهزة الحكم البالية ، الى محاربة الفكر وحريته ، فاستطاع الرجعيون مثلا ان يسيطروا على مجلس رعاية الفنون والآداب والعلوم ، وان يجعلوا من الادب والشعر «مهزلة» في عهد الثورة ... لقد غبت الوجوه الحية عن المسرح كما ارادوا ، واختفت اسماء الشباب من الصحف والمجلات : محمد عوده ، رجاء النقاش ، محيي الدين محمد ، صلاح عبد الصبور وغيرهم ... ولم يسلم الشعر من هذه الحرب الشعواء ، اذ ان العقاد اشهر سيفه البتار على رقاب الشعراء المجددين ، منكرا عليهم شاعريتهم ...

وبينما اخذت الصحف تخلو شيئا فشيئا من كل مادة مفيدة ، اتجهت الى اخبار الطلاق والزواج والخيانات والجرائم ، لتلبسها لبوسا مثيرا ، ولتجعل منها شغلا شاغلا للناس . اما المجلات الكبرى ، حكومية او غير حكومية ، كالمجلة والكاتب والشهر فقد اتجهت اتجاها «كلاسيكيا» .

وفي ميدان السياسة العربية كان نشاط الثوريين العرب ضد الحكام الرجعيين، مرتبطا بعلاقة حكومة الجمهورية العربية المتحدة معهم ، فاذا ساءت العلاقات سمح لهؤلاء الثوريين بالعمل والا فلا .

وكثيرا ما كان الشباب الثوري يحس بالحزن العميق عندما يرى الثورة « تمسخ » في أيدي « البرجوازية » ، السادة الجدد الذين يريدون ان يثروا وينعموا على حساب الشعب . وكثيرا ما كنت انظر الى الغد بعين المستطلع فأرى شبح الانحراف . فالوحدة اذا ما تحققت ، فستحقق على يد «البرجوازية» هذه الفئة المنحلة ، وسيكون الطريق طويلا وصعبا ، طريق مساومات ومهادنات ... وخروج على مبادىء الثورة العربية .

واتضح هذا للجميع حتى ان جورج فوشيه قال : «وبهذا المسلك الجديد ، اي البعد عن الايديولوجية البعثية في النظر الى الامور ، هدأ رئيس الجمهورية العربية

المتحدة مخاوف الملوك العرب الذين يخشون الدعاوة الاشتراكية اكثر من الدعاوة الشيوعية ، وينتظر ان يتحقق تضامن عربي بين الدول العربية ضمن اطارات سياسية اوسع واليين من اطار الوحدة الذي اختارته سورية» (١) .

وكان صدور القرارات الاشتراكية بداية تحول عميق نسف كل هذه التوقعات.

ولقد حملت الينا «ردود الفعل الواعية» ، التي تلت التمرد الرجعي ، بشائر تطور كبير وجذري في أبعاد الثورة القومية والسياسية والاجتماعية . وان في استمرار هذا التطور ، ضمانة لاستمرار العمل الثوري ، ونمو فعالياته ونضوجها .

وتقع على الطليعة الواعية في مصر والبلاد العربية الاخرى ، واجبات العمل الدائب من اجل توضيح مبادىء الثورة وتعميقها ، وتحريك الجماهير وتنظيمها وقيادتها .

---

١ ـ جورج فوشيه ـ جمال عبد الناصر في طريق الوحدة والبناء ـ صفحة ١٩٣ ـ ١٩٤ .

ملاحظات حول العمل الحزبي في الوطن العربي

ان الذي يتابع تطورات الحياة الحزبية في الوطن العربي يستطيع ان يصل الى النتائج التالية :

اولا : الاقليمية : عملت الاحزاب في البلاد العربية بعد الحرب العالمية الاولى ضمن الحدود الاقليمية التي فرضها الاستعمار . ولم يشذ عن هذه القاعدة الا حركة القوميين العرب والبعثيين وجماعة الاخوان المسلمين والحزب القومي السوري الاجتماعي . فاذا اخذنا حزب البعث العربي الاشتراكي مثلا من بين هذه الاحزاب والجماعات لانه حزب قومي عربي وجدنا ان حزب البعث في تنظيماته راعى الحدود المصطنعة فاوجد قيادة قطرية في كل قطر عربي ، ولضعف القيادة القومية اخذت كل قيادة تعمل وكأنها مستقلة استقلالا تاما ، حتى ظهر في الحزب شعور بأن الحزب اصبح احزابا قطرية وقد جرت محاولة في اواخر سنة ١٩٥٩ لتلافي نقطة الضعف هذه ولكنها لم تنجح .

هذه ظاهرة تستحق الدرس ، واذا كانت الاحزاب والجماعات الرجعية تمثل الاوضاع المصطنعة فحزب البعث يمثل الثورة عليها . صحيح ان تنظيمات الحزب القومية كانت تحديا للتجزئة ولكن هذا التحدي كان ضعيفا . ذلك ان تحدي البعثيين ـ كما بيناـ كان يتقيد بالأطر السياسية للكيانات المصطنعة فهو نضال وحدوي من داخل البرلمان السوري ومن داخل البرلمان الاردني ... و .. ، كانت قاعدة العمل : نحن نعمل ضمن هذه الاجهزة ولكننا لا نؤمن بها ، بدلا من ان تكون : نحن لن نعمل ضمن هذه الاجهزة لاننا لا نؤمن بها .

ثانيا : ضعف النفوذ : كانت الحركات العاملة ضد الاستعمار الخارجي تبدو قوية واسعة النفوذ مثل حزب الوفد في مصر وحزب الاستقلال ـ قبل الانشقاق ـ في مراكش والحزب الدستوري الجديد في تونس ، اما الاحزاب ذات الشعارات التقدمية كلها فقد كانت ضعيفة هزيلة النفوذ . فاذا اخذنا حزب البعث العربي الاشتراكي مثلا ، وجدنا انه لم يدخل اكثر من نصف الاقطار العربية حتى سنة ١٩٥٧ . ووجدنا انه كان هزيل النفوذ في الاقطار التي وصلت فيها قوته الذروة مثل سورية والاردن . فحزب البعث العربي الاشتراكي حزب الطلبة وأوساط

المثقفين لم يصبح حزب العمال والفلاحين ، ولم ينظم قواعد كافية ومتينة في الاوساط الجماهيرية تستطيع ان تحرك الجماهير وأن تقودها . وعندما اصبح حزبا واسع السمعة خلال سنوات ١٩٥٦ و١٩٥٧ كانت سمعته اكبر من تنظيمه .

وليس في الوطن العربي اليوم ولم يكن في الايام السابقة حزب رجعي او تقدمي يحكم بأغلبية برلمانية . ففي سورية قبل الوحدة وبعدها كانت الاحزاب كلها تقتسم عددا من المقاعد تساوي نصف مقاعد البرلمان او اكثر قليلا ، بينما تكون البقية للمستقلين . ولقد حصل حزب الشعب في الانتخابات الاخيرة بسورية على ثلاثين مقعدا من اصل ١٧٢ ، وعلى الرغم من ذلك فلقد كان اكثر الاحزاب من حيث المقاعد. وفي الاردن في انتخابات ١٩٥٦ حصل الحزب الوطني الاشتراكي على ثمانية مقاعد من اربعين مقعدا ولم يحصل حزب البعث على اكثر من مقعدين والحزب الشيوعي على اكثر من مقعدين ، وهكذا ...

اما في لبنان فالوضع يعطي مثلا أفضل من المثلين السابقين ...

وكان حزب الوفد يحصل على عدد كبير من المقاعد لاسباب خاصة لا تتعلق بمدى نفوذه ، وذلك انه حزب النضال ضد السلطة الاجنبية المحتلة وصفته هذه جعلته يحتل مكانه لدى الجماهير دون ان يكون له نفوذ فعلي ناشىء عن ارتباط وثيق موجّه.

وتشير كل الدلائل الى اثبات حقيقة واحدة هي ضعف نفوذ الاحزاب وضيق مجال انتشارها وهزال اثرها في المجتمع .

ثالثا : التنظيم : ان التنظيم هو المقياس الذي نحكم من خلاله على الاحزاب والحركات الاجتماعية ، فأية حركة تكون ناجحة بمقدار تماسك تنظيمها . وليس في احزاب السياسيين المحترفين ما يدل على تنظيم ، اما الاحزاب الاخرى ، رجعية او تقدمية ، فهي تتفاوت في قوة تنظيمها . وقد قدمنا لمحات عن مدى التنظيم في حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي في سورية ولبنان في صفحات سابقة فما من حاجة للحديث مرة اخرى .

لقد عرف عن الاخوان المسلمين في مصر قوة تنظيمهم ولكنه تبعثر بسهولة فيما بعد ، كما ان الحزب القومي السوري الاجتماعي عرف «بتنظيم نازي» كانت له آثاره من حيث طاعة الحزبيين ، وانصياعهم للقيادات ، وتنفيذهم للأوامر وهو ولا شك حزب الرجعية العسكري المنظم .

هناك حقيقة لا بد من قولها ، وهي انه ما من فئة او جماعة او حزب عرفت او عرف بفلسفة في التنظيم او فكرة واضحة عنه غير الشيوعية طبعا ، وكل ما هنالك تنظيمات تنمو وتتبعثر حسب الظروف الخارجية .

رابعا : النظرية : لم تعرف اي فئة او جماعة باكتمال «التفكير النظري» واذا استثنينا الشيوعيين لا نجد فئة او جماعة تتضح معالم فكرتها ، وحدود عقيدتها . لقد ارتبط الارتباك التنظيمي بارتباك نظري ، ووقع الشيوعيون اصحاب النظرية في المزالق التي وقع فيها غيرهم . وكانت مأساة الفكر في الاحزاب تعبيرا عن مأساة الفكر عامة في وطننا .

خامسا : الزعامة الفردية : هنالك ظاهرة تبدو في جميع الاحزاب، هذه الظاهرة

هي ظاهرة الزعامة الفردية . فميشيل عفلق في حزب البعث العربي الاشتراكي ، كخالد بكداش في الحزب الشيوعي ، كالامام حسن البنا في جماعة الاخوان المسلمين كجنبلاط في الحزب التقدمي الاشتراكي كأنطون سعاده في الحزب السوري القومي الاجتماعي ، كلهم زعماء فرديون تمتعوا بنفوذ واسع جدا ، وكانت اجهزة الاحزاب مربوطة «بأمزجتهم» (١) . ومن الغريب ان نجد بعض الاحزاب تنص في دساتيرها على شيء من هذا القبيل . ففي مقدمة دستور الحزب السوري القومي الاجتماعي نجد «قسم الزعامة» الذي اداه انطون سعاده زعيم الحزب والذي يقول فيه : «وان اتولى زعامة الحزب السوري القومي الاجتماعي واستعمل سلطة الزعامة وقوتها وصلاحياتها في سبيل فلاح الحزب وتحقيق قضيته» . ليس هذا فحسب بل ان جماعة القوميين السوريين قبلوا ان يكون قيام الحزب «تعاقدا بين الشارع صاحب الدعوة الى القومية السورية الاجتماعية وبين المقبلين على الدعوة» (٢) .

وكانت مثل هذه النزعات الفردية تحول الاحزاب من منظمات سياسية الى تجمعات قبلية . لقد حل الحزب مكان القبيلة حيث تلاشت القبيلة ، وحل زعيم الحزب محل زعيم القبيلة (٣) .

لهذا كله ، كانت معظم المنظمات الحزبية متخلفة في الوعي والتنظيم وعاجزة عن ان تقوم بجزء من وواجبها في معركة التحرر الشاملة . عجزت عن ان تنظم قواعدها تنظيما يجعل منها قوة تحرير وبناء . وعجزت عن ان تطرح فكرة مجتمع نادت بوجوب قيامه ، وتجعلها عقيدة الملايين . وعجزت عن ان تنشىء علاقات حميمة مع جماهير الثورة ، العمال والفلاحين . ولهذا كله ابتعدت عن مجرى الثورة ، ولم تكن قوة دفع في مسيرتها .

---

١ ـ وما ذكرناه بصدد الزعامات الفردية ليس مقارنة بين الاشخاص المذكورة اسماؤهم ، فلا شك ان بينهم فروقا شخصية ومبدئية كبيرة كالفروق بين الاشتراكي والنازي والرجعي . المقصود هنا هو التدليل على وجود الزعامات الفردية فقط ، وهذا لا يمنع ان يكون هناك تباين في تطبيق الديمقراطية داخل الاحزاب المختلفة . فبينما الغى الشيوعيون الديمقراطية الداخلية عمليا ، حافظ البعثيون عليها .

٢ ـ الاحزاب السياسية في سورية ـ دار الرواد دمشق ـ صفحة ٧١ .

٣ ـ حدثت «انتفاضات» ضد هذه القيادات فيما بعد .

الفصل الخامس

مشروع عمل ثوري
ثلاثة اسئلة

ان التفكير بعمل ثوري يفرض عليّ ثلاثة اسئلة .

١ ــ كيف نبدأ ...؟

٢ ــ من هم الذين سيبدأون ...؟

٣ ــ لماذا نبدأ ...؟

السؤال الاول يحدد فكرة الثورة واسلوبها .

والسؤال الثاني يحدد طليعتها وجماهيرها .

اما السؤال الثالث فيجب ان يكون اجابة واضحة لغايات الثورة وأهدافها .

وسنجيب على السؤال الاول اولا ، لان تحديد الفكرة والاسلوب يعيننا على تحديد هوية الذين سيحملون مسؤولية النضال ، وبذلك نجد انفسنا وجها لوجه ، امام السؤال الثاني ، امام الطليعة الثورية وجماهيرها . الا ان «الطليعة الثورية وجماهيرها» ، تظل فكرة غامضة اذا لم تفصح عن هويتها محددة مبرراتها وغاياتها. وهذا هو هدف السؤال الثالث .

١ ــ كيف نبدأ ؟..

الاجابة الاولية على هذا السؤال فكرية . الفكر هو الذي يحدد الجواب . الفكر هو الذي يبدأ الثورة ، هو الذي يبلورها . والفكر الذي يبدأ الثورة لا يكون مجرد

اجابة على السؤال ، فهو عندما يعلن الرفض يتبناه ، والتبني هذا يجعل الفكرة منظمة ، يختلف عدد أفرادها باختلاف الظروف ، الا انها تظل تنمو وتنمو . المنظمة هي الصورة الاجتماعية للفكرة ، وهذه الصورة لا يمكن ان تتضح الا بالنضال ، فالنضال ، هو طريق الخروج الحقيقي ، والانشقاق الضروري لميلاد جديد .

فبالفكرة التي تتحد «بالمنظمة» ، و«بالمنظمة» التي تعبر عن نفسها «بالنضال»، تكون البداية .

«المنظمة ــ الفكرة» هي التي تستطيع ان تحرك الجماهير ، وهي التي تستطيع ان تنظمها ، وهي التي تستطيع ان تقودها ، لانها تطرح أمامها طرحا ثوريا قيم حياة جديدة ، ولانها تستنفر في عروقها ، شعورا غامرا بالثقة والقوة . وهي الى جانب هذا كله ، تكشف بتماسكها ، ونبل اعضائها وفعاليتهم ، تفسخ المجتمع وانحلاله وتبعثر فعالياته .

«فالمنظمة ــ الفكرة» على هذا الاساس رفض كلي وشامل لقيم المجتمع المنحل وأخلاقه . وهي بهذا ثورة شاملة .

عندما تولد «المنظمة ــ الفكرة» تولد الثورة . والثورة هي عملية الرفض الشمولي الواعي ، الذي يختار النضال ، كل اساليب النضال ، من اجل تحقيق اهدافه .

«والمنظمة ــ الفكرة» هي التي تجعل الرفض الشمولي ، ثوريا عندما تهيىء له ادواته الحية ، المناضلين ، وتجعل منهم مقاييس حياة جديدة ، وينابيع فعاليات لا تنحد . ولقد كانت اسباب هذا البدء مهيأة في الماضي ، الا ان المثقفين لم يؤدوا واجب الفكرة للثورة ، فكانت المنظمة تلد بلا فكرة ، او بفكرة غائمة ، وهذا ما جعل الثورات اشبه ما تكون بالعواصف .

«المنظمة ــ الفكرة» هي البدء .

«المنظمة ــ الفكرة» عقيدتها الثورة ، لانها عملية رفض شمولي واع ، وأسلوبها النضال ، لانه تعبيرها الحي عن فعاليتها وقوتها ووضوحها .

٢ ــ من الذين سيبدأون ؟..

«المنظمة ــ الفكرة» هي التي تبدأ .

وما دامت «المنظمة ــ الفكرة» عملية رفض شمولي واعٍ فانها ولا شك ستبدأ «بالمناضلين ــ النماذج» . والمناضلون النماذج ليسوا مخلوقات جاهزة من الممكن ان تتهيأ عندما يعلن النفير ، انهم أناس عاديون يرفعهم جو المنظمة الثوري الى مستوى النماذج . المنظمة قد تبدأ بنفر ، لكنها ما ان تتكون حتى تصبح مقاييسها فوق هذا النفر نفسه ، حتى تصبح ذات قوة خاصة فاعلة ، وقوتها الخاصة الفاعلة هذه ، هي التي تجعلها حركة آثارها غير محدودة .

الا اننا في البدء لا بد ان نحدد ملامح هؤلاء «المناضلين ـ النماذج» ، لا لاننا نعرفهم ، بل لاننا نرى هذه الملامح من خلال تصورنا للمشكلة . انهم ولا شك الاكثر احساسا بالازمة ، والاكثر ادراكا لظروفها الموضوعية ، والاكثر استعدادا لتحمل مسؤولية حلها . فاذا كانت الازمة تتحدد بانحدار في الخلق ، واضطراب في القيم ، وبؤس في كل نواحي الحياة الاجتماعية ، فانهم لا بد ان يمثلوا سموا في الخلق ، وتمسكا بالقيم ، وغنى في العطاء والخلق والفداء . وهذه الصفات عامة لا يتضح معناها الحقيقي الا عندما نرد على السؤال الثالث لماذا نبدأ ؟

٣ ـ لماذا نبدأ ؟

لماذا نبدأ ؟.. مرادفة طبعا للماذا نثور . والثورة عندما تحدث ، تحدث استجابة لحاجات ونتيجة لظروف موضوعية . وهذه الظروف الموضوعية هي التي تفسر الثورة وتبررها ، غير اننا نريد هنا ان نميز بين نوعين من الثورات ، الاول : الثورة العفوية التي قد لا تحدث تغييرا او قد تحدث تغييرا جزئيا ، والثاني : الثورة الواعية التي تسعى لاحداث تغيير جذري في الحياة الاجتماعية . وهذا التمييز يجعلنا قادرين على التفريق ، بين الثائر الذي يحمل السلاح انتقاما ، والثوري الذي يحمله التزاما . الثائر قد لا يعرف ما يريد بالضبط ، اما الثوري فانه لا بد ان يعرف ما يريد .

ولقد عرفنا نماذج الثائر في الوطن العربي ، وفي العالم . عرفناه في ثورة العراق سنة ١٩١٩ . وعرفناه في ثورة سورية سنة ١٩٢٥ . وعرفناه في ثورة فلسطين سنة ١٩٣٦ . اما الثوري فلم نعرفه بعد .

الثائر ... رفع لنا شعارا كبيرا اسمه الاستقلال ، «الاستقلال الناجز» ، ولكنه في الوقت ذاته ساوم على «شبه استقلال» . ولم يكن الفرق بين الاستقلال وشبه الاستقلال كبيرا بالنسبة له ، فهو فرق كمي ، فرق في الدرجة لا في النوع ، وما لم يؤخذ اليوم يؤخذ غدا .

فما الشعار الذي يجب ان يرفعه الثوري ؟ انه بالطبع شعار الانقلاب الجذري الشامل ، والفرق بين الاستقلال والانقلاب الجذري الشامل ، هو الفرق بين ثورة الثائر وثورة الثوري . ولقد فشلت «ثورة الثائر» في الوطن العربي لان جماهيرها عجزت عن فهم المشكلة ، والاحاطة بأطرافها ، ولأن قيادتها لم تكن من قاعدتها ، زيادة على ان مصالحها كانت تتضارب مع مصالح القاعدة .

وثورة الثوري هي التي تضع حدا لمشاكل من هذا القبيل . «ثورة الثوري» هي التي تقول لماذا وكيف نبدأ ؟ وثورة الثوري هي التي تطرح امامنا الفكرة وقيمها ومثلها . تقدم لنا النظرية ، والنموذج الحي . تدعونا لان نفكر ونعمل في الوقت ذاته .

«ثورة الثوري» تطرح قضية الوجود كله ، الماضي والحاضر والمستقبل ، الانسان والتراب والوقت ، الفقر والغنى ، الجدب والخصب ، التفاهة والابداع ، وتنظر لكل هذه الامور من خلال الانسان وتقدمه .

ثورة الثوري تقول : اننا نبدأ ، لنبعث انسانا ، لنحقق وحدة أمة ، لنخضع كل الشروط المادية لبرنامج التقدم ، لنجعل الجدب خصبا ، والفقـــر اكتفاء ، والتمزق صفاء .

الثورة ... لماذا ..؟

عندما تتخثر العلاقات الاجتماعية وتضرب القيم ، وتتجمد الفعاليات الانسانية، تصبح الثورة دفاعا عن البقاء وتحديا وخلقا ، فهي :

اولا : تعيد للفرد الممزق الضائع صفاء خالقا والتزاما بطوليا ، تمنحه الثقـة بنفسه ، من خلال التمرس بالنضال الطويل ، وتعلمه احترام القيم والالتزام بها . انها تواجه الفرد الممزق الضائع ، والقيم المضطربة البالية ، بالفرد الصافي الملتزم والقيم المشرقة الحية ، وتجعل من الصراع مع النفس والقوى الخارجية ، خـــير اختبار للقوى المتصارعة .

ثانيا : تعيد للمجتمع المتناحر الجامد ، وحدته وحيويته ، فهي :

أ ــ تلتزم بفكرة انهاء الاستغلال السياسي ، تحرر الدولة من الفئة والمصلحـة الخاصـة .

ب ــ تلتزم بفكرة انهاء التناقضات الاجتماعية ، تحرير المستغَل والمستغِل ، والجائع والمتخم .

ج ــ تحرك الاوساط الراكدة من المجتمع ، وتفجر طاقاتها الكامنة ، وتجعـل منها قوى عالم جديد حافل بالخلق والابداع .

ثالثا : تحرر الارادة من عقال الحياة اليومية ، وتحرر الزمن من رتابته العادية. الثورة تلغي الحياة اليومية العادية ، وتلغي الزمن العابر ولهذا يصبح التغيير سهلا، فالتقاليد التي كانت اقسى من الصخر تتفتت ، والقوانين التي ألفها الناس تزول، وهج الثورة الساحر يغير كل شيء ويصقل كل شيء ، ولهذا ايضا تتم الثورة في سنوات ما تعجز أجيال عن اتمامه .

عندما تحدث الثورة يصبح كل ما هو موجود خاضعا لمقاييسها . فالمجتمع المنحل يزداد انحلالا ، والقيم المضطربة تزداد اضطرابا ، والعلاقات الاجتماعية تخضـــع للتطورات ذاتها ، وخلال الفوضى هذه ، حين لا تصبح العلاقة بين الاخ واخيه والابن وابيه مجرد علاقة دم ، وحين يتجرد المال من قداسة الحياة اليومية لان الدم اصبح رخيصا، في مثل هذه اللحظات يصبح المجتمع عجينة لينة متماسكة في يد فنان ماهر هو « الثورة » .

وعلى هذا فالثورة العربية ضرورية :

اولا : لتنهي مشكلة القيادة السياسية بشقيها :

أ ــ تعدد الفئات الحاكمة .

ب ــ التضارب بين مصلحة القيادة والقاعدة .
ثانيا : لتنهي مشكلة التجزئة بشقيها :
أ ــ التجزئة السياسية الناتجة عن وجود صور مصطنعة ودويلات هزيلة .
ب ــ التجزئة الاجتماعية الناتجة عن وجود مستغِل ومستغَل .
ثالثا : لتنهي مشكلة تبعثر فعاليات المواطنين وشللهم ، فعليها :
أ ــ ان تنهي مشكلة البطالة ، في المدينة والريف والبادية .
ب ــ ان تنسق الفعاليات الاجتماعية تنسيقا واعيا .
ج ــ ان تهيىء الظروف المادية المناسبة لتفتح الانسان وانطلاقه .
رابعا : لتحقق حرية المواطن الكاملة من :
أ ــ عبودية الجوع والمرض والجهل .
ب ــ عبودية الخرافات والتقاليد البالية .
ج ــ عبودية الانحلال الاوربي الحديث .
هـ ــ عبودية الكسل والخنوع .
د ــ عبودية الخوف واللامبالاة ..

ولهذه المسألة وجهان :

الاول : سياسي ، ويتعلق بانهاء الاستعمار والصهيونية والاقطاع وحكم الفئات المستغِلة .

الثاني : اجتماعي ، ويتعلق بانهاء الظروف الاجتماعية التي صحبت وجود الاستعمار والاقطاع والاستغلال ، والتي قد تستمر بعده اذا ما تحولت «الثورة» الى « استقلال » .

ولن يدرك دوافع الثورة واهدافها الا هؤلاء الذين يطلقون عيونهم في ازقة الحياة العربية ليروا بشجاعة بشاعة الجريمة ، وهول العذاب ، وجدب الحياة .

ولن يعرف معنى الثورة غير اولئك الذين يعصر قلوبهم الالم ، ويملأ نفوسهم الحب .

الثورة التي تعيد الثقة والقوة والصفاء للانسان ، والخصوبة والغنى للأرض ، والحركة والمعنى للزمن ، هذه الثورة هي الخلاص .

لكي نحرر مائة وأربعين مليونا من العرب(١) الذين يعيشون في اكثر الاحوال سوءا منذ قرون ، والذين ينجبون كل عام اكثر من مليون انسان . لكي نعوض ما مضى ، ونؤمّن ما سيأتي ، لا بد من الثورة .

ولكي يزول انحلال المدينة ، وجمود الريف وانقطاع البادية ، وتزول التناقضات بين المدينة والريف ، ويتحرر المواطنون من عبودية الحاجة ، ومن عبودية صاحب المال وصاحب الارض ، ويتخلصوا من ضعفهم وهزالهم وجمودهم . لكل ذلك لا بد من الثورة .

(١) أصبح العدد الآن حوالي مائة وستين مليوناً .

القوى الثورية

ما دامت «المنظمة ـ الفكرة» غير موجودة فالقوى الثورية غير متوافرة ، ذلك ان وجود هذه مرهون بوجود تلك . ولكن توافر عوامل الثورة وقوة هذه العوامل ، تعطي القوى الثائرة في كثير من الاحيان صفات القوى الثورية . وهذا هو الوضع في الجمهورية العربية الآن .

الجمهورية الآن هي طليعة القوى الثائرة في الوطن العربي ، وفكرتها الثورية تزداد كل يوم وضوحا وشمولا . ولكي تتحول هذه القوى الثائرة الى قوى ثورية لا بد لها من ان تجعل «المنظمة ـ الفكرة» محور وضوحها وعمقها وشمولها . وما دامت الشعارات قومية عربية ، فيجب ان تنسجم المنظمة ـ الفكرة مع الشعارات، ان تكون قومية عربية ، ذلك لان وظيفتها ايجاد تيار واحد ، واحداث انقلاب واحد، ومن واجباتها الاساسية القضاء على التناقضات الحزبية والمذهبية داخل الحركة الوطنيـــة .

«المنظمة ـ الفكرة» لا تسعى لان تكون حزبا بالمعنى التقليدي ، لانها عندمـــا تصبح حزبا بهذا المعنى تتحول الى تجمع مذهبي قد يرفع شعارات ثورية ولكنه اصلاحي في الواقع ، و«المنظمة ـ الفكرة» لا تسعى للحكم ، بل تعمل من اجل الثـــورة .

ولهذا فهي لا تكون لتنادي بالاشتراكية عن منبر برلمان بل لتطبقها فـــي ميدان العمل الثوري .

والمنظمة ـ الفكرة التي قامت لتنهي كل التناقضات الاجتماعية لا يمكـــن ان تتعايش مع المنظمات المعادية ، لانها عندما تقبل ذلك تتنازل عن ثورتها . مهمـــة «المنظمة ـ الفكرة» ايجاد الطلائع الموحدة فكرا وعقيدة وعملا ، القادرة على استقطاب كل عناصر الشعب الخيرة ، وقيادتها في معركة الحرية والبقاء .

وهنالك ثلاثة اوساط «للمنظمة ـ الفكرة» :

اولا : عناصر خيرة من المثقفين ، حددناها في المعطيات الاولية للحركة العربية الثوريـــة .

ثانيا : العمال ، قوى الثورة الرئيسية في المدن .

ثالثا : الفلاحون ، الاكثرية الساحقة من ابناء هذه الامة والفئات الاكثر شعورا بالظلم والاضطهاد .

وعندما تستكمل «المنظمة ـ الفكرة» استعدادها تستقطب هذه الفئات كلها ، تستنفر الريف كله ، والعمال كلهم ، والمثقفين الخيرين كلهم . الا ان مصدر القوى الثورية الاول عندنا وفي كل البلاد المتخلفة هو الريف ... الريف الموحد بفقره وبؤسه وتقاليده وشظفه . الريفي لا يتظاهر ، لا يضرب ، لا يطالب بزيادة اجر عن طريق نقابة ، الريفي يحمل بندقية ليحارب دولة قائمة .

ولقد ظل «الريفي» في الماضي معزولا . ذلك ان المثقف المتفرنج «كان يناضل بالبرنيطة والقميص المنشى» ... كان يناضل من اجل ان يلبس الشعب «برانيط»، من اجل ان يحكم هو ، وتتاح له حرية الاستغلال . وكان الشعب لا يفهم حديث هؤلاء ، لانه لم يطالب يوما «ببرانيط» . الشعب يريد الخبز والكرامة . وما استطاع الشعب ان يدرك كيف يتحدث مستغلوه : الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف ـ عن الحقوق والواجبات ، والامة والتقدم . وهم هم الذين اذلوه وأهانوه وأثروا من جوعه وحرمانه .

وزيادة على هذا كان «المثقف المتفرنج» يتجاهله، يعامله معاملة العبد في مزرعته، فاذا ما خاطبه يوما فلكي ينتزع منه «صوته» ، لكي يقول له : «نحن الامناء على مصلحتك وسنعمل من اجلك باذن الله» ، وهو ليس مدعوا للعمل ، انه مدعو للصمت ، «فالمثقف المتفرنج» هو الذي سيعمل .

وساعد الريفي على الاستمرار في عزلته ان «الحزبية» انصرفت بالنضال عن طريق الثورة الى طريق البرلمان ، وعن طريق العمل الثوري الى طريق الخطاب والمظاهرة والاضراب ، وليست هذه طريقه . ولذلك لم نجد مثلا قواعد ريفية قوية لحزب البعث الغربي الاشتراكي ، تساوي او تتقارب مع قواعده المدنية قوة .

عناصر القوى الثورية ثلاثة : الفلاحون والعمال والعناصر الخيرة من المثقفين ، وبوحدة هذه العناصر وتفاعلها تنمو القوى الثورية وتتعاظم .

القوى الثورية بين الحزب والنقابة

كان طلاق بين الثورات المسلحة والاحزاب في الوطن العربي . مـــا من ثورة مسلحة اعدها حزب ، كانت الثورات تندفع ما بين فترة واخرى لتفاقم النقمـــة ، لان شرارة كانت تنطلق فتحرك البركان . ومشكلة هذه الثورات ان قياداتها كانت من غير قواعدها ، من العائلات المستغلة في المدينة والريف .

ولقد حدث اكثر هذه الثورات خلال عهود الاستعمـــار الاجنبـــي . وكان يؤدي طبعا الى «شبه استقلال» تحكم فيه العائلات : الاقطاعي والرأسمالي والسيـــاسي المحترف . وفي عهود «الاستقلال» هذه تظل قيادة «العمل السياسي» في المدينة، ويرفع «المثقف» شعارات عديدة : الحرية الفردية ، الدفاع عن الاستقـــلال ، الدستور ... الخ ، ويقيم تنظيماته التي تتبنى هذه الشعارات . ولكن «المثقف» ينكر الثورة ، يرفضها ، اذ ان «حكم الشعب» في نظره ، يتم اذا تنازعت فئـــات مختلفة الحكم . اما مطالبه فهي بسيطة : جريدة حرة في حدود القانون ، انتخابات حرة ، برلمان يتصايح من على منبره الخطباء ، وهو لا يرى حاجة للثورة ، فـــان لم تتحقق هذه المطالب وديا عرف الطريق : المظاهرة والاضراب والمظاهرة والاضراب.

وفي عهود الاستقلال هذه يجمد الريف . فهو في الماضي كان يستجيب لدعوة السلاح ، عندما كان يورطه المثقف ، لان في ذلك دفاعا عن كرامة ، ورفضا لذل، اما اليوم فالمثقف غريب عنه ، شعاراته غريبة عنه ، ولا تصل مسامعه في اكثـــر الاحيان : الحريات ، الدستور .. الخ .. الخ شعارات لا تعنيه كثيرا . فهـــو لـــن ينال شيئا من الدستور لان الدستور لا يحرره من ظلم وفقر ومرض ، وهو لا يفهم كثيرا ما عناه المثقف بالحريات ، لان الريف لا يتعرض لكثـــير من مشاكل المدينة . المدينة تحس بالرقيب الصحفي ، لانها تشهد ايقاف صحيفة وصحيفة وصحيفـــة

---

١ ــ كانت ثورة الجزائر فيما بعد خروجا على هذه القاعدة . ذلك ان الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف لم يستطيعوا ان يساوموا على الثورة .

عن الصدور ، ومنع توزيع صحيفة وصحيفة وصحيفة ، وكتاب وكتاب وكتاب . والمدينة تعرف رجال المباحث ، لانها تراهم كل يوم عيونا على الناس في مآكلهم ، ومشاربهم ، وغدواتهم وروحاتهم ، وتعرفهم جيدا عقب توزيع كل منشور،وتفريق كل مظاهرة ، وانهاء كل اضراب . اما الريف فهو لا يعرف من الدولة الا انها سلطة مستغلة غاشمة ، يتحداها بتجاوز قوانينها . المدينة ترفض جزئيا ، تناضل من اجل سيادة القانون ، حتى لا يسجن انسان الا بموجب القانون ، ولا توقف صحيفة عن الصدور ، الا بموجب القانون الخ . وهكذا تجعل المدينة القانون سيدا مطلقا ، وان كانت تناضل من اجل سيادته نضالا جزئيا ، فهي هكذا ترى الامور بعين نصف مبصرة ، اما الريف فهو يرفض كليا ، ذلك انه لا يرى من الدولة الا انها سلطة غاشمة مستغلة ، وهو يكرهها ، يكره شرطتها وجباة ضرائبها ، ويود ان يبقى بعيدا عنها ، ويظل كاظما على غيظ حتى يذر قرن الثورة فتتحرك قواه الجبارة .

ولعل من اهم اسباب الفرقة بين «المثقف» والريفي في ميدان النضال ، ان الثاني يكفر بأساليب الاول ، اساليب «المثقف» . فهو لا يصدق ان المظاهرة والاضراب والمنشور تستطيع ان تحدث ثورة ، وكثيرا ما طرح الريفي هذه الحقيقة على «المثقف» ، وقال له : «اسمع يا عمي ، «العين لا تقاوم المخرز» (١) اعطني بندقية وسترى» .

وكان هذا الطلاق يحصر العمل في المدينة ، وفي اوساط محدودة من المثقفين والعمال ، ويعطي القضية طابعها جزئيا . ذهبت المعركة مع الاستعمار المكشوف سدى ، ذلك ان القوى الهائلة التي كانت تتحرك ضد الاستعمار لم توجه الى طريق الثورة الشاملة ، لقد رفعوا لها علما سموه علم «الاستقلال» ، وأرادوا لها ألا تتخطى ظله ، والا تفهم من معنى الاستقلال الا جلاء الجندي المحتل او بقاءه بموجب معاهدة . وعندما بدأت مرحلة «شبه الاستقلال» حوّل «المثقف» القضية الى مسألة سخيفة : المطالبة بالدستور ، حماية الاستقلال ، الركض من اجل الوصول الى البرلمان .

---

١ ــ مثل شعبي ، والمخرز آلة يستعملها الاسكاف .

المنهج

القضية تبدو الآن بوجهين : الاول : نظري . والثاني : عملي . وسنبحث كلا منهما بالتفصيل فيما يلي .

الناحية النظرية

اولا : الناحية النظرية : وفيها اربعة ابحاث هي :
١ ـ معركة الوحدة والتحرر والإشتراكية واحدة .
٢ ـ الثورة وحكم الشعب .
٣ ـ الثورة والاشتراكية .
٤ ـ الثورة والعمل الثوري .

١ ـ «المعركة الواحدة»

ان الرؤية النافذة تجعلنا ندرك مدى ترابط الظواهر التي نحاربها : الاقطاع ، التجزئة ، الاستعمار . ولهذا فالرؤية النافذة ذاتها ، تجعلنا ندرك ضرورة جعل المعركة واحدة . ذلك اننا اذا ما قصرنا النضال ضد القوى المحتلة ، فسيجني الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف ثمرة هذا النضال ، وسيعمل الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف على بعثرة قوى الثورة وتضليلها . وسيتحول النضال الى نضال جزئي ـ كما ذكرنا .

البلاد العربية لم تتحرر من المستعمر والاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف بعد ، المنطقة كلها منطقة نفوذ استعماري ، اقطاعي ، مالي ، وادراك الوحدة بين هذه الظواهر ضروري لانه يؤدي الى نتيجة حاسمة ، هي تصور القضية ـ قضية الشعب ـ تصورا كليا ، وابرازها للجماهير بكل جوانبها .

ويساعد على وعي هذه الناحية عاملان :

الاول : ان وعي الجماهير قد ارتفع ارتفاعا كبيرا عما كان عليه من سنوات .

الثاني : ان ارتفاع الوعي هذا اضطر الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف الى تغيير مواقفهم ، ذلك انهم في الماضي كانوا مستعدين لتقبل فكرة المقاومة المسلحة ، لان خروج الاستعمار او انسحابه الى قواعد محدودة كان يجعل منهم حاكمين ، اما اليوم ، فالقواعد موجودة لحمايتهم . لقد اصبحت حمايتهم هدفا اساسيا للقوى الاستعمارية ، فبقاؤهم يرتبط ببقائها .

وهكذا فرض وعي الجماهير هذا الانفصال بين جماهير الشعب والاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف ، وهذا الارتباط بين هؤلاء والغاصب المحتل . ولم يبق ما يخفى في هذا المجال . واصبحت القضية تتحدد كما يلي : حيث يحكم الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف يحكم الاستعمار ، ولا ينقضي حكم الاستعمار الا حيث ينقضي حكم هؤلاء . الا ان مثل هذه القاعدة قد تقودنا الى الالتباس اذا لم نحدد مجال تطبيقها . فنحن لو طبقناها على مصر منفردة لارتكبنا خطأ فاحشا ، ذلك ان انقشاع سلطة الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف فيها ، يجعلها معرضة اكثر للخطر ما دامت المنطقة كلها منطقة نفوذ «استعماري ـ اقطاعي» .

الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف يمثلون التخلف والاستغلال والبطالة ، وهم بالطبع جميعا عملاء للاستعمار ، وعلاقتهم به علاقة حميمة ، فهم وكلاء شركاته، وممثلو مصالحه ، ومروجو بضائعه ، وهم الحاكمون باسمه . ومن تجمعات هؤلاء تقوم الآن الفئات الحاكمة في الوطن العربي . ومعرفة هذا تجعلنا ندرك ان حشد جماهير الشعب لمقاومة التخلف والاستغلال والبطالة يعني بالضبط اعلان الثورة على الاستعمار والفئات الحاكمة، على الجندي المحتل والاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف .

فليكن شعار الثورة : معركة واحدة من اجل القضاء على التخلف والاستغلال والبطالة ، معركة واحدة في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية .

٢ ـ الثورة وحكم الشعب

يطرح «المثقف» قضية حكم الشعب على انها القضية الاولى ، ويجعلها تبدأ بالانتخابات وتنتهي «بالبرلمان». وعلى الرغم من ان الوقائع اثبتت ان هذه الطريق تقود الى حكم الاقطاعي والتاجر والسياسي المحترف فان المثقف ما زال مقتنعا بها . وطريق الثورة طبعا غير طريق «البرلمان»، وما تحققه الثورة غير ما يحققه «البرلمان».

البرلمان يمثل الوضع القائم بكل تناقضاته ، فاذا كنت مرشحا لبرلمان فيجب عليك ان تطرح القضية من خلال الوضع القائم . وهكذا تصبح اصلاحيا حتى لو دعوت لانقلاب جذري .

اما الثورة فتعلن الرفض اولا ، تعلنه باسم الجماهير ، داعية الجماهير لتبنيه، وهنا تنشأ سلطة جديدة ، قوة جديدة ، هي قوة الثورة التي تأخذ في الامتداد والاتساع حتى تلغي السلطة القائمة .

والثورة خلال امتدادها واتساعها تعتمد طبعا على ارادة جماهيرية واعية . ولكنها ارادة غير «تمثيلية» . ارادة تبدو محدودة بادىء بدء ثم يأخذ نطاقها يعمق ويتسع حتى يصبح تغييرا كليا شاملا .

والفرق بين الارادة التمثيلية والارادة الثورية ، ان الناخب في الاولى مطالب بواجب بسيط ، لا يتعدى ان يكتب اسم مرشح او اثنين على ورقة ويلقي بها في صندوق . وقد يحار عند قراءة الاسماء كما يحار ابن المدينة المتسكع عندما يقرأ اعلانات الافلام . وقد يختار فلان لانه ابن المنطقة او فلان لانه ساعد عمه في قضية شخصية . اما في الثانية فيتحول الامر الى مغامرة ، الى عمل كبير . فلكي تكون ثوريا او ثائرا او نصيرا لا بد من ان تدخل تجربة مصيرية ، يتغير خلالها كل شيء في حياتك ، البرنامج اليومي الرتيب الذي تتبعه ، علاقاتك الاجتماعية ، نظراتك لحقائق الكون والحياة . وتجربة من هذا النوع اكثر صميمية وجدية من «العمل الاول» ولا شك .

وعلى هذا فالثورة تعبير حقيقي عن ارادة شعبية جدية . تعبير يتسم بالصدق والعمل والمسؤولية . الا ان هذه الارادة ليست ارادة «الوضع القائم»،ارادة «الجدب والضياع» بل ارادة المستقبل ، ارادة التطور والحياة .

ونحن عندما نطرح شعار الثورة ، يجب ان نطرح شعار : «حكم الثورة» . «وحكم الثورة» ليس تقاليد «برلمانية» نستوردها : انه عمل من اعمال الثورة ذاتها. «فالثورة» التي تقوم ضد نظام حكم لا بد ان تقترح نظام حكم جديد . ونظام الحكم هذا لن يكون معقدا بأية حال من الاحوال . فهو ينبع من الارادة الثورية،وينحصر في القوى الثورية العاملة ، ويكتسب مبرر وجوده من فكرته ، من اهدافه الانشائية. ويقاس مدى نجاحه او فشله ليس برضا الناخبين بل بالتوافق بين الفكرة والعمل. مقياس الفكرة يظل الفيصل . وهو مقياس اخلاقي على كل حال .

وكلما انتشرت قواعد الثورة انتشرت معها مبادئها ، فاذا ما انتصرت وتسلمت زمام القيادة السياسية تحولت الدولة من دولة تحكم باسم فئة .. مصلحة ، الى دولة تحكم باسم جماهير الشعب ، كل شخص في اجهزتها مؤمن بفكرتها ، عامل من اجلها . اما الرقابة فهي ثورية ، رقابة القوى الثورية على نفسها،ورقابة الجماهير عليها . اما رقابة القوى الثورية على نفسها فهي التي تتخذ طابع الصرامة والعمق . وهي التي تمنع تجمد القوى الثورية او انحرافها ، وتكون رقابة شعبية حقيقية كلما اتسعت قواعد القوى الثورية ، وتوطدت صلتها بالجماهير .

«الثورة» تزيل الانفصال بين الدولة والجماهير ، و «حكم الثورة» هو حكم يقوم على اساس زوال التناقضات الاجتماعية كلها بين الفئة والفئة والدولة ممثلة الفئة والجماهير . ولهذا لا تسمح الثورة لاي من هذه التناقضات بالتعبير عن نفسه .

وبمقدار ما يمثل «الحكم البرلماني» التناقض والاضطراب يمثل حكم الثورة حكم الفكرة والارادة الثورية التماسك والقوة . فماذا يحقق النظام البرلماني من الحرية؟ وهل ينسجم مع مبادىء الثورة العربية ؟

الحقيقة ان هذا النظام لا يحقق القليل من الحرية الا حين تضمن «الرأسمالية المستغلة» مركزا ممتازا لا تنازع عليه . فاذا ما نظرنا اليه يجب ان ننظر اليه ، من زاويتين :

١ ــ انه نظام الحكم ليس في بريطانيا او امريكا فحسب ، بل في اكثر الدول غير الاشتراكية .

٢ ــ ان هنالك ظروفا خاصة لكل دولة من الدول الآخذة به ، وان هذه الظروف تؤثر سلبا او ايجابا في نجاحه او فشله النسبيين .

وعلى هذا فانني لا أستطيع ان انظر الى نظام الحكم في بريطانيا ، دون ان انظر الى نظام الحكم في الاردن او سورية . ولا استطيع ان انظر الى نظام الحكم في بريطانيا دون ان اعود الى الازمات التي مر بها والمعارك التي خاضها العمال،ومستوى تنظيم العمال وقوتهم في بريطانيا ، فاذا نظرنا بمثل هذا المنظار بانت لنا حقيقتان :

الاولى : ان هذا النظام ، تعرض لهزات عنيفة في بريطانيا نفسها ، وانه فشل في اكثر بلدان اوربة منذ نشأته . ففي المانيا لم يقم نظام «نيابي دستوري ديمقراطي حقا» ، قبل نهاية الحرب العالمية الثانية . وفي ايطاليا بدأت مشاكل النظام الديمقراطي بعد انتهاء حكم كافور سنة ١٨٦٢ . اما في فرنسا فقد ظل «النظام الديمقراطي» يتعثر حتى ايامنا . وقد مرت اسبانيا والبرتغال والنمسا ، وكثير من دول اوربة الشرقية وامريكا اللاتينية والوسطى ، بمثل هذه التجارب ، ولم تكن دول الشرق احسن حالا . فمن بين جميع الدول التي نالت الاستقلال منذ نهاية الحرب العالمية الاولى حتى الآن ، ليس هناك الا بلد واحد يطبق النظام الديمقراطي هو الهند ، مع العلم بان الهند معرضة بعد موت نهرو لهزات عنيفة ، وبأن هذا النظام لم يحقق للهند انتصارات كبيرة على الجوع والجهل والمرض .

الثانية : ان ما تحقق من الاصلاحات ضمن اطار هذا الحكم لا يرجع لهذا الحكم نفسه ، بمقدار ما يرجع للانتفاضات الشعبية . ففي بريطانيا مثلا حققت جماهير العمال انتصارات كبرى بعد معارك دامية ، وانتفاضات هائلة ، استعملت فيها الفئة المستغلة الحاكمة كل اساليب الارهاب والضغط ولكنها لم تنجح ، فاضطرت ان تتراجع امام جماهير الشعب المصممة . وكان نتيجة لتراجعها ، ان تحقق توازن في الحكم ، ضمنت فيه الفئة المستغلة مصالحها وحصل الشعب على بعض مطالبه.

وترتبط بهاتين الحقيقتين حقيقتان اخريان :

الاولى : ان ثقافة «النظام الديمقراطي» قد انتشرت في الاوساط الاجتماعية انتشارا واسعا ، وان هذه الثقافة التي تعلن المساواة لا تعطي للناس جميعا الفرص المتكافئة ، بل تجعل الغنى ارثا والفقر ارثا ، وان كانت تضمن للفئات الفقيرة بعض

الخدمات الاجتماعية ، وعن طريق تقديم مثل هذه الخدمات الاجتماعيـــة تشتري رضا الكثيرين من المظلومين . وان سبب قبول العمال في بريطانيا بنظام الحكم هذا نتج عن قبولهم الرشوة . واخلاقية «النظام الحاكم المستغل» .

الثانية : ان هناك صراعا عالميا تدور رحاه على صعيدين :

أ ـ داخل النظام الرأسمالي نفسه ، وهو صراع بين رأس المال والقوى الشعبية من جهة . وبين الشعوب المستعمرة (بكسر الميم) والشعوب المستعمرة (بفتح الميـم) من جهة اخرى .

ب ـ على صعيد المعسكرين الكبيرين الرأسمالي والاشتراكي .

ويمثل هذا الصراع في داخل النظام الرأسمالي وعلى صعيد المعسكرين الكبيرين ثقافات مختلفة ومستويات من الوعي . وهو الصراع بين الفلاح والاقطاعي ، والعامل وصاحب العمل،وصاحب الحق والغاصب. ويجب الا ننسى ان هناك امما مستعمرة (بكسر الميم) وامما مستعمرة (بفتح الميم) ، وان الامم المستعمـرة (بكسر الميم) شربت كثيرا من خمرة الاستغلال ، وانها لذلك تدافع عن ثقافة الاستغلال . وفـي الـدول الديمقراطية صاحبة البرلمانات المنتخبة انتخابا حرا تحكم «الفئة المالية المستغلة». ومن هذه الدول انطلقت الاساطيل وتحركت الجيوش لتستعبد اكثر بقاع العالم ، وما زالت تستعبد جزءا منها بعد ان تحرر جزء ، ولا نستطيع ابدا ان ننظر الـى «ديمقراطيتها» بعيدا عن هذا الاستغلال وهذا الاستعباد . كما اننا يجب ان نذكـــر دائما ما تفعله الرأسمالية المعاصرة ، لامتصاص دماء الشعوب الكثيرة ، والتسلـط عليها ، وما تقوم به للمحافظة على المناطق الرازحة تحت نفوذهـا . وليس الصراع بين (الرأسمالية المعاصرة) والشيوعية في الاتحاد السوفياتي ، الا مظهرا من مظاهر العبودية التي يمثلها دعاة الحرية الفردية ونظمهم البرلمانية. يدعي الغرب بانه يحارب الشيوعية لانها عبودية ، فلماذا لا يحارب الغرب مثلا ، النظام النازي في اسبانيـا، فهو اشد عبودية للانسان من أي نظام آخر . ولماذا تدافع الحكومات الديمقراطيـة، عن انظمة الحكم المهترئة في الشرق اذا كانت حريصة على الانسان وكرامته وحريته؟!

وليس هنالك حرية ولا كرامة في ظل الحكم البرلماني ، ففي البلدان المتخلفـة، يحوله التاجر والاقطاعي ومحترف السياسة الى «بورصة» ، وفي البلدان المتقدمة، يحوله التاجر والسياسي المحترف الى «مجلس ادارة شركة» . وفي كلتا الحالتين، تصبح مهمة التشريع واعطاء الصلاحيات ، توجيه الامور توجيها يخدم رأس المال . وعن (البورصات) او (مجالس ادارات الشركات) تصدر القرارات ، التي لا تجعـل للحرية معنى باسم القانون ، واسم ارادة الشعب . ففي البلاد المتقدمة ، يقاتـــل العامل من اجل زيادة في الاجر ، او زيادة في الضمانات الاجتماعية ، بينما يقاتـل التاجر والاقطاعي والسياسي المحترف في سبيل الدفاع عن مصالح يمثلونها . وفي البلاد المتأخرة المستعمرة (بفتح الميم) يقاتل الفلاح والعامل والمثقف في سبيل الكرامة والخبز ، وهم لا يقاتلون التاجر والاقطاعي والسياسي المحترف فقط ، بل يقاتلون مصالح اخرى ، تمثلها سفارات واساطيل ودول كبرى . انهم لا يناضلون في سبيل

«الحرية الفردية» ، بل في سبيل الكرامة والخبز .

وفي البلاد المتقدمة المستعمرة (بكسر الميم) ، قد يعطى المواطن حق حرية الكلام، كما يحدث في بريطانيا ، ولكنه لا يعطى حق رفض الموت في مستعمرة عندما تتعرض مصالح «بلاده» لخطر . فأية قيمة تبقى لما يسمونه الحرية الفردية ؟

مبادىء «الحرية الفردية» تعيش اليوم في ازمة خانقة لانها متناقضة ، لانها قد تعطي الانسان «حرية الكلام» في حدود القانون ، ولكنها لا تضمن له الخبز نفسه . وتسمح له بالكلمة ما دامت لا تغير القانون نفسه الذي قد يضمن حرية الكلام ، ولكنه يجعل الغاءها مشروعا في سبيل المحافظة على «اوضاع معينة» . ومبادىء الحرية الفردية تقدس حق الملكية ، وتقديس الملكية تكريس للاستغلال ، فاذا افترضت هذه المبادىء ان الحرية هي عمل كل ما لا يضر بالآخرين ، فان ما ينتج عنها هو كل ما يضر بالآخرين . وان كل خطوة للحد من الملكية ، انما هي ضربة قاصمة لمبادىء «الحرية الفردية» وتطور نحو الاشتراكية .

مبادىء الحرية الفردية والثورة العربية

الثورة العربية انقلاب فردي اجتماعي ، يهدف الى تحقيق مجتمع متماسك حي، وهي بهذا ليست عملا اصلاحيا يهدف الى تحقيق المزيد من الحرية الفردية او عملا برلمانيا يهدف لاقامة حياة برلمانية سليمة . والثورة العربية ليست تصحيحا لاوضاع ولا احياء لقيم ، فلها مناخها الذي سيلد قيمها ونظمها . وهذه القيم والنظم ، هي التعبير السليم عن الارادة الواعية الفاعلة للجماهير الشعبية ، القادرة على استثارة اوسع الجماهير الشعبية وتنظيمها وقيادتها ، في المعركة الحاسمة، من اجل الوحدة والحرية والاشتراكية والسلام .

وفي مناخ معين تتكون النواة ، ثم تصبح النواة منظمة ، ثم تصبح المنظمة قوى فاعلة ضاربة . وهي في حالتها الاولى عملية خلق ، وفي حالتها الثانية عملية تبلور، تتفتح فيها معالم مجتمع جديد ، يمتحن فعاليته وحيويته في اطار مجتمع فاسد وفي ظل ظروف معاشية قاسية جدا . اما في المرحلة الثالثة فتبدأ «القوى المنظمة» معركة المصير بعد ان تمر بمرحلة التبلور والتجربة . وعملية التكوين والتبلور والتحقق هذه عملية تحمل سمات اسبابها ونتائجها وتندفع بمقدار تفجر الوعي فيها وهي التي تخلق مناخا جديدا مناسبا لاكتمال تنظيمها السياسي والاجتماعي وتجسيد قيمها الثورية في مجتمع حي متماسك فعال .

وبهذا فالثورة العربية عملية رفض كلي ، رفض للواقع الفاسد ولمؤسساته وتدمير لها ، ورفض للفلسفات التي تحميه والتي تجعل من التطور الجذري المنشود اصلاحا جزئيا . الثورة العربية تطرح قضية الوجود العربي ، قضية الحياة العربية

فكرا وسلوكا، سياسة وعقيدة. وهي وسيلة الانقلاب الشامل الذي يجعل من التفكك والجمود والانحلال تماسكا وحركة وازدهارا ، ومن التناحر والتفرد والتمزق تكاتفا وتضامنا والتزاما .

والثورة العربية لهذا كله ثورة عقائدية مسلحة تنهي بالعنف ما فرضته اجيال الذلة والقلة بالعنف . الثورة العربية هي العنف الموحد المنقي المفجر لكل القوى الكامنة ، الساحق لكل الاعيب الساسة المحترفين والتجار والاقطاعيين ، الماحق كل القوى الرجعية الاستعمارية القادر على الهدم قدرته على البناء ، الصانع في سنين ما يصنعه التطور البطيء في اجيال .

وثورة من هذا النوع لا يمكن ان تسلك طريق البرلمان ولا ان تنتهي الى البرلمان. فطريق البرلمان هي طريق التطور البطيء والاصلاح الجزئي ، والبرلمان هو ملتقى الاتجاهات المتضاربة والمصالح المتحاربة ، والعمل في اطاره اشبه ما يكون بالركض في الحلقة المفرغة لا سيما في بلاد كبلادنا يخيم عليها الجهل وتمزقها العصبيات والعنعنات والمصالح ، حيث يظهر البرلمان في المناسبات كالدمية في العيد .

والنضال البرلماني لذلك ليس نضال الثورة ، واعتبار البرلمان هدفا من اهداف الانقلاب انحراف بالانقلاب عن معناه .

٣ ـ الثورة والاشتراكية

الثورة تصور كلي لقضية الشعب ، قضية حريته وحياته ، ومن اهدافها تغيير طبيعة الحكم ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية ، ومن هاتين الحقيقتين تأخذ معناها الاشتراكي ...

المعنى الاشتراكي للثورة ينطلق من مبدئين :

الاول : القضاء على التناقضات الاجتماعية .

الثاني : تحرير الدولة من الفئة ... والمصلحة .

ولمثل هذا التغيير ضرورتان متكاملتان :

الاولى : تاريخية بحتة ، فالانسان مر بمراحل تاريخية عديدة ، وعرف ضروبا من العبودية ، وهو في العصر الحديث يريد ان ينهي كل ضروب العبودية .

الثانية : انسانية بحتة ، فما من حل لمشاكل التخلف الا بها .

ومن ارادتنا الثورية الهادفة للمساهمة في المسيرة التاريخية نحو شاطىء الحرية ، ومن ارادتنا الثورية الهادفة لتحرير الملايين من الجوع والجهل والضياع تنطلق دعوتنا الثورية الاشتراكية .

المجتمع الحاضر مجتمع استغلال وزيف وخداع ، يقدس آلهة يكفر بها ، ويروج لقيم يحتقرها . شعار هذا المجتمع «الله .. محبة» ولكنه يحل السرقة والقتل . واذا كان هنالك شيء بلا قيمة فيه فهو الانسان . الم يقامر به الاقطاعي والتاجر

والسياسي المحترف من اجل حماية مصالحهم ..!..؟ ولهذا فالاشتراكية لا تقدس الا الانسان . انها تخضع كل شيء : الملك والمال لحاجته . تحارب الحاجة وتحارب التخمة لان كلا منهما تسبب الشلل والفساد ، وتحرر الثورة من الاستغلال الفردي لتوفر للجميع حاجة الجميع . ليس هاما ان يملك الانسان او لا يملك ، الهام ان يتحرر من عبودية الحاجة ، ان يحس بالطمأنينة .

الاشتراكية تحرر : الجهد الانساني ، الدولة ، الثروة من استغلال الفئة والمصلحة ، وتعمل على ان تجعل منها عوامل رخاء وطمأنينة ، ولهذا يغيب «المال.. الحاكم» ، لان الفلس يصبح مجرد وسيلة تبادل .

الثورة هي التي تحقق مثل هذا التغيير ، لان الانقلاب الجذري لا يتحقق الا «بانقلاب جذري فردي» يفرض نفسه بالعنف .

الثورة الاشتراكية يحققها النضال الثوري الاشتراكي ، الذي ينطلق من وعي التناقضات الاجتماعية وعيا تاما ومعرفة آثارها ونتائجها معرفة كاملة ، والاحساس بخطرها احساسا حادا . ولن يكون هنالك انفصال بين الثورة والاشتراكية الا اذا كانت الاولى جزئية ، والثانية «فابية» . ولقد اثبتت الثورة الجزئية فشلها ، لانها تحارب سيدا ، لتقيم سيدا ، ولقد اثبتت الاشتراكية «الفابية» فشلها لانها طرحت شعار «الانقلاب الجذري» دون ان تطرح شعار الثورة .

ان وعي العلاقة الحية بين الثورة والاشتراكية ضروري ، لاننا به نستطيع ان نعطى قضية التحرر الانساني معناها الحقيقي .

٤ ـ الثورة والعمل الثوري

يبدأ العمل الثوري بوعي للاوضاع الاجتماعية والحقائق الموضوعية . وعلى ضوء هذا الوعي تصنف قوى الثورة والقوى المعادية لها . ولكن هاتين الاوليتين لا بد من اكتمالهما ، فالوعي والتصنيف يجبان يتحولا الى مبادىء فاذا ما تحولا الى مبادىء، كان لا بد لهما من التربة التي يعيشان فيها ، وهذه التربة هي «المنظمة ـ الفكرة». وقيام «المنظمة ـ الفكرة» هو الميلاد الثوري للمجتمع الجديد ، بميلادها تبدأ الثورة ...

وتقوم «المنظمة ـ الفكرة» على اساسين :

الاول : التزاوج بين التنظيم والفكرة ، بين الممارسة والنظرية .

الثاني : التزاوج بين القيم والسلوك ، بين الخلق والممارسة .

ومثل هذا التزاوج يجعل «المنظمة ـ الفكرة» بشير حياة جديدة .

ولنعد الى المسألة من اولها . ان النظرة الواعية تجعلنا قادرين على ادراك عفونة حياتنا وتناقضها . ولكن الوعي يحوّل هذا الادراك الى عمليتين : الاولى سلبية ،

هي الرفض ، والثانية ، ايجابية هي المقاومة . ويبدأ الرفض من تصور موضوعي خالص ينفي شرعية العفونة والتناقضات القائمة ، اما المقاومة فتبدأ من التصور نفسه ، الا انها تمثل الوعي في حالة من الفعالية . ولما كانت المقاومة ليست عملية فردية يصبح التنظيم لازما وضروريا . الا ان هذا «التنظيم» ذو مسؤولية اجتماعية كبيرة ، وهذه المسؤولية هي احداث انقلاب شامل في حياتنا . ولذلك فهو مطالب بان يقدم فكرا وقيما وسلوكا من روح هذا الانقلاب . حياة العفونة والتناقضات لها فكرها وقيمها وسلوكها ، فان تطرح شعار حياة جديدة معناه ان تقدم الفكر والقيم والسلوك المنبعثة من روحها .

وعلى هذا يجب ان تكون «المنظمة ــ الفكرة» مدرسة تخرج «مناضلين ثوريين» ومجتمعا متماسكا حيا ، يمثل كل عضو فيه فكره وقيمه وسلوكه ، ولشد ما يكون هذا ضروريا ولازما في المرحلة التي تسبق اغتصاب السلطة السياسية ، والمرحلة التي تلي الاغتصاب مباشرة . ذلك ان «الثوري» هو نقيض «المنحل» ، وكونه كذلك يفرض عليه ان يمثل صلابة واستقامة اسطوريتين . ومثل هذه الصلابة والاستقامة سر من اسرار قوته غير المحدودة التي تجعله قادرا على ان يسحق تراث اجيال من الانحلال والظلم والخنوع ، ويرفع اعمدة المجتمع الجديد .

وتمر «المنظمة ــ الفكرة» بمرحلة الدعوة وهي اخطر مراحل وجودها ، لانها فيها تكون معرضة لخطر الانحراف من الداخل ، الذي ينتج عن عدم نضوج فكرة الثورة في نفوس الطلائع ، وخطر الاستئصال من الخارج الذي ينتج عن ان اعداءها يرون في قيامها نذير قضاء مبرم عليهم . وفي هذه المرحلة تبدأ عمليتان :

الاولى : عملية انتشار الدعوة .

الثانية : عملية تكيف الدعاة .

وكل من العمليتين صعب عسير ، يستلزم قسوة وتضحية ووعيا لا يمكن ان تتوافر في الظروف العادية . فالعملية الاولى محاطة بكثير من العقبات والصعاب ، اهمها ما يلقاه الداعي من عنت واضطهاد وحرمان وجوع ، خلال سنوات النضال الطويلة ، وما يجده من ابتعاد القريب ، وتنكر الصديق . اما الثانية فهي ــ الى جانب هذا ــ عملية تمزق ذاتية تصحب التغيرات الجذرية التي يمر بها انسان ينتقل من دور الجمود الى دور الحركة ، من دور الاستسلام الى دور الثورة . وفي مرحلة الانتقال هذه ، يشعر احيانا بالوحدة ، واحيانا بالعبث ، وفي كثير من الاحيان يشعر بالضعف والحاجة الى الاستسلام من جديد .

وعلى «المنظمة ــ الفكرة» في هذه المرحلة ان تبث الصفاء في نفوس اعضائها ، وتبعث الطمأنينة في قلوبهم وتهيئهم لتجاوز مثل هذه العقبات والصعاب ، ولا بد لهذا من عمل ذي اتجاهين :

١ ــ زيادة الوعي باستمرار ، وكشف الملابسات الخاصة التي تؤدي الى الضعف والتخاذل ، واستنفار القوى الثورية في «الثوري» استنفارا دائما .

٢ ــ احاطة الثوري بالاهتمام والرعاية والحب بالمقدار الذي تسمح به ساحة

النضال . فالثوري بشر كالبشر يفكر ويحلم ويحب . وما من حل لهذه المشكلة الا بالتكافل والتعاون والاخوة التي يجب ان توفرها المنظمة .

ومرحلة الدعوة ، هي مرحلة الاعداد التي يجب ان تكون كل خطوة فيها تمهيدا لليوم الموعود ، يوم الثورة . فاذا ما انست المنظمة في نفسها القوة والكفاءة لاحداث انقلاب شامل ، عملت على اغتصاب السلطة السياسية . وليس ذلك الا لان اغتصاب السلطة السياسية ، يعطي القوى الثورية الفرصة لاستئصال امراض المجتمع العديدة ، ووضع اعمدة المجتمع الجديد .

ويجب ان تنتفع «المنظمة» بكل وسائل العمل الثوري ، المظاهرة ، الاضراب ، الثورة ، فقد ينفع في مكان ما لا ينفع في آخر ، وقد يفيد عمل في مناسبة لا يفيد في اخرى . الا ان ايا من هذه الوسائل يجب الا يعتبر وحيدا ، والا يعتبر كافيا .

الثورة عمل خلاق عظيم ، يكتمل «بالمنظمة ـ الفكرة» ولا يتحقق الا بها .

الناحية العملية

جعلت الاجراءات الاشتراكية الاخيرة ـ التي سبقت الانفصال الرجعي ولحقته ـ الجمهورية العربية المتحدة مركز تحول ثوري في التاريخ العربي . فهي:

اولا : طرحت شعار الوحدة طرحا ثوريا ، جعل جماهير الشعب العربي في جهة، والرجعية في جهة اخرى . وانقسام من هذا النوع كان لا بد منه لتوضيح حدود المعركة .

ثانيا : بدات معركة القضاء على رأس المال واستغلاله ، وتحرير الشعب من الحرمان والجهل والمرض .

ان هذا ، بالاضافة الى مركز الجمهورية العربية الدولي وقوتها العسكرية، يجعلنا نعتقد بان الاستفادة من امكانياتها الهائلة لتحرير الوطن العربي وتوحيده امر لازم وضروري .

ولكن كيف تساهم الجمهورية العربية في معركة تحرير الوطن العربي وتوحيده؟ وما هي افضل السبل لتحقيق هذه الغاية ؟

١ ـ الجمهورية العربية

هنالك شروط اربعة لمساهمة الجمهورية العربية مساهمة فعالة في تحرير الوطن العربي وتوحيده ، اثنان من هذه الشروط نظريان ، واثنان عمليان . وهذه الشروط هي : ـ

أ ـ استمرار الاندفاع الثوري .

ب ـ اكتمال خطوط الدعوة النظرية .

ج ـ اكتمال تنظيم القواعد الشعبية للثورة .
د ـ ارتباط الثورة بتنظيم ثوري في البلاد العربية .

ويبدو كل من هذه الشروط مرتبطا ارتباطا كليا بالآخر ، فاستمرار الاندفـــاع الثوري ، يحتم وجود القواعد الثورية ، ويحتم اكتمال «نظريتها» ، كما ان ارتباط الثورة بتنظيم ثوري في البلاد العربية ، يفرض عليها استمرار «ثوريتها» .

أ ـ استمرار الاندفـــاع الثوري

ان استمرار «الاندفاع الثوري» ، هو الذي يجعل اجراء تغييرات شاملة ممكنا. ففي حالة الاندفاع الثوري تطبق «مقاييس الثورة» ، المقاييس الصادقة الفعالة التي لا تلتزم بغيرروح الثورة . اما اذا ما توقف هذا الاندفاع، فستسير الامور في مجراها الطبيعي ، وعندئذ تفقد قدرتها على الحركة والفعالية . في حالة الاندفاع الثوري ، يكون سهلا ان نستغني عن جهاز حكم فاسد ، ذلك ان الثورة ، في حالة كهـــذه، تستطيع ان تعد اجهزتها ، اما في حالة الركود ، فاي تغيير سيعتبر هزة . وينعكس استمرار الاندفاع الثوري في مظهرين :

الاول : التعبئة الشاملة .
الثاني : الحركة الشاملة ، هدما وبناء .

ب ـ اكتمال خطوط الدعوة النظرية

يظل استمرار الاندفاع الثوري ، معرضا لكل مخاطر التوقف والانحراف ، اذا لم تكتمل عقيدته ، فهو بلا «مثله الاعلى» فورة ، تفور سريعا ، وتفور سريعـــا . ان تحقق الثورة يعتمد على وضوح عقيدتها . وسيكون مستحيلا ان تعبىء الجماهـــير، اذا لم تكن الغايات واضحة .

ويعتقد بعض المثقفين ان اكتمال «النظرية» ، يعني ان نحدد موقفا علميا يبتدىء بالبكتيريا ، وينتهي بالله . وهذا سوء فهم لما هو مطلوب . نحـــن لا نريد ان نبدأ دائرة معارف لا تنتهي . ويهمنا الا نركض في حلقة مفرغة ، والا نحفر هاوية نغلقها على انفسنا . ما هو مطلوب بديهيات معينة ، تبدأ منها معركة تحرير الانسان ، ما هو مطلوب هوان نحدد مبررات الثورة واهدافها.مبررات التنظيم الشعبي واهدافه، مبررات التنظيم الاشتراكي واهدافه . ما هو مطلوب هو فضح تناقضات حياتنـــا وعفونتها ، وكل ذلك ليس بالصعب ولا تحقيقه بالعسير ، اذا ما دفعنا اليه وعـــي الثورة ، وانار طريقنا اليه وحيها .

ج ـ اكتمال تنظيم القواعـــد الشعبيـــة للثورة

تتحقق الثورة اول ما تتحقق في قواعدها ، فقواعدها هي القادرة على تحقيق

رسالتها ، الممثلة لروحها وخلقها ، العاملة من اجل انتشارها وانتصارها .

والاصل ان يكتمل تنظيم القواعد قبل اغتصاب السلطة السياسية ، الا ان ظروفا خاصة وتجارب عديدة اوجدت حكم الثورة قبل اكتمال تنظيم قواعدها . وحالة مثل هذه ، تضع حكم الثورة في مآزق عديدة ، يحتاج الخروج منها الى الوعي والصرامة. فالثورة وجدت نفسها منذ ليلتها الاولى على رأس جهاز حكومي فاسد ، بينها وبينه تناقض اساسي اصيل ، الا ان هذا الجهاز الذي يمثل مرحلة انتهت ، استطاع ان يصبح الجهاز الحكومي للثورة بالولاء المعهود الذي اصبح من تقاليده . ولكن الولاء بالطبع لا يحوّل الجهاز الفاسد الى جهاز ثوري ، ومن هنا تنبع مشكلة الثورة الاولى: مشكلة جهاز الحكم . ونتج عن هذه المشكلة ان تنظيم القواعد الشعبية ، بات يواجه صعوبات جمة . فالجهاز الحكومي الفاسد ، بطبيعته نقيض الثورة ، وهو لا يمكن ان ينسجم معها ، ولذلك يعكف على التخريب ، كل اشكال التخريب ، يحاول افساد التجربة ، يوقع بين جماهير الشعب والقيادة الثورية . يقتل المعاملات بالبطء و «الروتينية» الخ . ويعرقل كل مسعى لوضع خطة ثورية ، او تنظيم قاعدة شعبية .

من هنا تقع على «الثورة» مسؤولية اعداد القواعد الشعبية ، ومسؤولية تصفية الجهاز الحكومي . يجب ان يتم ذلك من خلال «المقاييس الثورية» نفسها ، فأي تهاون او خلل لا بد ان ينعكس في المستقبل ضعفا او انحرافا .

وكل تنظيم يجب ان يبدأ من اساسين :

الاول : الاعتماد على الفلاحين والعمال والعناصر الثورية بين المثقفين .

الثاني : تحرير اجهزة الحكم ، وتحويلها الى اجهزة ثورية .

اما الاعتماد على الفلاحين والعمال والعناصر الثورية من المثقفين ، فهو لا يجعل الثورة شعبية فحسب بل يضمن عدم استغلال «البرجوازي» لها . «فالبرجوازي» هو الصورة الجديدة للمستغل ، وعميل الاستعمار . كما ان تحرير اجهزة الحكم، يحول الدولة ، من دولة تتفشى فيها روح الاستغلال والرشوة والانحلال ، الى دولة تنسجم مع مبادئها . ذلك ان «الثوري الاشتراكي» الذي يعمل من اجل الثورة،يحل محل الموظف الذي يعمل من اجل المنفعة .

وبعد هذا كله كيف تنظم القوى الثورية ؟

سنذكر فقط الاعتبارات التي تحدد معالم الاجابة على هذا السؤال :

اولا ــ ليس القصد من «التنظيم» ان يمثل كل فئات الشعب المؤيدة للثورة ، وان كان تمثيلها ضروريا ، انما القصد من التنظيم هو حشد العناصر الثورية الفعالة القادرة على ان تحرك الجماهير وتنظمها وتقودها . والتنظيم بهذا المعنى ليس «انتخابيا» بطبيعته ، فهو يعتمد على الاختيار الواعي ، المرتبط بالتجربة والعمل .

ثانيا ــ التناقضات الاجتماعية ما زالت قائمة ، وهي ما زالت تنعكس في تصرفات الصغير والكبير ، ويجب الا يعتبر القضاء على الاقطاع او رأس المال قضاء عليها ، لان جذورها الاجتماعية ما زالت قوية ، ولن تجتث بسهولة ، وعلى هذا، فان

تسرب مثل هذه التناقضات الى اجهزة الثورة يؤدي الى شللها .

ثالثا ـ ما دامت الثورة منتصرة ، فلن يتوانى «الانتهازيون» عن التظاهر بمشايعتها ، ليجنوا الربح الوفير . «والانتهازيون» ليسوا طبقة اجتماعية ، فهم قد يكونون عمالا وموظفين وتجارا . فلتحذر الثورة «الانتهازي» ، لانه عدو لدود في ثياب صديق ودود .

رابعا ـ ان تتحرر الثورة من الدولة ، ففي جو الاحتفالات الرسمية لن تظهر الوجوه الثورية الحقيقية . العمل الشعبي هو الذي يكشف هذه الوجوه . واذا كنا نطالب قيادة الثورة بان تحرر التجربة الشعبية من «الدولة» ، فاننا نطالب العناصر الثورية الواعية بان تتحرر من «عزلتها» فليس غير الجماهير وسطا صالحا للعمل .

د ـ ارتباط الثورة بتنظيم ثوري في البلاد العربية

تعيش الجماهير العربية لحظات من القلق والنقمة ، كثيرا ما تعبر عن نفسها بالمظاهرة والاضراب ، وكل اشكال المقاومة . ولكن روح النقمة هذه لا ترتبط بشكل واحد من التنظيم . ذلك ان العناصر الفعالة ـ لاسباب عديدة ـ موزعة بين احزاب وجماعات ، اما اغلبية جماهير الشعب فهي تكتفي بالتأييد الذي لا يكلف شيئا في اكثر الاحيان . واستمرار الاوضاع على ما هي عليه ، يزيد من تفتت قوى الثورة ، وتشتت عناصرها الفعالة ، زيادة على انه يحول الثورة عن «جديتها» الى صراعات غير ذات جدوى ، تخدم الاستعمار والاقطاع وراس المال .

والقضية المطروحة الآن واضحة : قضاء على التجزئة ، قضاء على الاستعمار ، وقضاء على راس المال المستغل . اما الطريق فواضحة ايضا : تجنيد كل قوى الثورة .

وما دام الامر كذلك فالتنظيم المطلوب ، هو «تنظيم الثورة» ، «التنظيم» الذي يرفع شعاراتها ، ويعمل من اجل تحقيق «مبادئها» . وهو «تنظيم واحد» يبدأ من عدم الاعتراف بشرعية كل تنظيم يعاديها ، او مؤسسة تقاومها . انه يقوم على اعتبار ان الثورة هي طريق الخلاص .

وتنظيم الثورة على هذا الاساس ليس تجميعا لمنظمات . ولا تكتيلا لاحزاب وجماعات ، فهو ذو صفة خاصة ، وينبثق من تجربة اعمق واوسع ، وتختلف في نوعها عن تجربة المنظمات والاحزاب والجماعات التي عرفناها . تكتل المنظمات والاحزاب والجماعات في الوطن العربي ، يؤدي ـ ان قام ـ الى منظمة اكثر تفككا وهزالا من كل مكوناتها . وتكتل من هذا النوع المفكك الهزيل لا يمكن ان يحرك الجماهير وينظمها ويقودها .

لقد اعطتنا «الجزائر» نموذجا حيا في هذا المجال . عجزت المنظمات والاحزاب والجماعات عن ان تحرك الثورة ، فكان ان تحركت العناصر الثورية داخل هذه

«التجمعات» ، ورفعت مشعل الثورة . وعندما ارادت هذه التجمعات ان تساهم في الثورة . على اساس انها تجمعات قائمة ، قاومت «الثورة» هذه المحاولة ، لانها تريد ان توحد جماهير الشعب وان توحد قيادتها ، ولانها تخشى ان تحول هذه «التجمعات» الثورة الى مظاهرة سياسية تعود منها بالكسب الحزبي ، و «شبه الاستقلال» .

وليس ما حدث في الجزائر الا ما يجب ان يحدث في الوطن العربي . فالتنظيم يجب ان ينبثق من قواعد «التجمعات» المتعددة ، من قواعد حزب البعث العربي الاشتراكي ، وحركة القوميين العرب ، والاتحاد المغربي للشغل ، وجبهة التحرير ، والشيوعيين العرب المخلصين ، ومن جماهير الشعب . وسيتمخض اندماج التجارب المختلفة . من ثورة الجزائر الى ثورة مصر ، الى مختلف التجارب التنظيمية الاخرى ـ عن تجربة فذة فريدة ، عقائدية ثورية ، قادرة على تحقيق الاهداف القومية .

وتستلزم وجود هذا التنظيم ضرورات ثلاث :

اولا : ليحقق الوحدة الجماهيرية العربية . وليوحد التيارات الثورية ، في البلاد العربية في تيار ثوري واحد متفاعل متكامل .

ثانيا : ليحقق وحدة القيادة والتوجيه في معركة شاملة . تتالب علينا فيها قوى واحدة : الاستعمار ، الاقطاع ، راس المال المستغل .

ثالثا : ليحقق وحدة الاهداف والقيم النضالية في بلاد تنخر في عروقها عوامل الفرقة ، وتنهش من جذورها النزعات الاقليمية ، والعصبيات الطائفية .

وستبقى ثورة مصر غير ذات فعالية . حتى ترتبط بتنظيم ثوري عربي. لايكتسب منها القدرة على العمل ، بل يتحرك بمقدرته الذاتية ، فيزيد من اندفاع ثورة مصر، ويغني تجربتها. ان اكتمال التنظيم هو الذي يعطي لثورة مصر معناها القومي.ويحول دون توقفها وانحرافها .

٢ ـ الوطن العربي

عندما قامت الوحدة بين مصر وسورية . بدا حزب الوحدة الوحيد،حزب البعث العربي الاشتراكي ينكمش على نفسه . وكان لذلك اسباب ، اهمها :

١ ـ ان حزب البعث العربي الاشتراكي كان حزبا «برلمانيا» . يسعى لتحقيق اهدافه بالوسائل الديمقراطية .

٢ ـ لم يقم ترابط بين سياسة الجمهورية العربية ، وسياسة حزب البعث العربي الاشتراكي . وبينما استمر الحزب يعمل في الاقطار التي وصل اليها ، كانت الجمهورية تعمل دون ان تكون لها منظمة تعتمد عليها .

انعكس هذا الانفصال على الرأي العام الشعبي ، فانقسم قسمين :

الاول : من قواعد الاحزاب والمثقفين ، ويرفض اتجاه الجمهورية او وسائلها

وسياستها لاسباب تختلف باختلاف هذه الاحزاب وسياستها. وقد بينت فيما مضى موقف الاحزاب والجماعات كلها .

الثاني : من جماهير الشعب . ويؤيد سياسة الجمهورية تأييدا عفويا ، غير مرتبط بتنظيم ، وغير ملتزم بفكرة .

وكان استمرار هذا الانقسام يهدد الحركة القومية شر تهديد . فهو يعزل القيادة عن القاعدة ، ويشيع البلبلة في صفوف جماهير الشعب المخلصة . ويجعل من «الوحدة» قضية متنازع عليها . ولم يكن بد من ان تتحد القيادة والقاعدة ، قواعد الاحزاب وجماهير الشعب . ويتحد العمل داخل حدود الجمهورية العربية وخارجها، لكي تتم الوحدة الثورية للعمل القومي . ويبدو ان وحدة من هذا النوع، قد اصبحت ممكنة التحقيق اكثر من ذي قبل . وعلى الرغم من سرعة تطور الاحداث ، وبروز الاخطار العديدة بروزا لا يختلف فيه اثنان ، فان المنظمات الاكثر قربا من محور الحركة القومية العربية ، لم تبادر الى العمل من اجل بدء وحدة الحركة القومية . وان هذا من العوامل الحاسمة التي تجعل زمام المبادرة ينتقل من ايديها الى الايدي الشابة في صفوف قواعدها وفي صفوف جماهير الشعب .

فكرة الثورة وشعاراتها

رفع حزب البعث العربي الاشتراكي شعارات الوحدة والحرية والاشتراكيـــة. وتبنت الثورة نفس هذه الشعارات ولا اشعر بان هناك ما يمكن ان يزاد عليها . ان القضية ليست في الشعارات بل في محتواها . فما هو المحتوى الثوري للوحـدة والحرية والاشتراكية ؟

من الاجابة تتضح لنا فكرة الثورة .

١ ــ مسألة الوحدة

الوحدة هي المحور الذي يدور في فلكه الشعاران الآخران . فهي قضية «مجرد الوجود» . ان تتحقق وحدة الاقطار العربية ، يعني ان الوجود العربي قد استكمل مقومات حياته . والوحدة بهذا المعنى ليست تجميعا لعوامل الضعف ، انها تفجير لعوامل القوة . في الماضي كانت الوحدة تعني تجمعا عدديا ، لذلـك كانت حكايـــة اصفار سعد زغلول ، اما اليوم فالوحدة تعني «تحولا نوعيا» . الثمانون مليونـــا (١) بالوحدة لا تكون قيمتهم في عددهم الكبير المخيف ، بل في فعاليتهم الكبيرة ، عندما يتحولون الى كتلة حية .

ولكن كيف يتم ذلك ؟

لا يتم ذلك الا بالثورة . فالثورة هي التي تحرر «القطاعات الخاملة» من خمولها. وهي التي تحقق وحدة الجماهير في النضال والعمل .

والثورة هي التعبير الحر عن الارادة الجماهيريـــة في اصرارها على تحقيـــق اهدافها .

ونحن عندما نعتبر الثورة طريق الخلاص الوحيدة ، نعتقـــد بعدم جدوى اي

---

١ ــ هم الآن حسب الاحصائيات حوالي ١٤٠ مليونا .

اسلوب آخر . والثورة هذه ليست ذات صفة محلية ، يجب ان يعد لها كل قطر ليحقق تحرره اولا ثم تحدث الوحدة ، انها ذات صفة عربية ، يجب ان نعد لها جميعا ونتحمل مسؤوليتها جميعا . وعلى القطاعات المتحررة المؤمنة بقضية الوحدة ان تضع كل امكانياتها المادية والمعنوية في الميـــدان . فالايمـان بالوحـدة يفرض علينـــا مـا يلي :

اولا : ان لا نعترف بالحدود المصطنعة والدول القائمة على اساسها ، والا نعترف بشخصيات هذه الدول القانونية .

ثانيا : الا نقبل منطق التجزئة فنؤمن بان الشعب في كل قطر هو الذي يحـرر نفسه . وان أي تدخل هو غير مشروع .

ثالثا : الا نعتبر بان العلاقات التي يجب ان تقوم خلال الثورة وبعدها بين قطر وقطر هي من مستوى علاقة الند للند ، فليس هنالك انداد ، انما هنالـك شعـب واحد . تقوده «طليعته الثورية» .

وعلى هذا يصبح أي عمل ثوري يهدف لتحرير قطاع غير متحرر ضروريا ولازما، وجزءا من اعمال الثورة . وعلى هذا ايضا يصبح التردد في اعلان هذه الحقائـــق والعمل بموجبها خيانة لقضية الوحدة .

٢ ـ مسألة الحريـة

عند بحث مسألة الحرية يجب بحث ثلاث قضايا :

أ ـ قضية التحرر السياسي .

ب ـ قضية التحرر الاجتماعي .

جـ ـ قضية حق الشعوب في تقرير مصيرها .

أ ـ قضية التحرر السياسي

للتحرر السياسي هدفان :

الاول : اجلاء القوى الاجنبية المختلفة .

الثاني : القضاء على الفئات الحاكمة المستغلة .

ويتم التحرر السياسي بالنضال الجماهيري المنظم . وتنبثق شعاراته من روح الثورة . ويكون المرحلة الاولى منها . ويبدأ باغتصاب الطلائع الثوريـــة للسلطة ، وتحويلها الى سلطة ثورية جماهيرية .

وتعمل قيادة الثورة على ان تحرك «القطاعات الخاملة» من المجتمع ، ولذلـك ينتقل نشاط الثورة الى كل حي . فالحلقات الصغيرة التي كانت تحمـــل مبادىء الثورة وتعمل من اجلها ، تتحول الى حلقات دائبة العمل تستقطب جماهير المواطنين

وتقودهم في معركة البناء الطويلة المدى .

وتكتسب هذه الحلقات القوة على المبادرة الذاتية من سني الثورة . فالثورةتقوم على اساس مركزية التوجيه والمراقبة ، ولكنها في الوقت ذاته تهيء فرصة اللامركزية في العمل ، لان المركزية تشل قوى الثورة ، وتعطل المبادرة الفردية . وعلى اساس هذه التجربة يقوم «حكم الثورة» ، وهـــو لذلك حكم يجمع مكاسب المركزيـــة واللامركزية . مركزي بمقدار ما يحتاج ذلك تنفيذ الخطة الواحدة ومراقبة هـــذا التنفيذ ، وبمقدار ما تحتاج ذلك عملية «التوحيد» التي تهدف الخطة الى تحقيقها ، ولامركزي بمقدار ما تحتاج المبادرة الثورية والانطلاق الثوري . وعليه «فدولـــة الوحدة» ليست مركزية ، انها ذات طابع ثوري يحقق وحدة الامة ، وحدة جيشها وثقافتها وقوانينها ، دون ان تستأثر عاصمتها بكل النشاط . فكل حي ، وكل قرية ، وكل مدينة ميدان عمل .

ب ـ قضية التحرر الاجتماعي

التحرر السياسي ينهي حكم الفئة والمصلحة ، حكم الاقطاعي والرأسمالـــي والسياسي المحترف . اما التحرر الاجتماعي فينهي الجذور الاجتماعية لهؤلاء . التحرر الاجتماعي يهدف الى ما يلي :

اولا : الغاء التناقض بين الدولة والجماهير وتحويل الدولة الى مؤسسة شعبية لا هدف لها غير خدمة الشعب .

ثانيا : انهاء التناقضات الاجتماعية ... الصراع بين فئة وفئة ، ومؤسســـة ومؤسسة ، والتضارب في التخطيط واختلاف مناهج التعليم ... الخ .

ثالثا : اعتماد العلم في التخطيط الاجتماعي ، وتوجيه الرأي العام ، ومقاومة كل ضروب الدجل والشعوذة والاحتيال .

وهذه العملية طويلة وشاقة ، ذلك ان استئصال تراث اجيال من العبوديـــة والاستسلام يحتاج الى الكثير من الوقت والوعي والصرامة . الامر يكون سهلا عندما يستهدف التغيير السلطة السياسية وحدها . ولكنه يكون اصعب ما يكون عندما يستهدف تحرير المجتمع من قيم ألفها ، ونظم رسخت فيه . ولذلك فان فائـــدة اغتصاب السلطة لا يمكن ان تتم ، حتى تتحول السلطة الى مؤسسة شعبية ، وحتى تزول التقاليد الاجتماعية التي ارتبطت بوجودها .

هذا «التحول» يلقى الكثير من المقاومة ، فاذا لم تستعمل الثورة السلاح استعمله اعداؤها ، واذا لم تلجأ الثورة الى التدابير الاحترازية انتقم اعداؤها شر انتقام . ولكن هذا لا يعني ان علينا ان نحول الثورة الى انتقام شامل ، فالثورة ليست ذلك، وهي اذا كانت تعمل من اجل تطوير شامل فلمصلحة الجميع . الثورة لا تقتل من يعاديها بل تهيء له الفرصة التي تجعله قادرا على التكيف ، على ان يكون عضـــوا

فعالا في المجتمع ، منسجما مع غاياته وأهدافه ، متمتعا بكل ما يقدمه لابنائه من كرامة وحرية .

ومبرر التدابير الاحترازية الوحيد هو حماية استمرار التغيير الاجتماعي ، ذلك انها تمنع الحرية عن اعداء الشعب ، عن الاقطاعي والرأسمالي والسياسي المحترف لتمنحها لجماهير الشعب . واذا كانت السلطة، ممثلة الاقطاعي والرأسمالي والسياسي المحترف تتخذ كل التدابير لحماية مصالح هؤلاء . الا يحق لجماهير الشعب ان تتخذ التدابير الكفيلة بحماية مصالحها ...؟

ان القضية اصبحت لا تحتمل الجدال او الخلاف ، هنالك ملايين تموت ، تهلك، تتعذب ، تعيش كل الظروف القاتلة : الجوع ، الجهل ، المرض ، اليأس . وعلينا أن نحررها من المجرمين ، القتلة ، من الاقطاعي والرأسمالي والسياسي المحترف ، ومن كل الظروف القاتلة ، التي ارتبطت بوجودهم .

ج ـ قضية حق الشعوب في تقرير مصيرها .

ليست مسألة حق الشعوب في تقرير مصيرها جديدة ، فقد كانت منذ كان الاستعمار الحديث ، ونمت مع نمو فكرة القوميات الحديثة . ولقد اخذت في أواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن طابع مقاومة الاستعمار ، والمطالبة بالاستقلال القومي . ولم تكن دعوة ابناء المستعمرات فحسب بل كانت دعوة حرية يساهم في العمل لها الاحرار من كل مكان ، حتى من الدول المستعمِرة . وظل الامر هكذا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية حيث انقسم العالم الى معسكرين ، الاول الرأسمالي ، والثاني المعسكر الشيوعي ، واشتد الصراع بينهما ، فأصبح العالم ساحة معركة ، كل منهما ينظر اليه من وجهة نظر المحارب الذي يعد لمعركة المصير . الرأسمالية تريد ان تفرض الحصار على الاتحاد السوفياتي ، فتعمل على اقامة القواعد حوله وتنظر للشعوب كلها من خلال استراتيجيتها في هذه الحرب . ولذلك تساعد الحكومات الظالمة القائمة على الاستمرار ، وتقاوم كل محاولة للتحرر . اما الاتحاد السوفياتي، فهو يدرك اهداف الرأسمالية فيعمل على تشجيع حركات التحرر من الاستعمار(١).

وعلى الرغم من ذلك فالاستعداد للحرب لا يترك معنى لاية قيمة من القيم ، ذلك ان الجيوش الكبيرة والاسلحة الفتاكة سوف لا تصون قيمة ، ولا تحفظ حقا. وادراك مثل هذه الحقيقة اوجد تيارا تحرريا في الدول الافريقية والاسيوية ، ينظر الى حق تقرير المصير من زاويتين :

الاولى : زاوية التحرر من الاستعمار وعملائه وسيطرته .

الثانية : زاوية التحرر من الحرب ، التي تهدد الانسانية كلها في مجرد البقاء.

ولكن هذا التيار الذي عبر عن نفسه في مؤتمر باندونج لاول مرة ، ما زال يتعثر، لغموض في دوافعه واهدافه ، فوعي ظروف المعركة القائمة يحتم علينا ان نقرر اولا

---

١ ـ حذف هنا مقطع يتعلق بالشيوعية وحق تقرير المصير .

ان «رأس المال» هو خالق مشكلتي الاستعمار والحرب ، وعليه :

اولا : يجب ان تتحرر الشعوب الآسيوية ـ الافريقية من سيطرة رأس المال لانهاء مشكلة التخلف اولا ، وللقضاء على عملاء الرأسمالية الدولية المحليين ثانيا .

ثانيا : يجب ان تتعاون هذه الدول تعاونا وثيقا في تطوير فعالياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لتكون كتلة عازلة بين المعسكرين المتصارعين ، ولتساهم مساهمة فعالة ومضطردة في تخفيف حدة الحرب الباردة ومنع قيام الحرب المدمرة.

ثالثا : يجب ان تعمل الدول الآسيوية الافريقية المتحررة من اجل زيادة عدد الدول الخارجة على مناطق النفوذ في آسيا وافريقيا واوربا وأمريكا ، وان تعمل جديا من اجل قيام حركة سلمية عالمية .

وسيكون صعبا على هذه الدول الناشئةان تجابه التخلف، ومؤامرات الرأسمالية الدولية ، ولكن عليها ان تستمر اذا ارادت ان تشترك في محاولة انقاذ البشر من حرب مدمرة مهلكة .

خاتمة

تواجه العرب اخطر المشاكل ، مشكلة الصهيونية والاستعمار ، مشكلة التخلف والرجعية ، مشكلة التجزئة وتعدد الفئات الحاكمة الخ . وهي مشاكل تهدد الامة في «مجرد بقائها» . واستمرارها يعني تفاقم اخطارها . فاذا ما تساءلنا اليوم عما فعلناه خلال نصف القرن الماضي ، وجدناه نزرا قليلا . خطوات متفرقة ، وجهودا مبعثرة ، لا تتناسب مع خطورة هذه المشاكل ، ولا تكفي لمواجهتها ، فالبداية دائما صعبة .

واليوم ونحن نبصر الاخطار تتفاقم ، والمساوىء تتراكم ، لا بد من ان نبحث عن السبيل ، ولا بد من ان ندرس تجربة الماضي ففيها العبرة الكافية .

ان قضية تحرير مائة وأربعين مليونا من اقسى انواع الذل والفاقة ، يجب أن تعطى حقها من الجدية والاهتمام .

واذا كان هذا الجيل قد قبل اعذار اجيال سبقته ، وحاول هو ان يكرس هذه الاعذار ، فانه لن يجد من يقبل له عذرا .

مُلحَق

- ١ -

ان علاقتي بهذا الكتاب ليست عادية . فهو كتابي الاول في الواقع . مع انه الثاني في سلسلة كتبي . وهو الاول لانه ليس دراسة تاريخية فحسب ، مثل كتابي : «الثوري العربي المعاصر» . انه اعادة نظر تاريخية ، ولكنه يجسد موقفي من القضايا الاساسية للثورة العربية في الوقت ذاته . وهو من الناحية الثانية اكثر ترابطا وتماسكا ، وأكثر تكاملا من الكتاب الذي سبقه .

والكتاب اضافة الى هذا كله ، يمثل مرحلة انعطاف في حياتي .

لقد كتبته بعد الانفصال مباشرة . وكان في الاساس مقالا كتبته لمجلة في الكويت خلال الايام الاخيرة الثلاثة من ايلول . الا ان المجلة لم توافق على نشر المقال، فعكفت فورا على اعادة صياغته . كنت اعتقد آنذاك ان الامة العربية تمر بمرحلة حاسمة ، وان الانفصال ضربة قاصمة لآمال الامة العربية في الوحدة . وكنت اعتقد ايضا ان الاحزاب العربية القومية وثورة ٢٣ تموز (يوليو) باتت غير قادرة على الاضطلاع بمسؤوليات قيادة النضال القومي ، وان هناك حاجة الى عملية مراجعة شاملة ودقيقة ، وقررت ان أقوم بعملية المراجعة الشاملة المذكورة .

وكنت عندئذ قد تركت حزب البعث العربي الاشتراكي ، بعد مشكلة بدأت في شباط سنة ١٩٥٩ . كان هنالك صراع مراكز قوى لم اكن طرفا فيه، بين اتجاه الاستاذ ميشيل عفلق واتجاه الاستاذ عبد الله الريماوي[1]. ولما كنت امين سر فرع الكويت ، فقد كان لا بد ان أعزل . وكان ان جمدت ثم فصلت . ولكن القيادة القومية الجديدة ، حققت في القضية ، وأعادت لي اعتباري . كان ذلك في ربيع سنة ١٩٦٠ . عدت بعد ذلك الى ممارساتي التنظيمية . ولكن وضع الحزب كان مهزوزا ، وكانت هنالك تساؤلات كثيرة الى اين ؟ وبدأ الاعضاء يتحلقون . وجاءني ذات يوم من يدعوني الى اجتماع خارج اطار التنظيم . وطرحت في الاجتماع فكرة انشاء حزب داخل الحزب ، على اساس ان هذا السبيل هو الحل . وأثارت الفكرة دهشتي . ذلك ان الذين دعوني ليسوا مهيئين لعملية من هذا النوع . ثم ان بعضهم ساهم في الحملة عليّ ، وساهم في عملية تجميدي ثم فصلي مساهمة اساسية . وفوق هذا فان من بين الحاضرين الاربعة بعض من اعتبرهم فاشلين او عاجزين او ساقطين .

١) كان عبد الله الريماوي يتبنى وجهة نظر النظام في مصر في قضية الوحدة وحزب البعث ، ولم أكن أنا معه . وكنت في الوقت نفسه أرى ضرورة ان تدرس كل قضايا الحزب دراسة موضوعية .

ومع هذا فاني لم اكن سلبيا . وقلت لهم ، من هم هؤلاء الذين سينشئون حزبا داخل الحزب ؟ وعلى اي الاسس سيقيمونه ؟ وما هي طبيعته ؟

لم يكن عند احد منهم جوابا . ولقد ناقشت هذه القضايا ببعض التفصيل ، فطلب مني احدهم ان اعد تقريرا حول الموضوع لجلسة تعقد في الاسبوع المقبل .

وخرجنا ...

وناقشت الموضوع بيني وبين نفسي لاقرر ان أسلوب المعالجة ذاك فاشل ، وان الداعين الى تكوين الحزب الجديد ، داخل الحزب ، اعجز من ان يتحملوا هـذه المسؤولية . فما العمل اذن ؟

وظللت أناقش القضية . وأخذت افكار كثيرة تزدحم في رأسي : الحـزب يتمزق ، وهنالك ثلاثة اتجاهات رئيسية : اتجاه الاستاذ ميشيل عفلق ، اتجـاه الاستاذ عبد الله الريماوي واتجاه الاستاذ اكرم الحوراني . ثم ان هنالك اتجاهات متناقضة داخل الحزب : ان بعض اصدقائي كان يبشرني مثلا بأن وحـدة مصر وسورية «ستفرط» ؛ وبعضهم كان قد اصبح ناصريا حتى العظام ، وبعضهم ظل حيث هو . وكانت هنالك اتجاهات معادية للماركسية والشيوعية ، وآراء متمسكة بالنضال البرلماني . وكنت انا قد اكتشفت آنذاك ان الطريق البرلماني ليس طريق البلدان المتخلفة ، وان الثورة لا تتم الا بحزب ثوري ، وبعنف ثوري ، وان قضية الوحدة هي قضية النضال الجماهيري الثوري ، القائم على اساس حزب طليعي ، وان السمة الاساسية لهذا النضال هي الكفاح المسلح . واذكر انني حاولت طرح هذه الافكار صيف سنة ١٩٦٠ في جريدة الحزب : الصحافة ، فاعترض المسؤول على قضيتين :

الاولى : تدور حول العنف الثوري والاستيلاء على السلطة بالعنف الثوري لا عن طريق البرلمان .

والثانية : تدور حول اعتبار القضية الاساسية للنضال قضية الخبز والحرية .

قرأ المسؤول المقال وقال لي : هناك ملاحظتان الاولى ان افكارك حـول العنف الثوري تجعل الحزب عصابة ، والثانية انك تؤكد على قضية الخبز ، وهذا يجعلك تخلط بين افكار الحزب وأفكار الشيوعيين . حاولت اقناعه فلم افلح . وطلب مني ان أعيد النظر في المقال، ولقد شعرت آنذاك ان هناك الكثير مما يفصلني عن الحزب.

قادت هذه العوامل كلها الى ان اترك الحزب .

وبدأت أفكر ماذا أفعل . هل أصبح شيوعيا ؟ ان هذا غير وارد بسبب موقف الشيوعيين من قضية فلسطين خاصة والقضية القومية عامة . هل أصبح ناصريا؟ ان هذا غير ممكن ايضا ، لان الناصرية ليست تنظيما جماهيريا ، وهي فوق هـذا دولة بيروقراطية تستخدم من الاساليب ما لا نقبله ولا نرضاه .

وكنت أحس خلال هذا كله ان الازمة أبعد من الواقع الذي كنا نعيشه . لذلك رحت ابحث عنها في جذور واقعنا . اخذت ادرس شخصية الثوري العربي منذ بدء النهضة . وكان من نتيجة ذلك كتابي «الثوري العربي المعاصر» . ولقد بدأت بهذا العمل بعد تجميدي من الحزب (آذار ١٩٥٩) ، وظللت أراجع وأدرس حتـى

تمخض ذلك الجهد عن كتابي المذكور : أوائل صيف ١٩٦٠ .

كان كتابي : «الثوري العربي المعاصر» الجزء الاول من المراجعة الشاملة التي أعدها . وقد غطى المرحلة من بدء النهضة حتى سنة ١٩٢٠ . وبدأت أعمل من اجل كتابة الجزء الثاني (١٩٢١ ــ ١٩٤٨) . ولكن الظروف لم تمهلني . حدث الانفصال، ووجدت نفسي أمام شعور ملح بضرورة تقييم الفترة (١٩٤٨ ــ ١٩٦١) ، وقد فعلت ذلك فورا .

لم اكن بعثيا حينذاك . ولم اكن ناصريا . ولكني كنت أؤيد وحدة مصر وسورية، وأؤيد خطوات ثورة مصر الاخرى في الاصلاح الزراعي والتأميم. ومع هذا فاني كنت أدرك ان قيادة الثورة في مصر لن تستطيع ان تمضي قدما ، وأن تحمي نفسها من المؤامرات الداخلية ، الا اذا استطاعت ان تبني تنظيما طليعيا في مصر والبلاد العربية ، والا اذا اقامت علاقات صحيحة مع الجماهير . ولقد كان موقفي نقديا من الناصرية . وان كنت معها .

وحين كتبت كتاب «الثورة والجماهير» قيمت الاحزاب والحركات الوطنية العربية . ويضم كتابي وجهات نظري آنذاك في هذه الاحزاب والحركات .

ولقد اقترحت مشروع عمل ثوري في نهاية الكتاب ، اعتبرته آنذاك يتجاوز هذه الاحزاب والحركات جميعا .

واليوم أجدني مطالبا بالعودة الى هذه المراجعة التي قمت بها قبل عشر سنوات. وضروري ان يراجع الانسان نفسه ما بين مرحلة واخرى . ولكن المراجعة تبدو سهلة اذا كانت غير مكتوبة ، فاذا كانت مكتوبة باتت عبئا ثقيلا . انني مطالب الآن ان أراجع نفسي ، لا امام نفسي ، بل امام الآخرين . ولسوف اقوم بذلك من اجل المساهمة في مناقشة شاملة لازمة الثورة العربية .

- ٢ -

حدثت منذ عشر سنوات تطورات كبيرة في الوطن العربي ، وفي مجالات الحياة المختلفة ، وهذه المجالات هي :

اولا : على الصعيد السياسي : حدثت على الصعيد السياسي مجموعة من التطورات الهامة ، تمثلت فيما يلي :

أ ـ تقلص الاحتلال المباشر للاستعمار على الارض العربية . فلقد استقلت اليمن الديمقراطية ، ثم «استقلت» دول الامارات في الخليج ، واستقلت الجزائر خلال هذه الفترة ايضا . وسقطت معظم القواعد العسكرية في الوطن العربي . ولم يبق محتلا من الاراضي العربية ، خارج فلسطين وسيناء والجولان ، الا الصحراء المغربية (الاسبانية)[1]، كما بقيت قواعد عسكرية اجنبية في المغرب والمملكة العربية السعودية والخليج [2] .

ب ـ توسع الاحتلال الصهيوني باحتلال الاجزاء الباقية من فلسطين (الضفة الغربية وغزة) اضافة الى الجولان وسيناء . وكان هذا التوسع مرتبطا بتقلص الاحتلال الاستعماري في المناطق الاخرى . ان الامبريالية التي فقدت سيطرتها ومناطق نفوذها في الوطن العربي ، أرادت ان ترجح كفتها بزيادة سيطرة دولة الاحتلال الصهيوني وهيمنتها .

ج ـ تقلص السيطرة الامبريالية غير المباشرة،وزيادة درجة استقلالية الدول العربية . فهناك اقطار مثل سورية والعراق ومصر والجزائر واليمن الديمقراطية وليبيا ، انجزت استقلالها السياسي ، وحققت قدرا كبيرا من استقلالها عموما ، كما ان الدول التابعة والخاضعة حققت قدرا من «الاستقلال السياسي»،وان كانت ارتباطاتها تزداد وثوقا،وتبعيتها تزداد احكاما .

د ـ سقوط القيادات شبه الاقطاعية والبرجوازية والكمبرودورية . وبروز قيادات اصولها برجوازية صغيرة في العديد من البلدان العربية ، ولاسيما البلدان

---

1) حصلت للمغرب فيما بعد .

* لا بد من الاشارة هنا للاسكندرون وعربستان اللتين احتلهما عملاء الامبريالية الصغار ، في وقت كان العرب يصارعون فيه من اجل الاستقلال .

التالية : مصر ، سورية ، العراق ، اليمن الديمقراطية ، الجزائر ، ليبيا

ثانيا : على الصعيد الاقتصادي : وحدثت ايضا في الجبهة الاقتصادية تطورات هامة رافقت التطورات السياسية . نذكر منها :

ا ـ ضرب الملكيات العقارية الكبيرة في العديد من البلدان العربية : مصر ، سورية ، العراق ، الجزائر ، اليمن الديمقراطية .

ب ـ انهاء سيطرة البرجوازية الكبيرة والكمبرادور على الصناعة والتجارة الخارجية والداخلية ، في البلدان العربية ، المذكورة اعلاه .

ج ـ قيام قطاع عام يشمل قطاعات واسعة من الاقتصاد ، ولاسيما في الصناعة والتجارة ، في البلدان المذكورة اعلاه .

د ـ زيادة اهمية النفط في الحياة الاقتصادية لمعظم البلدان العربية : المملكة العربية السعودية ، الكويت ، قطر وأبو ظبي ودبي ، العراق ، سورية ، مصر ، ليبيا ، الجزائر (١) .

هـ ـ نشوء صناعات وطنية وتطورها في ظل القطاع العام ، او في ظل القطاع الخاص . ومن هذه الصناعات : صناعات الحديد والصلب ، والنفط ، والمعادن ومختلف الصناعات الاستهلاكية .

و ـ اتجاه اقتصاد عدد من البلدان العربية نحو الدول الاشتراكية ، كما في حالة مصر وسورية والعراق واليمن الديمقراطية والجزائر ، واتجاهه عموما نحو التحرر من سيطرة الامبريالية العالمية ، وان كانت هنالك ثغرات كثيرة ، بسبب التجزئة وضيق السوق من جهة ، وبسبب عدم خلق الظروف الملائمة لبناء صناعات وطنية بديلة ، او بسبب وسطية القيادات ومحاولاتها المستمرة اقامة علاقات ودية مع الولايات المتحدة والدول الامبريالية الاخرى .

ز ـ زيادة ارتباط اقتصاد بلدان أخرى بالسوق الامبريالية ، مثل المملكة العربية السعودية والكويت واقطار الخليج ومراكش ، هذا الارتباط الذي يجعل استقلالها السياسي شكليا .

ح ـ تدهور العلاقات الاقتصادية بين البلدان العربية بزيادة التبادل الاقتصادي بين كل قطر مع البلدان الاجنبية وانخفاض التبادل بين الاقطار العربية (٢) .

---

١ ـ كانت نسبة دخل العراق من النفط سنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ تبلغ ٢ر٤٨ من مجموع المدخولات : الدكتور محمد سلمان حسن ، دراسات في الاقتصاد العراقي ، دار الطليعة ، جداول الملحق . وبلغت عائدات النفط الخام من البلاد العربية ـ ما عدا مصر وسورية ـ سنة ١٩٧١ مبلغ ٦٩٨٠ الف مليون دولار ، وستبلغ سنة ١٩٧٥ مبلغ ١١٨ر١٥ الف مليون دولار . يوسف صايغ : شؤون فلسطينية ، العدد ١٦ : النفط العربي في استراتيجية المجابهة ، والدكتور علي احمد عتيقة : اثر البترول على الاقتصاد الليبي ٥٦ـ٦٩ دار الطليعة .

(2) Alfred G. Musrey : An Arab Common Market, A study in Inter-arab Trade Relations 1920 - 67, Prager - 1969

ثالثا : وعلى الصعيد السكاني والاجتماعي : حدثت تطورات هامة ايضا ، نذكر منهـا :

أ ـ الزيادة المستمرة في سكان المدن على حساب الريف . ففي الجزائر مثلا بلغت نسبة سكان القرى ٥٣ر٧ بالمئة والمدن ٤٦ر٣ بالمئة (١) .

ب ـ اتساع قطاعات الصناعة والخدمات على حساب الزراعة .

ج ـ انتشار مظاهر الحياة الغربية (اللباس ، الطعام ، الشراب ، الخ) انتشارا واسعا ، لم تعرفه الخمسينات .

رابعا : وعلى الصعيد الايديولوجي ، حدثت تطورات كبرى ايضا ، نذكر منها :

أ ـ انتشار الافكار الليبرالية والاشتراكية انتشارا كبيرا .

ب ـ انتشار الثقافة الماركسية عموما انتشارا واسعا ، من حيث زيادة الكتب والمنشورات الماركسية زيادة لا سابق لها ، ومن حيث زيادة عدد المقبلين على الثقافة الماركسية .

ج ـ تحوّل قطاعات واسعة من الاحزاب القومية الى الفكر الماركسي (٢) .

د ـ حدثت تطورات داخل الاحزاب والحركات القومية في اتجاه الفكر العلمي.

هـ ـ حدثت تطورات داخل الاحزاب الشيوعية العربية ، قادتها نحو نوع من الاستقلالية ، ونحو تفهم اكثر للقضايا العربية الاساسية : قضية الوحدة العربية، وقضية فلسطين ، وان كانت ما زالت تحمل الكثير من رواسب افكارها وتقاليدها ، وخاصة تعلقها ببابوية موسكو .

و ـ انتشار افكار اليسار الجديد ، ودخولها الى ميدان الصراعات السياسية في بلادنا .

---

١ ـ الجزائر بالارقام ، مديرية الاحصاءات ، ١٩٧١ ص ٢ .

٢ ـ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين : منظمة الاشتراكيين اللبنانيين لماذا ؟ دار الطليعة .

- ٣ -

وعانت الحركة القومية العربية خلال هذه الفترة ازمة حادة ، تمثلت فيما يلي :

اولا : لم تستطع الحركة الناصرية التي استقطبت الجماهير العربية ان تنظم هذه الجماهير ، وان تقودها من نصر الى نصر. واذا كان الانفصال هزيمة استراتيجية ساحقة ، فان الحركة الناصرية لم تستطع بعد الانفصال ان تكسب معركة واحدة من معارك الوحدة . وعلى الرغم من المساهمة العظمى التي قدمتها مصر لثورة اليمن ، الا ان المردود لم يكن ايجابيا . اما في الجزائر فان الناصرية لم تكن احسن حالا . كانت الناصرية حلم الجماهير ، ولكنها ظلت الحلم الذي لا يتحقق . وجاء حزيران فعانت الناصرية هزيمتها الاستراتيجية الساحقة . ولم تستطع بعد ذلك ان تقوم ابدا .

وكانت مشكلة الناصرية مزدوجة : فهي من ناحية لم تستطع ان تملك التصور الصحيح الواضح عن طبيعة الثورة العربية وابعادها وقضاياها . وهي من الناحية الثانية لم تستطع ان تمتلك اداة النضال القادرة على تحقيق اهدافها .

ولقد استعاضت بأجهزة الدولة عن المؤسسات الثورية ، ولم تكن اجهزة الدولة قادرة على ان تقوم بهذه المهمة .

وحاولت الناصرية ان تواجه مشاكل هزيمة حزيران ، فلجأت الى بناء جيش نظامي ، واهملت تعبئة الجماهير ، واستعاضت عن قوة الجماهير بالتحالفات الخارجية ، ولذلك ظلت تحس بأنها عاجزة .

وحين مات عبد الناصر ، اصبحت الناصرية جزءا من تاريخ العرب الحديث .

ثانيا : وواجه حزب البعث عددا من المشاكل المعقدة خلال هذه المرحلة . كانت مشكلته الاولى مع نفسه . ذلك ان تنظيمه لم يكن بمستوى المهمات التي طرحها ، وخاصة قضية الوحدة . وهذا ما اوضحته في كتابي ، منذ الايام الاولى في هذه المرحلة . وحين وصل السلطة ، هزته انشقاقاته ، وحالت مع اسباب أخرى بينه وبين ان يكون حزب الوحدة ، خاصة حين حكم سورية والعراق فلم يستطع ان يوحدهما .

وكانت مشكلة الحزب الثانية مع الناصرية . فالناصرية كانت «ضرته» ذات

القدرة الاكبر على الاغواء ، وقد استطاعت الناصرية ان تقوم مقامه لدى الجماهير ، وان تحقق كثيرا من الاهداف التي طرحها : تأميم المرافق العامة ، تحقيق الاصلاح الزراعي ، تحويل التجارة الخارجية والداخلية الى قطاع عام الخ ...

وقد كلف الصراع مع الناصرية الحزب غاليا ، اذ افقده كثيرا من جماهيره وقواعده ، واستنفد الكثير من فعالياته ونشاطاته .

ثالثا : وسقطت حركة القوميين العرب نهائيا . ذلك انها تحالفت مع الناصرية حتى سنة ١٩٦٥ ، وشاركت في ضرب حزب البعث العربي الاشتراكي . ثم بدأ التناقض بينها وبين الناصرية ، قبل حرب حزيران . وما لبثت ان تقسمت اقساما. فخرجت منها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجبهة الشعبية الديمقراطية ، ومنظمة الاشتراكيين اللبنانيين ، وحزب العمل العربي الاشتراكي(١)، ومنظمة العمل الشيوعي . ولم يبق من حركة القوميين الا الذكرى والتاريخ ، ولعنات اعضائها وقياداتها التي رفعت راية الماركسية ـ اللينينية .

وفي خضم الصراعات التي شهدتها المنطقة ، تبددت الحركة القومية المنظمة ، وتناثرت حماسة الجماهير العفوية من اجل الوحدة ، وأخذت الحدود السياسية تزداد ارتفاعا بين الاقطار العربية . وعلى الرغم من قيام السوق العربية المشتركة ، وعلى الرغم من اتفاقيات التعاون الثنائية او المتعددة الاطراف ، فان الاوضاع العربية الرسمية تزداد اتجاها نحو التجزئة والكيانية . وبعد ان كنا نعتقد ان الاستعمار المباشر ، او الاستعمار غير المباشر هما السبب المباشر للتجزئة ، بات مطروحا علينا ان نفكر بالاسباب الاخرى ، وأن نحدد هذه الاسباب . فلقد زال الاستعمار المباشر من اكثر الاقطار العربية ، وخفت سيطرة الاستعمار غير المباشر بدرجات متفاوتة ، ولكنا لم نفرح بعد بوحدة قطرين عربيين ! فلماذا ؟ ان علينا أن ندرس البنية التجزيئية للاقطار العربية ، وان ندرس طبيعة القيادات وطاقاتها . اذ ان مكمن الداء هاهنا .

ولقد تحققت انجازات كثيرة في الحياة العربية ، سياسية واقتصادية ، ثقافية واجتماعية ، ولكن قضية الوحدة ظلت بلا انجازات ، لا على صعيد الممارسة ، بل على صعيد الفكر ايضا . ان ساطع الحصري وميشيل عفلق والحكم دروزة لم يجدوا من يحمل الراية في التنظير للوحدة بعدهم ، ولم يجدوا من ينتقل خطوات الى الامام لكي يتجاوزهم ، بما يجسد مهمات المرحلة الجديدة . لقد حاول الياس مرقص ولكنه اخفق ، لا لشيء الا لانه اراد ان ينظر الناصرية ، وان يجعل منها نظرية الثورة العربية . وكانت الناصرية بواقعها وبممارستها ترفض تنظير الياس ، وكل تنظير.

لماذا حدث ذلك ؟ لماذا حدثت هذه الانتكاسة نظريا وعمليا ؟

حدثت لسببين :

---

١ ـ ليس هذا الحزب منفصلا عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

اولهما : يعود الى ان الحركات القوميات الكبرى تفتت او سقطت او توقفت عن النمو .

ثانيهما : ان التوجه الى الماركسية لدى كثير من القوميين جعلهم يظنون ان النضال القومي ليس مهمة ماركسية .

ان قدرة ثورات البرجوازية الصغيرة على ضرب الملكية الكبيرة والبرجوازية التجارية والصناعية ، وعدم قدرتها على ضرب حاجز صغير من حواجز التجزئة ، يدل دلالة قاطعة على ان قضية الوحدة هي محور القضية العربية كلها .

- ٤ -

وحدث خلال هذه الفترة ان بدأت تحركات فلسطينية عديدة ، كان الانفصال وانتصار ثورة الجزائر من عوامل تصعيدها . وما لبثت هذه التحركات ان تمخضت في الاول من كانون الثاني سنة ١٩٦٥ عن حركة مسلحة .

ولقد كانت هذه الحركة الجديدة مفاجأة سياسية لكل الاحـــزاب والقوى ، الفلسطينية والعربية ، على الرغم من ان حديث العمل المسلح كان قد اصبح مألوفا.

وكان الانتقال من العمل السياسي التقليدي الى العمل المسلح قفزة نوعية ؛ اربكت الحركات الوطنية العربية عموما ، وقسمتها الى مؤيد ومعارض . الا ان حرب حزيران جاءت لتؤكد صحة طريق الحرب الشعبية الطويلة المدى ، فاتسع نطاق العمل المسلح وزاد عدد المشاركين فيه . وبينما ايدت الناصرية والناصريون حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، انبثقت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عن حركة القوميين العرب ، وطلائع حرب التحرير الشعبية والجبهة العربية عـــن تنظيمي البعث .

واصبحت فلسطين بعد معركة الكرامة بؤرة التوتر الاساسية ، كما اصبحت محور الاستقطاب الاساسي . التوجه الى القاهرة اصبح توجهـــا الى فلسطين ، والتوجه الى الوحدة اصبح توجها الى التحرير ، والتوجه الى عبد الناصر اصبح توجها الى الفدائي .

كان طبيعيا ان تصبح فلسطين بؤرة التوتر ومحـور الاستقطاب ، ولكـــن الاستقطاب ظل عفويا ، كما كانت الحال مع الناصرية . ثم ان هذا التوجه نحـــو فلسطين لم يقم على اساس وعي طبيعة المعركة في فلسطين ، باعتبار انها المعركة الاساسية للثورة الوطنية الديمقراطية العربية .

وهكذا اصبحت معركة فلسطين بديلا للثورة الوطنية الديمقراطية العربية ، بدلا من ان تصبح جزءا لا يتجزأ منها .

ولقد عجزت فصائل الثورة الفلسطينية ، كما عجزت فصائل الحركة الوطنية العربية عن تحديد تصور واضح لطبيعة المعركة ، وعن ادخال هذا التصور ميدان الممارسة الحقيقية .

ولذلك بدأ العمل المسلح يجابه مأزقا استراتيجيا . ان طبيعة المعركة تستلزم ان يكون عربيا ، ولكنه لم يستطع بعد ان يكون . ولكن العمل المسلح ، بالنقلة النوعية التي احدثها ، ونتيجة عجز القوى الوطنية العربية عن الارتفاع الى مستوى هذه النقلة ، قادت الحركة الوطنية كلها الى مأزق كبير .

- ٥ -

اين كنت انا من هذا كله ؟

لقد كنت مقتنعا بأن المأزق قائم منذ بدات اكتب هذا الكتاب . ولذلك طرحت في نهايته مشروع عمل ثوري . وقمت بعد ذلك بمحاولة اخراج هذا المشروع الى حيز الوجود ، فساهمت بانشاء حركة «طلائع الثورة العربية» . كانت هذه الحركة حركة سرية ، وسعت لان تطبق مجموعة المبادىء التي طرحتها في كتاب «الثورة والجماهير» . ومن هذه المبادىء :

١ ــ ان تكون «المنظمة ــ الفكرة» . اي ان تكون منظمة عقائدية ، تنظيمها متماسك من القاعدة الى القمة .

٢ ــ ان يتم تكوين الاعضاء على اساس ان قضية الثورة العربية هي قضية تحرير الاراضي المحتلة وتحقيق الوحدة وتحرير الانسان .

٣ ــ ان الطريق هو الحرب الشعبية الطويلة المدى .

ولقد نشرت كراسا حول هذه القضايا بالعنوان : «نحو حركة عربية ثورية شاملة» ، ثم اصدرنا سنة ١٩٦٤ كراسا يضم البيان السياسي لطلائع الثورة العربية . ولكن البرنامج لم يوزع في حينه ، ولا فيما بعد .

واكتشفنا خلال بناء تنظيم طلائع الثورة العربية ، ان هناك حاجة لجناح متخصص بفلسطين في هذا التنظيم ، فأنشأنا طلائع تحرير فلسطين . ولكن طلائع تحرير فلسطين كانت جزءا من طلائع الثورة العربية .

وكان واضحا لدينا ان تنظيم طلائع الثورة العربية يجب ان ينطلق من منطلق لا مساومة فيه ، وهو ان تحقيق «الثورة العربية» ، بما في ذلك تحرير فلسطين ، لا يكون الا عبر العمل المسلح ، باعتباره الشكل الاساسي من اشكال العمل السياسي المختلفة .

وكان بناء طلائع الثورة العربية يجابه كثيرا من الصعوبات ، اهمها :

١ ــ قضية الكادر : ذلك ان الكادر المسيَّس كان عضوا في تنظيمات اخرى ، اما الكادر الخام فهو بحاجة الى تكوين لكي يكون قائدا . وكان معظم اعضاء تنظيمنا الصغير من العمال والمستخدمين ، الذين يمكن ان يصنف احسنهم ثقافة بأنه من

أشباه المثقفين. كنا لذلك بحاجةالى سنواتمن العمل لتكوين الكادر القائد. ولم تكن الامكانيات متيسرة .

وكان هذا يجعل انتشارنا مقتصرا على اماكن معينة ، حيث يوجد بعض كوادرنا. اما المناطق الاخرى فلم يكن ممكنا ان نمتد اليها .

٢ ــ قضية الخلافات الايديولوجية : كنا نريد ان نبني تنظيما موحدا . وكنا نطرح قضايا محددة للنقاش . ولكنا كنا نكتشف ان هناك نقاط خلاف حادة . من هذه القضايا : أ ــ قضية الاكراد ، ب ــ قضية المرأة . وكنا نرى ان الاكراد شعب، وان لهم حق تقرير المصير ، وان كنا نعتقد بضرورة اتحادهم مع الامة العربية . اما قضية المرأة فكانت تتلخص في اننا نصر على ان المرأة مساوية للرجل ، وانها يجب ان تعامل على هذا الاساس . وكنا نجابه صعوبات مع اعضاء التنظيم في هاتين القضيتين . ومع انهم اقتنعوا بضرورة تبني حق تقرير المصير بالنسبة للاكراد ، الا انهم كانوا يقولون لنا دائما : لولا القضية الكردية لاستقطبنا عددا اكبر من الاعضاء. اما قضية المرأة فكان كثير منهم يثيرها على اساس انه لا يستطيع ان يعامل المرأة على اساس انها انسان مساوٍ للرجل . وكان من هؤلاء كوادر قيادية .

٣ ــ قضية نقص خبرتنا ومحدودية وعينا . كنا شبابا صغارا اكبرنا لا يتعدى الخامسة والعشرين كثيرا . وتجربتنا التنظيمية محدودة . بعضنا تخرج من البعث، وبعضنا لم يمر بتجربة حزبية اطلاقا . اما تجربتنا في العمل السياسي وكانت صفرا . وكانت مفاهيمنا عن العمل السياسي بريئة وتطهرية ، لا تقبل المناورات حتى مع الاعداء ، ولا ترضى الا الحلول المبدئية المستقيمة .

٤ ــ وكنا فوق هذا كله نعيش في دوامة تيارات متعارضة متناقضة ، تستغرق اكثر الكوادر والعناصر . كان هنالك الناصرية التي اعطاها استقلال الجزائر وثورة اليمن واجراءات ما بعد الانفصال دفعا جديدا . وكان هنالك البعث الذي اكسبته ثورتا شباط وآذار دفعا وقوة ، وكانت هنالك الاتجاهات الوطنية الفلسطينية المختلفة ، ولكن التي تعمل من اجل ابراز الهوية الفلسطينية ، والتشديد على الدور الفلسطيني . وكنا قوميين ولكنا لم نكن ناصريين او بعثيين . وكنا مع التحرير ولكنا لم نكن فلسطينيين فحسب . وكنا مع الكفاح الشعبي المسلح ولكنا لم نكن نعتقد ان الكفاح المسلح وحده يصنع نصرا . وكنا نختلف مع البعث والناصرية ولكنا لا نناصبهما العداء ، لاننا كنا نرى ما يحققانهما ، ولاننا كنا نعتبرهما ضمن القوى الوطنية ، وان كنا نحس بأنهما عاجزان عن القيام بالمهمات المطروحة على الثورة العربية .

اما الاتجاهات الوطنية الفلسطينية فقد اختلفنا معها اختلافا شديدا ، حول الافق العربي للثورة الفلسطينية ، وكنا نرى ان اي كفاح مسلح ، ضمن الوضع العربي آنذاك سيجابه ما يلي :

أ ــ قمع الانظمة العربية المجاورة ، وخاصة الاردن .

ب ــ قيام اسرائيل باحتلال اراضي عربية جديدة .

وكنا نرى ان علينا ان نوحد الاراضي المحيطة بدولة الاحتلال اولا ، وتهيئتها سياسيا وعسكريا ، وتعبئة جماهيرها ، قبل مباشرة حرب العصابات . وهـــذا يخلق لنا مؤخرة قوية ، ويمنع سقوط بلادنا بيد قوات الاحتلال .

وظل موقفنا هكذا حتى اطلقت الرصاصة الاولى ، فبدأت ابحث عن اصدقائي الذين اختلفت معهم ، واعتبرت ان العمل قد بدأ ، وان النقاش يجب ان يصبح جزءا من العمل .

وهنا حدث خلاف داخل مجموعتنا ، وبدأت تتبعثر . بعض عناصرها انضم فرديا الى حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، وبعضها رفض وأخذ موقفا متشنجا. ولقد كنت انا اول المنضمين .

لقد حاولنا اكتشاف المخرج في العمل المسلح .

- ٦ -

اذا كانت هذه هي وجهة نظري فيما جرى ، فما وجهة نظري في الكتاب نفسه؟

ان الكتاب قسمان ، اولهما : تاريخي ، وسوف لا أناقشه . وثانيهما : نظري ويتعلق بالحركة الوطنية العربية بنيتها ، ايديولوجيتها ، مواقفها ، وبمشروع العمل الثوري الذي اقترحته . وهذا ما سأناقشه ، ولي عليه بعض ملاحظات .

اول هذه الملاحظات ان هناك نزعة «شعبية فلاحية» واضحة في الكتاب . ولقد قادت هذه النزعة «الشعبية الفلاحية» الى ما يلي :

أ ــ الى اعتبار ان الحركة العربية الثورية : «ليست ثورة طبقة ولا ثورة طبقات، ولا تمثل فئة او فئات ، انها ثورة الشعب كله ، ممثلا بالواعين المناضلين من ابنائه، انها ترفض حكم الطبقة وعقلية الطبقة فلن تحكم باسم طبقة ، ولن تسمح بتحكم ايديولوجية طبقة ....» (ص ١٧٦ ــ ١٧٧) .

ب ــ الى التركيز على دور الفلاحين في الثورة ذلك انهم «... الاكثرية الساحقة من ابناء هذه الامة والفئات الاكثر شعورا بالظلم والاضطهاد» (ص ١٧٨) .

ولقد كان لهذه النزعة الشعبية الفلاحية جذران :

الاول : يعود الى نشأتي الفلاحية في اوساط البرجوازية الصغيرة الفلاحية .

الثاني : ويعود الى اعجابي بالثورة الصينية وقراءاتي عن دور الريف الصيني في الثورة .

وكان من نتيجة ذلك انني لم اهتم بالصراعات الطبقية في الريف ، وأثرها فيه وفي الحياة الوطنية . ومع انني قدمت ارقاما عن توزيع ملكيات الاراضي آنذاك ، الا انني لم ادرس الاوضاع الطبقية في الريف وانعكاساتها السياسية . ولذلك كان يبدو لي الريف موحدا . هناك اقطاعيون وفلاحون لا غير ، والريف مستعد للثورة كله ، ما عدا الاقطاعيين .

ثاني هذه الملاحظات انني قدمت في كتابي الثورة الوطنية الديمقراطية العربية (التحرير ، الوحدة ، انهاء حكم الاقطاع والكمبرادور) . ولكني قدمتها على انها ثورة الشعب كله . ولم استطع ان أحدد دور الطبقات فيها ، ولا ان أدرسها على انها ثورة تتحالف فيها الطبقات ذات المصلحة في التحالف ، وتلعب كل منها دورها فيها.

ثم اني أسميت الثورة الوطنية الديمقراطية الثورة الاشتراكية . ولم تكن ثورة

اشتراكية في الواقع . وان كانت تحل بعض قضايا الثورة الاجتماعية : الاصلاح الزراعي ، ضرب سلطة الكمبرادور ، ورأس المال الاحتكاري ، الخ .

ومن هنا جرى الخلط بين ثورة وطنية ديمقراطية ذات آفاق اشتراكية وبين الثورة الاشتراكية .

ولعل النزعة الشعبية الفلاحية وراء هذه «المثالية» ايضا .

وثالث هذه الملاحظات انني لم الحظ الاتجاه العام في الوطن العربي خاصة ، والعالم الثالث عامة ، نحو توسع المدينة سكانيا على حساب الريف ، ونحو زيادة دورها الاقتصادي والسياسي في الحياة الاجتماعية والسياسية . ان المدن تنمو والريف يضمر في كل البلاد العربية ، خارج مصر . وهنالك اسباب كثيرة لذلك . من هذه الاسباب :

اولا : لقد حملت سيطرة البرجوازية الصغيرة على السلطة تحولات في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، قادت كلها الى توسع المدينة سكانيا والى زيادة دورها الاقتصادي والسياسي .

لقد سقطت سيطرة الاقطاع على الريف ، وبسقوطها وعدم قيام النظام الاجتماعي الذي يستوعب اليد الريفية العاطلة ، بدأت هذه الايدي العاطلة تبحث عن مجالات عمل في المدينة .

ثم ان تخلف الريف ، وتخلف الزراعة ونقص وسائل الراحة وامكانيات العمل كان يدفع مزيدا من العاملين الى المدينة (١) .

ثانيا : قاد تطور قطاعات التجارة الخارجية والداخلية والاستهلاك والخدمات والسياحة الى زيادة فرص العمل في المدينة .

ثالثا : وقادت الزيادة الهائلة في انتاج النفط الى بروز اقتصاد نفط في بلدان عربية عديدة (الكويت ، العراق ، ليبيا ، الجزائر ، اتحاد الامارات العربية ، المملكة العربية السعودية) . وقد ساهم اقتصاد النفط ، في زيادة الدخل زيادة كبيرة ، مما قاد الى توسع في الاستهلاك ، وارتفاع في أجور الموظفين والمستخدمين ، وقيام مدن نفطية او توسع مدن قائمة . وكان هذا التوسع يجتذب فلاحين من الريف وبدواً من البادية .

رابعا : وقاد نمو الجيوش الى استقطاب ايد فلاحية ونزوحها من الريف ، كما قادت زيادة دور العسكريين في السياسة الى سكنى قسم كبير منهم في المدن .

---

١ ـ صفوح الاخرس :

Revolutioniary change and Mod ernization in the Arab world : A case From Syria ,

الفصل الثالث : أ ـ الهجرة الى المدن من المناطق ص (٨٨ ـ ١٠٣) .

- ٧ -

وهنالك عدد من القضايا الهامة التي ركز الكتاب عليها ، وما زلت اعتقد ان التركيز عليها هام وضروري . وهذه القضايا :

اولا : قضية الوحدة العربية : ان الكتاب يعتبر هذه القضية من القضايا الاساسية للثورة العربية . وهو يعتبرها كذلك خلال التحليل والتقييم ، وفي مشروع برنامج العمل الثوري . وما زالت قضية الوحدة العربية احدى ثلاث قضايا مركزية مترابطة في الثورة الوطنية الديمقراطية العربية : التحرير ، الوحدة ، الثورة الديمقراطية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا . ولا بد من ابراز هذه الحقيقة في هذا الوقت بالذات ، لان انهيار الحركة القومية العربية ، وتحوّل قسم كبير من الوطنيين التقدميين الى الماركسية ، وظهور الحركة الفلسطينية المسلحة قد ألقى بقضية الوحدة جانبا .

ثانيا : قضية العنف الثوري : كانت الاحزاب والحركات السياسية ، حتى سنة ١٩٦٢ ديمقراطية ليبرالية عموما ، تناضل نضالا نقابيا وبرلمانيا ، ولا تضع استخدام السلاح في اعتبارها . ولذلك فقد شننت حملة في الكتاب على البرلمانية والليبرالية لاعتقادي بأن طريق العنف الثوري هي طريق الثورة في البلدان المتخلفة. ان الوطن العربي لن يتحرر ويتحد وينجز مهمات ثورته الوطنية الديمقراطية أو الاشتراكية الا بالعنف الثوري ، القائم على التنظيم والوعي والجماهير ، وهذه الحقيقة لا بد من ان يركز عليها دائما . ولقد حدثت تطورات في الاوساط الوطنية العربية خلال السنوات العشر الماضية ، واصبحت موضوعة حرب الشعب واردة ، ولكن التنظيمات القائمة ، خارج اطار الثورة الفلسطينية، ليست بمستوى ممارستها.

ثالثا : قضية بناء التنظيم الثوري : لا ثورة بلا تنظيم ثوري . هذا ما يكرسه الكتاب . وهذه حقيقة تثبتها وقائع التاريخ واحداث العشر سنوات الماضية خاصة. ان الكتاب يؤكد هذه الحقيقة مرارا وتكرارا ، ويشير الى ان هذا التنظيم لا بد من ان يتكون من قواعد الحركات الوطنية العربية آنذاك . ولكن هذا التنظيم لم يظهر ، وما زالت القضية قائمة .

ان الثوريين العرب مطالبون ببحث هذه القضية ، وبالنضال من اجل ان يتكون التنظيم العربي الموحد .

ان الكتاب ، بالطبع ، لا يوفي هذه القضايا حقها . ولم يكن منتظرا منه ان

يفيها حقها في ذلك الحين ، وما يطرحه هو خطوط عامة . ولو طلب مني اليـــوم ان اطرح مشروع عمل ثوري لطرحته بغير الصيغة المطروحة هنا نصا ومضمونا . وان كانت هنالك قضايا مبدئية ، فيما طرحت ، لم تتزحزح عنها قناعاتي مثل : الوعي، التنظيم ، الوحدة العربية ، الانطلاق من الجماهير ، القتال بالجماهير المنظمة ، الحرب الشعبيـــة .

ولكن هذه القضايا كلها ما زالت بحاجة الى بحث . ان الثورة العربية بحاجة الى «نظريتها» . وليس هذا الملحق مكانها ، وان كان الموضوع اكثر ما يكون الحاحا وأشد ما يكون اهمية .

٢٧ ـ ١٢ ـ ١٧ شباط ١٩٧٣

فهرست

مقدمة الطبعة الثالثة ٥
مقدمة الطبعة الاولى ٦
المدخـل ٧

القسم الاول

النضال العربي (١٩٤٨ ـ ١٩٦١) مراحله ومنظماته ٩
الفصل الاول : المرحلة الاولى (١٩٤٨ ـ ١٩٥٤) . ١١
الحركة الوطنية ١٣
الجيش والحركات العسكرية ١٩
بين اليمين واليسار ٢١
أ ـ الاخوان المسلمون ٢٢
ب ـ الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية ٢٦
ج ـ ميلاد البعث العربي الاشتراكي ٣٤
د ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ٣٥
هـ ـ ثورة مصر ٣٩
و ـ حركة القوميين العرب ٤٢
ز ـ احزاب وجماعات أخرى بين الرجعية والاقليمية ٤٢
نظرة مقارنة ٤٦
الوحدة بين اليمين واليسار ٤٨
الفصل الثاني : المرحلة الثانية (١٩٥٤ ـ ١٩٥٨) ٥٠
مؤتمر باندونج ومعركة الاحلاف ٥٠
ماذا كان يعني حلف بغداد بالنسبة للعرب ٥١
الرجعية داخل مصر ٥٤
أ ـ الحكم القومي في سورية ٥٥
ب ـ الرجعية ومقررات طهران السرية ٥٩
ج ـ من قانون العشائر الى قانون تهجير الفلاحين ٦٠
د ـ وجه آخر من وجوه المعركة مع الرجعية والاستعمار ٦١
و ـ نكسة الاردن ٦٣
ز ـ الهزيمة وأسبابها ٦٥
ثورة مصر : المرحلة الثانية (١٩٥٤ ـ ١٩٥٨) ٦٨
بين الاتحاد مع مصر والاتحاد مع العراق ٧٠

أ ـ البعث العربي الاشتراكي والاتحاد ٧٠
ب ـ التجمع القومي والوحدة ٧٢
ج ـ الوحدة والاتحاد ٧٣
الاحزاب في هذه المرحلة ٧٥
أ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ٧٦
ب ـ الاحزاب الشيوعية (سورية ، لبنان ، العراق ، الاردن) ٧٩
ج ـ الاحزاب الاخرى ٨٠
د ـ حركة القوميين العرب ٨١
الفصل الثالث : المرحلة الثالثة (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) ٨٣
وحدة مصر وسورية ٨٣
الثورة في لبنان ٩٠
ثورة العراق ٩٢
حزب البعث العربي الاشتراكي (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) ٩٥
حركة القوميين العرب ، بعد الوحدة ١٠٧
الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية ١٠٨
الحياة الحزبية والاحزاب والفئات الاخرى ١١٦
الاتحاد القومي ١١٧
الحركة الانفصالية ١٢١
اشتراكية الخير والوحدة السوية ١٢٦
الاحزاب وحركة الانفصال الرجعي ١٢٨

القسم الثاني

الحركة العربية الثورية بين الماضي والمستقبل
تقييم ومشروع عمل ثوري ١٢٩
الفصل الرابع : حول الحركة العربية الثورية المعاصرة ١٣٠
المعطيات الاولية للحركة العربية الثورية ١٣١
مصادر هذه الاوليات ١٣٤
أ ـ في الوعي العلمي للاوضاع السياسية والاجتماعية في الوطن العربي ١٣٤
ب ـ حول وعي قضية الجماهير واختيار اكثر الاساليب فعالية لحلها ١٤٢
ج ـ حول مشاكل التحرر في آسيا وافريقيا ١٤٦
تجربة حزب البعث العربي الاشتراكي ١٤٩
القسم الاول : مبادىء وأفكار حزب البعث العربي الاشتراكي ١٤٩
أ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي وفكرة الوحدة ١٤٩
ب ـ فكرة الوحدة العربية ١٥١
ج ـ محاولات للتعريف ١٥٣
د ـ البعث والرسالة الخالدة ١٥٤

هـ ـ الفكرة القومية والدين ١٥٧
و ـ فكرة الوحدة والنظرية ١٥٨
ز ـ النضال في سبيل الوحدة ١٥٩
حـ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي وفكرة الحرية ١٦٠
١ ـ مسألة التحرر من الاستعمار ١٦١
٢ ـ البعث والانقلاب ١٦١
٣ ـ نظام الحكم ١٦٢
حزب البعث العربي الاشتراكي وفكرته الاشتراكية ١٦٣
الاشتراكية في دستور حزب البعث ١٦٣
١ ـ الاشتراكية نظام اقتصادي ١٦٤
٢ ـ الاشتراكية العربية والطبقات ١٦٤
٣ ـ الاشتراكية العربية والعنف ١٦٥
٤ ـ الاشتراكية العربية والحرية ١٦٦
٥ ـ الاشتراكية العربية والملك والارث ١٦٨
ي ـ تناقضات التفكير الاشتراكي عند البعثيين ١٦٨
القسم الثاني : التنظيم في حزب البعث العربي الاشتراكي ١٧٠
١ ـ تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي ١٧٠
٢ ـ فكرة التنظيم في حزب البعث العربي الاشتراكي ١٧١
حزب البعث العربي الاشتراكي وموقفه من الشيوعية ١٧٢
حزب البعث العربي الاشتراكي وتجربة عبد الناصر الثورية ١٧٥
تجربة الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية ١٧٧
عبد الناصر في تجربته الثورية ١٧٩
١ ـ عبد الناصر والثورة ١٨٠
٢ ـ عبد الناصر والوحدة العربية ١٨٥
الانفصال والتفكير الثوري ١٨٧
٣ ـ الثورة والسيادة القومية ١٨٨
أ ـ مشكلة الاستقلال ١٨٨
ب ـ مشكلة الديمقراطية ١٩٠
٤ ـ الثورة والتفكير الاشتراكي ١٩١
دوافع هذا التفكير الاشتراكي ١٩٢
الثورة في لحظات التوقف والاندفاع ١٩٣
أ ـ على الصعيد القومي العربي ١٩٤
ب ـ على الصعيد السياسي ١٩٦
ج ـ على الصعيد الاجتماعي ١٩٧
الخاتمة ١٩٨
ملاحظات حول العمل الحزبي في الوطن العربي ٢٠٠

الفصل الخامس : مشروع عمل ثوري ٢٠٣
ثلاثة اسئلة
١ ـ كيف نبدأ ؟ ٢٠٣
٢ ـ من الذين سيبدأون ؟ ٢٠٤
٣ ـ لماذا نبدأ ؟ ٢٠٥
القوى الثورية ٢٠٨
القوى الثورية بين الحزب والنقابة ٢١٠
المنهـج ٢١٢
الناحية النظرية
١ ـ المعركة الواحدة ٢١٢
٢ ـ الثورة وحكم الشعب ٢١٣
مبادىء الحرية الفردية والثورة العربية ٢١٧
٣ ـ الثورة والاشتراكية ٢١٨
٤ ـ الثورة والعمل الثوري ٢١٩
الناحية العملية :
١ ـ الجمهورية العربية المتحدة ٢٢١
أ ـ استمرار الاندفاع الثوري ٢٢٢
ب ـ اكتمال خطوط الدعوة النظرية ٢٢٢
ج ـ اكتمال تنظيم القواعد الشعبية للثورة ٢٢٢
د ـ ارتباط الثورة بتنظيم ثوري في البلاد العربية ٢٢٤
٢ ـ الوطن العربي ٢٢٥
فكرة الثورة وشعاراتها ٢٢٧
١ ـ مسألة الوحدة ٢٢٧
٢ ـ مسألة الحرية ٢٢٨
أ ـ قضية التحرر السياسي ٢٢٨
ب ـ قضية التحرر الاجتماعي ٢٢٩
ج ـ قضية حق الشعوب في تقرير مصيرها ٢٣٠
خاتمة ٢٣٢
ملحق
ـ١ـ ٢٣٥
ـ٢ـ ٢٣٨
ـ٣ـ ٢٤١
ـ٤ـ ٢٤٤
ـ٥ـ ٢٤٦
ـ٦ـ ٢٤٩
ـ٧ـ ٢٥١

هذا الكتاب

«استمتعت يومين كاملين بكتـــاب عربي ، انعش ثقتي في الكتابة السياسية والاجتماعية . والكتاب بحث جاد مفيد يقودك الى نظرية عربية ثورية. وانصح كل شاب عربي حائر بقراءته .

ولست اتحمس لهذا الكتاب ، وعنوانه « الثورة والجماهير » لناجي علوش لانه يدافع عن الجمهورية العربية ، وعن التجربة الثورية فيـــها ، وعن الاتجاه الاشتراكي الذي يتأكد ويتدعم كل يوم . فالكتاب أيضاً ، لايبخل علينا بالنقد المحدد الواضح لأخطائنا .

وهو في نفس الوقت يعرض للمتناقضات العديدة بين الدول العربية وداخل المجتمعات العربية ، وتستطيع ان تحس بالصراحة والامانة الثورية ـ جغرافياً ـ وتاريخياً ـ وثورياً ...

وميزة هذا الكتاب أنه يناقش مشاكل الوطن العربي ككل ، فيحلل الثورات المترابطة فيه . ثم يحلل الأزمات والتخلف فيه بشكل مترابط أيضاً .

وهو يربط بين الوحدة والاشتراكية والتحرر . والكاتب يكشف عـــن الفرق بين الثائر والثوري .

ويؤمن المؤلف بأن العالم العربي يحتاج الى ثوريين انقلابيين ، يؤمنون بالوحدة والاشتراكية ، ولايقنعون بالتحرر .
ويهاجم المؤلف الذين يفكرون في حدود الاقاليم ، أو الحـدود الوطنية المصطنعة ، لان الوحدة هي طريـق الاشتـراكية والاشتراكية هي طريق الوحدة ».

كامل الزهيري

صباح الخير ، العدد ٣٥٢ ، ١٤ ـ ١٠ ـ ١٩٦٢

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الثمن : ٥٥٠ ق.ل.
٧٥٠ ق.س.